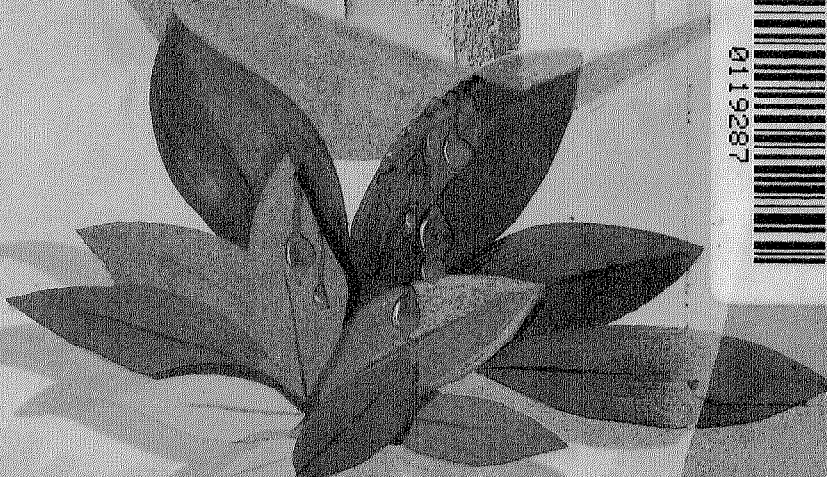


قصة الذبيح

عرض ونقد

د / فتحي محمد الزغبى



Bibliotheca Alexandrina

قصة الذبيح
عند اهل الكتاب والمسلمين

حقوق الطبع محفوظة

1415 هـ - 1994 م

- ☐ الكتاب : قصة الديب
- ☐ الكاتب : د . فتحى محمد الزغبى
- ☐ الطبعة : الأولى
- ☐ الناشر : دار البشير للثقافة والعلوم - طنطا - مصر
- ☐ التوزيع : دار البشير - طنطا - أمام كلية التربية النوعية ج 322404
- ☐ التجهيز الفنى : شركة الندى للتجهيزات الفنية - الحلة الكبرى - ص . ب : 265
- ☐ الإيداع القانونى : 11568 - 1994
- ☐ الترقيم الدولى : 2 - 99 - 5065 - 977 - I . S . B . N

قصة الذبيح

عند أهل الكتاب والمسلمين

عرض ونقد
د / فتحي محمد الزغبى

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد بجامعة الأزهر بطنطا
وأستاذ الثقافة الإسلامية المشارك بجامعة الإمام بالرياض

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد

فإن هذا الكتاب يبحث في قصة الذبيح (أى المأمور بذبحه من الله سبحانه لخليله أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام) : عند أهل الكتاب (اليهود والنصارى) والمسلمين : عرضاً ونقداً .

ولذلك فإن الدراسة لهذا الموضوع تأتى فى فصلين :

فى الفصل الأول : وفى مبحثه الأول أيضاً عرض لقصة الذبيح عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وذلك من خلال الرجوع إلى أسفارهم (المقدسة) والاطلاع على النصوص التى وردت بها فى شأن هذه القصة ، مع الاستعانة بشروح مفسريهم ، وأقوال علمائهم .

ويعقب ذلك - أى فى المبحث الثانى من نفس الفصل - نقد لما ورد فى هذه الأسفار من نصوص تتعلق بقصة الذبيح نقداً عملياً وموضوعياً ، حيث يتم الرجوع إلى نصوص أخرى من أسفارهم ، تبرز مدى تضاربهم ، وتناقضهم ، واضطرابهم ، فى قولهم : إن الذبيح هو إسحاق عليه السلام ، وتثبت بيقين لامجال للشك فيه ، أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام ، وتفضح بجلاء محاولات اليهود التى باءت بالفشل ، وانتهت بالإخفاق للنيل من إسماعيل وأمه هاجر عليهما السلام ، وتكشف عن نوايا اليهود الخبيثة ، تجاه العرب والمسلمين من ذرية إسماعيل ، وأساليبهم الدنيئة فى الخط من قدرهم ، وسلب كل فضيلة عنهم .

وفى الفصل الثانى عرض لقصة الذبيح عند المسلمين .

واشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث :

فى المبحث الأول : بيان لاختلاف المسلمين فى تعيين من هو الذبيح
وأسباب هذا الاختلاف الذى جعلهم ينقسمون إلى فرقاء :

فريق يرى أصحابه أن الذبيح إسحاق عليه السلام .

وفريق ثان يرى أصحابه أن الذبيح إسماعيل عليه السلام .

وفريق ثالث : توقف أصحابه ولم يجرؤوا بشىء .

وفى المبحث الثانى عرض لقصة الذبيح نقية صافية كما وردت فى القرآن
الكريم ، بعيداً عن شطحات المفسرين ، وخرافات الإسرائيليات المنقولة عن أهل
الكتاب .

وفى المبحثين الثالث والرابع عرض ونقد لحجج وأدلة الفريقين :

الفريق الأول القائلين بأن الذبيح إسحاق .

والفريق الثانى القائلين بأن الذبيح إسماعيل .

ثم يأتى بعد ذلك تعقيب من الباحث يتم فيه التعليق على أدلة الفريقين
والموازنة بينها ثم يكون الترجيح والاختيار .

وترجع أهمية البحث فى هذا الموضوع إلى عدة أسباب منها :

أولاً : أن اليهود يتعالون على غيرهم – متكبرين ومتفاخرين – ويتباهون –
تيها وغروراً – معلنين أنهم شعب الله المختار ، اعتقاداً منهم أنهم قد تميزوا دون
غيرهم واختصوا وحدهم بميراث الخليل إبراهيم عليه السلام ، زاعمين أنهم
ينتسبون إليه ، ويرجعون إلى دينه فى كل أمورهم .

وقد بين القرآن الكريم بطلان ذلك وأعلن عدم استحقاقهم شرف الانتماء

إليه هم ومن زعم زعمهم من النصارى والمشرى فقال تعالى ﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين﴾ (١).

وبين سبحانه أن أولى الناس به هم المسلمون ونبههم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين﴾ (٢).

ومن باب تعلق اليهود بالخليل عليه السلام ، وزعمهم الاستئثار بميراثه الروحى دون غيرهم من ذريته ، أنهم اعتقدوا أن إسحاق عليه السلام هو الوريث الوحيد الذى لأينازع ولا يشاركه أحد فى ميراث أبيه الدينى ، فأسقطوا عن إسماعيل عليه السلام البكورية - التى لم يستطيعوا إنكارها - بحجة أن أمه هاجر عليها السلام كانت جارية وغير ذلك من ألوان الطعن ومظاهر النيل من إسماعيل وأمّه الطاهرة ، فزعموا فيهما كثيرا من المزاعم ، ورموهما بكثير من المطاعن ، وطعنوا فى أحقيتهما فى الانتساب إلى الخليل عليه السلام ، وقد بينت بطلان كل هذا بالرجوع إلى نصوص أسفارهم المقدسة نفسها .

وانطلاقا من هذا المبدأ زعموا أن إسحاق عليه السلام هو المأمور بذبحه من الله سبحانه فاستحق الشرف ونال الفضل هو وذريته من بنى إسرائيل ، ونزعوا هذا الفضل وذلك الشرف من إسماعيل عليه السلام وذريته من العرب والمسلمين الذين هم أولى الناس بها .

فإذا ما تم إبراز هذا كله ومعالجته من خلال بحث علمى أكون قد ساهمت فى الكشف عن نواياهم الخبيثة ، ووسائلهم الدنيئة فى النيل من إسماعيل عليه السلام وأمّه السيدة هاجر المصرية زوجة الخليل عليه السلام وأمّ ولده البكر والتى أكرمها الله سبحانه فجعل آثارهما وموطئ أقدامهما مناسك لعباده المؤمنين ومتعبات لهم إلى يوم الدين .

(٢) آل عمران : ٦٨ .

(١) آل عمران : ٦٧ .

ثانيا : كذلك فإنه قد درج الكثيرون من الباحثين على أن يشيروا إلى أن الخلاف فى قصة الذبيح بين اليهود والمسلمين ، فقط ، متغافلين عن موقف النصارى من هذه القضية .

بل إن هناك من يذكر أن النصارى لا يبحثون فى هذا الموضوع مطلقا ، ولا يعبرونه أدنى اهتمام .

وهذا خطأ واضح ، وغلط فاضح .

فالنصارى - كما سيتبين لنا من خلال البحث - قد تابعوا اليهود وجاروهم فى اعتقادهم أن الذبيح إسحاق - باعتبار أن سفر التكوين - الذى اعتمد عليه اليهود فى هذا الاعتقاد مقدس أيضا عند النصارى ، فهو أحد وأول الأسفار الخمسة التى تشكل القسم الأول من أقسام العهد القديم الذى يؤمن به النصارى باعتباره يمثل الجزء الأول من جزئى الكتاب المقدس عندهم بعهديه : العهد القديم والعهد الجديد .

بالإضافة إلى ما ورد عندهم بخاصة فى بعض رسائل العهد الجديد مما جعلهم يجزمون أيضا بأن الذبيح هو إسحاق عليه السلام .

بل إن النصارى قد ربطوا بين الأمر بذبح إسحاق - فى زعمهم - وبين ما زعموه فى صلب المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام حيث اعتبروا ذلك فرصة سانحة لهم تصيدوها للربط بين الحادثتين لتدعيم هذه العقيدة التى أبطلها الإسلام ونفاها القرآن الكريم نفيا قاطعا وحاسماً .

فقال تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ... وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ (١) .

فلو كان الذبيح إسماعيل عليه السلام لما استطاعوا أن يربطوا بين الحادثتين

(١) النساء : ١٥٧ .

ولما تمكن بولس اليهودى ذو الثقافات الوثنية تدعيم عقيدة الصلب والفداء التى استقاها من الديانات الوثنية ، فليس هناك اتصال بين إسماعيل وبين المسيح من جهة النسب .

من أجل كل ذلك تمسك النصارى بما نادى به اليهود وتابعوهم فى ادعائهم بأن الذبيح إسحاق عليه السلام .

كذلك فإن النصارى يشاركون اليهود فى كراهيتهم لإسماعيل عليه السلام ولم يتورعوا عن الجهر بالإساءة إليه والتصريح بالنيل منه ، والطعن فيه والاستهزاء به هو وأمه هاجر عليها السلام .

ويتبين لنا هذا حينما أعرض فى ثنايا البحث لنموذج واحد من نماذج الشتائم والسباب الموجهة له من بعض علماء النصارى وقسيسيهم حتى يتبين لنا مدى متابعة النصارى لليهود ومساندتهم فى كراهية إسماعيل وأمه هاجر حسداً من عند أنفسهم للعرب والمسلمين الممثلين لذرية إسماعيل وأبرزهم وأفضلهم نبينا محمد صلى الله وسلم عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين .

ثالثاً : إن عامة المسلمين جميعاً فى مشارق الأرض ومغاربها يذكرون فى موسم الحج ويتذكرون فى عيد الأضحى ماجرى لإسماعيل وما وقع منه عليه السلام ، ولا يخطر ببال أحد منهم أبداً ولا يدور بخلده مطلقاً أن يكون الذبيح إسحاق .

بل إننى حتى الآن ما وجدت أحداً قد تجرأ على التصريح بذلك أمام جماهير الناس .

بل إن خطبة عيد الأضحى فى الغالب لا تخلو من ذكر إسماعيل وقصته .

ومعنى ذلك أن القائلين بأن الذبيح إسحاق من المسلمين لم يتعد قولهم هذا ما كتبوه ولم يخرج من بطون مؤلفاتهم .

بل إن الكثيرين من الناس لا يصدقون مطلقاً أن الإمامين الجليلين – الطبري والقرطبي – مثلاً – وهما من هما في العلم والتاريخ والمعرفة ، يرجحان كون الذبيح إسحاق ، ويعتقدان في ذلك تمام الاعتقاد .

فالكل يعتقدون أن القول بكون الذبيح إسحاق ينفرد به اليهود فقط دون سواهم .

ولم يقتصر الأمر في ذلك على العوام .

بل إن كثيرين من الباحثين والمثقفين بوجه عام لا يدركون كون هذه المسألة خلافية بين المسلمين معتقدين أن هناك إجماعاً بين المسلمين على أن الذبيح إسماعيل .

بل إن هناك أحد الباحثين قد اطلعت على رسالة له سماها « القول الصحيح في تعيين الذبيح »^(١) نقل فيها ما ورد في التفاسير – تفسيراً بعد تفسير – في تعيين اسم الذبيح وأخذ يعلق بعض التعليقات عقب كل تفسير .

وبغض النظر عن مجانية هذه الطريقة للمنهج العلمي ، فإنني فوجئت به يقرر أن الطبري قد عرض لأقوال الفريقين ولم يجزم بشيء !! وأن القرطبي مثله لم يقطع برأى .

فحينما تحدث عن الطبري يقول عنه « إنه يذكر أقوال الذين قالوا بأن الذبيح إسحاق .. ثم يأتي بعدها بأقوال الذين يقولون بأن الذبيح إسماعيل .. ولم يجزم بشيء ؟ .. أه ولا تعقيب ؟ ! ! »^(٢) .

وحينما تحدث عن القرطبي يقول أيضاً :

« لم يقطع المفسر برأى ، بل إنه أتى بأقوال الطرفين الذين أحدهما يقول بأن

(١) تأليف محمد سعيد العاني مطبعة العاني بغداد الطبعة الأولى ١٩٨٥ م .

(٢) ص ٧١ .

الذبيح إسحاق ، وثانيهما بأنه إسماعيل .. ثم يختم بيانه بقول الزجاج : الله أعلم أيهما الذبيح « ١١١ ؟ ولا تعقيب ١٩ (١) .

وهذا أمر عجيب لأن كلا من الطبرى والقرطبى قد تحمس جداً للقول بأن الذبيح إسحاق ودافع عنه ، وأتى بحجج وبراهين ، وردّ على القائلين بأن الذبيح إسماعيل وسوف يتبين لنا ذلك بالتفصيل فى ثنايا البحث .

وإذا كان هذا هو حال من زعم فى مقدمة رسالته هذه أنه قام بالاستقراء الدقيق والتتبع الصحيح لما كتب فى التفاسير حول هذا الموضوع فما بالنا بغيره ١١٩ .

رابعاً : أنه قد اعترى قصة الذبيح من الروايات المنكرة والأحاديث العجيبة والحكايات الغريبة ما امتلأت به الكتب وما رده بعض الخطباء أو كثير منهم فى خطبة عيد الأضحى المبارك .

وشاعت هذه الحكايات وتلك الروايات بين العوام وصاروا يتناقلونها على أنها صحيحة .

يذكر الشيخ جمال الدين القاسمى فى تفسيره « محاسن التأويل » أن الخطباء قد ولعوا فى دواوينهم برواية قصة الذبيح فى خطبة الأضحى من طرقها الواهية عند المحدثين ، ويرونها ضربة لازب على ضعف سندها ، وكون متنها منكراً أيضاً أو موضوعاً ويرى أنه لا ينبغى التزيد على أصل ما قص فى التنزيل من الضروري له ، إلا إذا صحّ سنده ، أو اطمأن القلب به (٢) .

(١) ص ٦٩ .

(٢) راجع تفسير القاسمى ص ١٢٠ - ١٢١ ج ١٤ دار الفكر بيروت .

وفى قريتنا كان الخطيب يأتى يوم عيد الأضحى وسط فرحة المصلين وابتهاجهم وبعد أن ينتهوا من تكبيرهم وتهليلهم ويفرغوا من صلاة العيد يصعد رحمه الله المنبر ثم يلقى بخطبة الذبيح من ديوان أصفر ، ويسعد الناس بالاستماع له ويستمتعون بما يقول كأنه يلقيها على مسامعهم لأول مرة رغم أنه يكررها كل عام على مدار سنوات طويلة ولكن الناس فى كل عام يتهيأون له ويستعدون ، =

ومن هنا لزم التنبيه على ما اعترى هذه القصة من الإسرائيليات والتحذير من مخاطرها على العقيدة الإسلامية من حيث ارتباطها بالخرافات والأعاجيب مما يشوه صورة الإسلام الحقيقية وينال من مكانته بين الناس .

كما أن البحث في هذا الموضوع ضروري للإشارة إلى متابعة بعض علماء المسلمين لأهل الكتاب من اليهود والنصارى والتساهل في النقل عنهم والاستفادة من كتبهم رغم ما تحتوى عليه من إسرائيليات منكرة مخالفة لما جاء به القرآن الكريم ، ومنافية لما ورد في السنة الصحيحة المعتمدة .

وبذلك يتم تسليط الضوء على الذين قلدوا اليهود والنصارى عند إيرادهم لقصة الذبيح واغترارهم بما رواه كعب الأحبار وغيره من الإسرائيليات .

بل إننا سنرى مبالغة بعض المسلمين في التحمس لاعتقادهم أن إسحاق هو الذبيح حتى فاقوا في ذلك اليهود والنصارى أنفسهم حيث سيتبين لنا مثلاً أن القرطبي يزعم أن إسحاق أكبر من إسماعيل ، وهو الأمر الذي لم يجرؤ اليهود أنفسهم أن ينطقوا به ، حيث إنهم لم يتمكنوا من إنكار بكورية إسماعيل ، ولو فعلوا ذلك ولم يقرروا بها لما اضطروا إلى بذل المحاولات الفاشلة ، ووفروا على أنفسهم مبررات إسقاط البكورية عن إسماعيل ونزعها منه وتسليمها إلى إسحاق .

وأخيراً فإننا كمسلمين نؤمن بنبوة كل من سيدنا إسماعيل وسيدنا إسحاق عليهما السلام ونوقن بأنهما نبيان من كرام الأنبياء ورسلان من خيار الرسل الذين اصطفاهم الله سبحانه من خلقه وفضلهم على كثير من عباده ، وهما ابنا

= ويستقبلون كلامه بما استقبلوه به من بكاء ونحيب وآهات وتضرعات وهو يبادلهم ذلك بكاء وبكاء ونحيباً بنحيب مع حشجة في الصوت واضطراب في الكلام .

وتزداد نبرة الآهات من الصدور وتنهمر الدموع غزيرة من العيون خاصة حينما يتحدث عن قميص إسماعيل الذي يرجو آياه الخليل عليهما السلام أن يخلعه عنه حتي لا ينتضح عليه شيء من دمه فتراه هاجر عليهما السلام فيشتد حزنهما إلخ

باران ، ولدان عزيزان على أبيهما وأبى الأنبياء إبراهيم الخليل عليهم جميعا
وعلى نبينا وحبينا سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين أفضل الصلوات
وأزكى التسليمات ﴿لأنفرق بين أحد من رسله﴾ .

وأسأل الله سبحانه أن أكون قد وفقت في بحث هذا الموضوع راجياً منه
تعالى أن يتقبله مني خالصاً لوجهه الكريم .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

طنطا في : ربيع الأول ١٤١٥ هـ

أغسطس ١٩٩٤ م

فتحي محمد الزغبى

الفصل الأول

قصة الذبيح عند أهل الكتاب (اليهود والنصارى)

وينقسم إلى مبحثين :

المبحث الأول : عرض القصة كما وردت في أسفارهم .

المبحث الثانى : نقد ماورد في قصة الذبيح عند أهل الكتاب .

المبحث الأول
عرض القصة كما وردت في أسفارهم

المبحث الأول : عرض القصة كما وردت في أسفارهم :

يذهب أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى أن الذبيح من ولدى الخليل إبراهيم هو إسحاق عليهما السلام .

ويعتمدون في ذلك على ماورد في سفر التكوين .

وسفر التكوين هو أول الأسفار الخمسة التي هي القسم الأول من أقسام العهد القديم (١) ، الذى يؤمن به النصارى مع اليهود ثم أضاف النصارى إلى هذا المصدر المشترك بعض النصوص التى أوردوها فى رسالتين من رسائل العهد الجديد (٢) .

واعتبرت هذه النصوص عندهم تدعيما لما ورد فى سفر التكوين ، وامتداداً له .

(١) أطلق اسم « العهد القديم » فى العصور المسيحية على أسفار اليهود للترفة بينها وبين ما اعتمده المسيحيون من أسفارهم التى أطلقوا عليها اسم « العهد الجديد » ويراد بكلمة « العهد » فى هاتين التسميتين مايرادف معنى الميثاق ، وينقسم العهد القديم إلى ثلاثة أقسام رئيسية الأول : التوراة « الأسفار الخمسة » الثانى : الأنبياء ، الثالث : الكتابات ، وهذا التقسيم هو السائد عند أغلب اليهود وهناك منهم من يقسمه إلى أربعة أقسام : (الأسفار الخمسة) و (الأسفار التاريخية) ، و (أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية) ، و (أسفار الأنبياء) راجع تفصيل ذلك فى كتابي « تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص ٤٧ - ٦٤ وقد بينت فيه أيضا بطلان نسبة التوراة اليهودية (الأسفار الخمسة) إلى سيدنا موسى عليه السلام وأنها غير التوراة المنزلة عليه من الله سبحانه ، وكذلك بينت انتفاء قدسية أسفار العهد القديم » راجع تفصيل ذلك من ص ٣١٢ - ٣٧٨ نشر دار البشير بطنطا ١٩٩٤ م .

(٢) يتألف العهد الجديد من سبعة وعشرين سفرأ وهى عبارة عن أربعة أناجيل وإحدى وعشرين رسالة بالإضافة إلى أعمال الرسل ورؤيا يوحنا (راجع تفصيل ذلك فى قاموس الكتاب المقدس ص ٦٤٤ ، ٧٦٤ والأسفار المقدسة للدكتور على وافى ص ٨٥ - ٨٩ والمدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٠٧ وما بعدها .

فلننظر أولاً فى هذه النصوص التى وردت حول قصة الذبيح فى هذه الأسفار ، ونطلع على بعض شروحها حتى يتسنى لنا التعليق على ما تحتوى عليه:

نصوص سفر التكوين :

جاء فى الإصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين ما نصه :

« وحدث بعد هذه الأمور ^(١) أن الله امتحن إبراهيم ، فقال له : يا إبراهيم ، فقال : ها أنذا .

فقال : خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق ^(٢) .

واذهب إلى أرض المريا ، وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك » .

فبكر إبراهيم صباحاً وشد على حماره وأخذ اثنين من غلماناه معه وإسحاق ابنه وشدق حطباً للمحرقة وقام وذهب إلى الموضع الذى قال له الله .

وفى اليوم الثالث رفع إبراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد ، فقال إبراهيم لغلاميه : اجلسا أنتما ههنا مع الحمار ، وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد ثم نرجع إليكما .

فأخذ إبراهيم حطب المحرقة ووضع على إسحاق ابنه وأخذ بيده النار والسكين ، فذهبا كلاهما معا ،

وكلم إسحاق إبراهيم أباه وقال : يا أبى ، فقال : ها أنذا يا ابنى .

(١) يقصد ما حدث فى الإصحاح السابق (الحادى والعشرين) من أمور تتعلق بحياة إبراهيم عليه السلام لامجال الآن لذكرها .

(٢) جاء فى قاموس الكتاب المقدس أن إسحاق معناه بالعبرية « يضحك » لأنه كما ورد فى سفر التكوين حينما ولد قالت أمه سارة : إن الرب صنع إلى ضحكنا وإن جيرانها سيضحكون معها راجع ص ٦٦ وسفر التكوين ٢١ : ٦ .

فقال : هوذا النار والخطب ، ولكن أين الخروف للمحرقة .

فقال إبراهيم : الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابني ، فذهبا كلاهما معاً فلما أتيا إلى الموضع الذى قال له الله بنى هناك إبراهيم للمذبح ورتب الخطب ، وربط إسحاق ابنه ووضع على المذبح فوق الخطب ، ثم مد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه .

فناداه ملاك الرب من السماء وقال : إبراهيم إبراهيم ، فقال : هأنذا .

فقال : لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً ، لأنى الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى .

فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممسكا فى الغابة بقرنيه ، فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه .

فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع « يهوہ يرأه » ، حتى إنه يقال اليوم فى جبل الرب يرى » .

ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء ، وقال بذاتى أقسمت .

يقول الرب : إنى من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك ، أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذى على شاطئ البحر ، ويرث نسلك باب أعدائه ، ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض ، من أجل أنك سمعت لقولى ، ثم رجع إبراهيم إلى غلاميه ، فقاموا وذهبوا معاً إلى بئر سبع ، وسكن إبراهيم فى بئر سبع (١) .

ومن قراءة هذا النص الذى ورد فى سفر التكوين يتبين أن اليهود يرون أن الذى أقدم إبراهيم على ذبحه وتقديمه كمحرقة هو ابنه إسحاق ابنه الذى بشر به وهو فى التاسعة والتسعين من عمره ، ولما ولد كان قد بلغ المائة من عمره .

(١) تكوين ٢٢ : ١٥ - ٢٢ .

جاء فى الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين : أنه لما كان لإبرام ابن تسع وسعين سنة ظهر الرب له وقال له بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحاق ، وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده » (١) .

وجاء فى الإصحاح الثامن عشر أن الرب (٢) وملكين معه قالوا له : أين سارة امرأتك ، فقال ها هى فى الخيمة ، فقال لى أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابن ، وكانت سارة سامعة فى باب الخيمة وهو وراءه ، وكان لإبراهيم وسارة شيخين متقدمين فى الأيام ، وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء ، فضحكت سارة فى باطنها قائلة : أبعد فنائى يكون لى تنعم وسيدى قد شاخ .

فقال الرب لإبراهيم : لماذا ضحكت سارة قائلة : أبا الحقيقة ألد وأنا قد شخت .

هل يستحيل على الرب شىء ! فى الميعاد أرجع إلى نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن .

فأنكرت سارة قائلة لم أضحك ، لأنها خافت ، فقال : لا بل ضحكت (٣) .

وفى الإصحاح الحادى والعشرين :

« وفعل الرب لسارة كما تكلم ، فحبلت سارة وولدت لإبراهيم ابناً فى شيخوخته ، فى الوقت الذى تكلم الله عنه ، ودعا إبراهيم اسم ابنه المولود له الذى ولدته له سارة إسحاق وكان إبراهيم ابن مائة سنة حين ولد له إسحاق ابنه » (٤) .

(١) تكوين ١٧ : ١٩ ، ١٠ .

(٢) تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً فالقرآن الكريم قد بين أن الذين بشروا إبراهيم وزوجه سارة بابنها إسحاق عليهم جميعاً السلام هم الملائكة وقد بحثت هذه النقطة فى كتابى « تأثر اليهودية بالأديان الوثنية » حيث بينت أن زعمهم تجلى الرب سبحانه لإبراهيم فى صورة رجل نابع من تأثرهم بالتصورات الوثنية راجع ص ٦٤٢ - ٦٥١ نشر دار البشير بطنطا ١٩٩٤ م .

(٣) تكوين ١٨ : ١٥ - ١٠ .

وقد عرض النص قصة الذبيح في التصور اليهودي بدءاً من صدور الأمر من الله سبحانه إلى الخليل إبراهيم لكي يذبح ابنه ، وقيام الخليل بتنفيذ ما أمر به وانتهاء بتقديم كبش إلى المحرقة فداءً عن إسحاق .

وقام شراح العهد القديم ومفسروه بعرض قصة الذبيح كما وردت في سفر التكوين أقتطف من كلام بعضهم ما يلي :

جاء في كتاب الآباء والأنبياء أن أمر الله - سبحانه - قد صدر لإبراهيم في كلمات عصرت قلب ذلك الأب عصراً قاسياً بالحزن والألم إذ قال له : « خذ ابنك وحيك الذي تحبه إسحاق وأصعده محرقة » .

لقد كان إسحاق هو وارث البركة الموعود بها ، ولو مات مثل هذا الابن في حادثة أو بمرض لتمزق قلب أبيه المحب ، وكان رأسه الأشيب ينحني تحت ثقل الأحزان ، ولكن الله يأمره بأن يسفك دم ذلك الابن بيده (١) .

وجاء في السنن القويم في تفسير العهد القديم مبينا معنى قوله في سفر التكوين « الله امتحن إبراهيم » أي امتحن إيمانه وطاعته لأن هذا الأب تقضى عليه في أرض الغربية الفلسطينية خمس وعشرون سنة كان يرى فيها تأخر إتمام الوعد على توالي الأيام ومع ذلك لم يتزعزع إيمانه ، ثم ولد ابنه ووريثه وحمل حزنا وألماً شديداً على فراق إسماعيل ثم نسي ألم فراقه بإسحاق ، وشعر أنه حصل على السعادة في شيخوخته ، وكان في سلام مع جيرانه ، وكانت مواشيه كثيرة ، ومراعيه واسعة وعرف أن إسماعيل قوى ونجح ، ورأى إسحاق ينمو سريعاً ويتقدم إلى الرجولية .

ففي أثناء هذه الراحة والاطمئنان أتته التجربة الشديدة في إحدى الليالي وهي أمر الله إياه أن يذبح ابنه إسحاق .

(١) ألن هوايت : الصراع العظيم في سيرة الآباء والأنبياء ص ١٢٥ ترجمة فرج الله إسحاق نشر دار الشرق الأوسط للطبع والنشر بيروت ١٩٨١ م .

وكانت هذه التجربة مضاعفة لأن طبيعة الله كانت تكره الذبائح البشرية (١) وكان على إبراهيم أن يطيع الأمر ، فكيف يصدق أن الرب « يهوه » إله العهد الصادق يأمره بذلك (٢) .

ويذكر الدكتور ف . ب ماير في كتابه « حياة إبراهيم » أن كلمة الرب قد أتت إبراهيم في رؤى الليل ، وفي الصباح التالي باكراً جداً قام على الفور منفذاً الأمر الذي صدر إليه .

« فبكر إبراهيم صباحاً وشد على حماره ... » .

فلم يسمح لأى شخص آخر بأن يفك الحمار أو يجمع الحطب أو يتدخل في سرعة إتمام الأمر ولكنه شد على حماره وشقق حطبا للمحرقة وذهب إلى الموضع الذى قال له الله (٣) .

ونعود إلى كتاب « الآباء والأنبياء » ليستأنف ما قصه علينا متأثراً بما ورد في العهد القديم ومصوراً ما جاء في سفر التكوين :

تذكر صاحبة الكتاب أن إبراهيم عاد إلى الخيمة حيث كان إسحاق مضطجعاً ونائماً نومة الشباب البرئ الذى لايزعجه شئ ولمدة لحظة تطلع الأب في وجه ابنه الحبيب ثم تحول عنه مرتعباً ... ثم تذكر أن إبراهيم استدعى أخيراً ابنه وأخبره بأمر الرب له بالذهاب إلى جبل بعيد لتقديمه ذبيحة ، وكان إسحاق قد ذهب مع أبيه مراراً ليعبد الله عند بعض المذابح المختلفة التى كان يقيمها في أثناء رحلاته من مكان إلى آخر (٤) .

ولذلك فلم يكن هذا الأمر الإلهى مثيراً لدهشته ، وبسرعة تمت كل

(١) راجع كتابى « القرابين البشرية والذبائح التلمودية » الطباعة الأولى ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م مطابع غباشى بطنطا .

(٢) السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم ج ١ ص ١٥٦ - ١٥٧ مبنى على آراء عدد من اللاهوتيين صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى بيروت ١٩٧٣ م .

(٣) حياة إبراهيم ص ١٥١ . (٤) الآباء والأنبياء ص ١٢٦ .

الاستعدادات لتلك الرحلة ، وأعد الحطب ، ووضع على الحمار وأخذ اثنين من غلماناه معه وإسحاق ابنه وذهبوا

وكان إبراهيم يرغب في أن لا يشاهد أحد منظر الوداع بينه وبين ابنه غير الله وحده ، ولذلك أمر غلاميه بالتخلف قائلاً لهما : « أما أنا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد ثم نرجع إليكما » فوضع الحطب على إسحاق الذي سيقدم ذبيحة وأخذ هو بيده النار والسكين ثم أخذ في الصعود إلى قمة الجبل ، وكان ذلك الشاب مندهشاً يسأل نفسه قائلاً من أين لنا المحرقة ونحن بعيدان جداً عن الحظائر والقطعان ؟ .

وأخيراً قال لأبيه « يا أبى هوذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة ؟ » ولكن إبراهيم لم يقدر أن يخبره الآن فقال له : « الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابني » (١) .

وفي المكان المعين بنيا المذبح ووضع عليه الحطب ، وحيشذ وبصوت مرتجف ، أخبر إبراهيم ابنه برسالة الله ، ولما علم إسحاق بمصيره ملكه الرعب والذهول ، ولكن لم تبد منه أية مقاومة ، وكان يمكنه أن ينجو من ذلك المصير لو أراد .

ولكن إسحاق قد تربى منذ طفولته على الطاعة التامة الواثقة فلما كشف له قصد الله أطاع وسلم من تلقاء نفسه .

لقد كان شريكاً لإبراهيم في إيمانه ، وكان يحس أنه شرف عظيم له أن يبذل حياته ذبيحة لله ، فأخذ بكل رقة يحاول التخفيف من أحزان أبيه ويشجع يديه الضعيفتين على ربطه بالحبال ليوضع على المذبح (٢) .

وأخيراً بعد ما قيلت آخر كلمات المحبة ، وسكنت آخر دمعة ، وبعد الانتهاء من المعانقة ، يرفع الأب السكين ليذبح ابنه ، ولكن فجأة توقفت يده ، ذلك أن

(١) المصدر السابق ص ١٢٦ - ١٢٧ . (٢) الآباء والأنبياء ص ١٢٧ .

ملاك الرب نادى ذلك الشيخ قائلاً : « إبراهيم إبراهيم » فجاء الرد سريعاً يقول : « هأنذا » فعاد الصوت يقول له : « لا تمسك يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً ، لأننى الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى » .

حينئذ نظر إبراهيم « وإذا كبش وراءه ممسكاً فى الغابة بقرنيه » .

وإذا أحضر تلك الذبيحة الجديدة بسرعة أصعدها عوضاً عن ابنه (١) .

وإذا كان كاتب سفر التكوين قد ذكر أن الجبل الذى أمر الله إبراهيم أن يذبح ابنه فوقه هو « جبل المريا » أو « أرض المريا » فإن مفسرى العهد القديم وشراحه قد اختلفوا فى تعيين هذا الجبل ، ومعرفته على سبيل التحديد .

جاء فى كتاب « السنن القويم » (٢) أن معنى « المريا » إما « الرب علم » وإما « الرب معد أورا » .

فإن كان المعنى الثانى هو المقصود هنا فيكون المكانسمى بالمريا من الحادثة ويكون المعنى : المكان الذى فيه « الرب يعد أو يرى خروف المحرقة » .

ورأى كثيرون من أكابر المفسرين أن ذاك المكان هو « مورة » فى شكيم « نابلس » وأن الذبيحة قدمت فى السامرة ، وكان المذبح طبيعياً وهو قنة جبل جرزيم .

لكن إبراهيم وإسحاق - فيما يقول صاحب كتاب السنن - وصلا المكان فى اليوم الثالث ، ولكن كون جبل جرزيم بعيداً جداً عن بئر سبع يمنع من هذا القول .

وعلى هذا فيرجح أنه قرب أورشليم لأنها تبعد نحو ثلاث مراحل أى سير نحو إحدى وعشرين ساعة .

ثم إن الموضع الذى ذهب إليه إبراهيم أرض لم يكن يعهدها إذ لم يسم الله له الجبل بل قال له الجبل الذى أقول لك .

(١) المصدر السابق ص ١٢٨ . (٢) راجع الجزء الأول تفسير سفر التكوين ص ١٥٧ - ١٥٨ .

وأما شكيم فكان يعرفها ويعرف أسماء جبالها لأنه سكنها واستدل أيضا على ماذهب إليه من قول كاتب السفر « وفي اليوم الثالث رفع إبراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد » .

فقال : قنة الجبل المدعو بجبل المبيت وجبل الموريا ما كانت ترى للمسافر من بحر سبع إلا على أمد نحو ثلاثة أميال ، فإذا كان دونه كثير من التلال الحاجزة . ولعل هذا هو البعد المقصود هنا لا أكثر منه ، فإن إبراهيم - كما ورد في السفر - ترك الغلامين هنالك ووضع الخطب على إسحاق وذهب إلى هنالك راجلين أى ماشيين على الأرجل ، ولو كان جبل جرزيم ما استطاع إسحاق أن يحمل الخطب من حيث يبدو للنظر .

وأورد صاحب القاموس أن « مريا » اسم سامى ربما كان معناه « رؤيا » ويطلق على : (١) أرض أوصى الرب إبراهيم أن يصعد إليها ويقدم ابنه على أكمة منها وهى منطقة فى أورشليم .

(٢) الجبل الذى بنى سليمان عليه الهيكل فى أورشليم وكان فى القسم الشرقى من المدينة الحاضرة يشرف على وادى قدرون ، وكان إلى الشمال من صهيون ، ولما بنى الهيكل على قمة هذه الأكمة بنيت أسوار من جوانب الأودية إلى الجهات الأربع حوله ...

ثم يذكر صاحب القاموس أن الأكثرين يظنون أن موضع الهيكل هو نفس الموضع الذى فيه أمر الله إبراهيم أن يستعد لتقديم إسحاق ذبيحة غير أن التقليد السامرى يقول إن موضع مذبح إبراهيم كان على جبل جرزيم .

وجبل جرزيم هو جبل صخرى منحدر يكون الحد الجنوبى للوادى الذى تقع فيه شكيم « نابلس الآن » (١) .

(١) راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٨٥٩ ، ص ٢٥٨ والتقليد السامرى هو ما عليه السامريون وهم إحدى فرق اليهود ولهم تورا تسمى « التورا السامرية » وتختلف عن التورا العبرانية ويوجد بينهما فروق كثيرة وهم يقدسون الأسفار الخمسة ومعها سفر يوشع بن نون وبذلك يتألف كتابهم من ستة أسفار فقط (راجع تفصيل الحديث عنهم د / حسن ظاظا : الفكر الدينى اليهودى ص ٢٠٥ - ٢٠٩ قاموس الكتاب المقدس ص ٤٤٩ - ٤٥٢ .

وهكذا فإن اليهود فيما بينهم قد اختلفوا فى الموضع الذى يذكرون أن
إسحاق قد هبىء للذبح فيه ، مما يعنى أن المسألة غير مؤكدة لديهم .

نصوص العهد الجديد :

وإذا كان اليهود قد أجمعوا على أن الذبيح من ولدى الخليل هو إسحاق
عليهم السلام رغم اختلافهم فى موضع الذبح حيث يرى العبرانيون منهم أن
جبل « المريا » هذا فى أورشليم ويرجحون أنه موضع هيكمل سليمان عليه
السلام ، بينما يرى السامريون منهم أنه جبل « جرزيم » فى شكيم « نابلس » .

إذا كان الأمر كذلك فإن النصارى قد تابعوا اليهود فى قولهم إن الذبيح
إسحاق ، ويرجحون أن موضع الذبح كان بأورشليم ، بناءً على أن ماورد فى
سفر التكوين يعد مصدراً أساسياً لهم حيث إن سفر التكوين يعد أول الأسفار
الخمس التى يؤمنون أنها أسفار موسى عليه السلام ، وأن هذه الأسفار الخمسة
هى القسم الأول من أقسام العهد القديم ، الذى يكون بدوره الجزء الأول من
كتابهم المقدس ، الذى هو مشتمل على العهدين : العهد القديم والعهد الجديد .
بالإضافة إلى متابعة النصارى لليهود من هذا المنطلق فإن رسالتين من رسائل
العهد الجديد قد ورد فيهما نص على أن الذبيح هو إسحاق .

جاء فى رسالة يعقوب :

« ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت
ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم إسحاق ابنه على المذبح ، فترى أن
الإيمان عمل مع أعماله ، وبالإيمان أكمل الإيمان ، وتم الكتاب القائل قآمن
إبراهيم بالله فحسب له برأ ودعى خليل الله » (١) .

(١) رسالة يعقوب ٢ : ٢٠ - ٢٣ .

وجاء فى رسالة بولس إلى العبرانيين :

« بالإيمان قدم إبراهيم إسحاق وهو مجرب ، قدم الذى قبل المواعيد وحيد الذى قيل له إنه بإسحاق يدعى لك نسل ، إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات أيضا الذين منهم أخذه أيضا فى مثال » (١) .

وبذلك فإن النصارى قد تابعوا اليهود فى أن الذبيح إسحاق عليه السلام ، وكان حادث الذبح فرصة ثمينة تلقفها الذين بدلوا دين المسيح عيسى عليه السلام حيث اتخذوها سنداً وحجة لعقيدة الصلب والفداء ، ومن هذا المنطلق أيضا رأوا أن الذبيح إسحاق ، فلو كان إسماعيل لما كان لاستشهادهم به على ما زعموه من صلب المسيح ، وتقديمه كذبيحة للخلاص والفداء ، أى تأثير ، حيث إن المسيح عيسى ابن مريم من ذرية إسحاق وليس من ذرية إسماعيل عليهم جميعاً وعلى نبينا أفضل الصلوات وأزكى التسليمات .

جاء فى السنن القويم أن كون إسحاق أطاع أباه ولم يمانع يعد رمزاً إلى المسيح الذى سيق إلى الذبح ولم يفتح فاه إطاعة لإرادة أبيه فأحياه الله كما أحيا ابنه ، فكان فى هذه التجربة قصد روحى وهو الإيماء إلى الذبيحة الكفارية ذبيحة الفادى التى هى غنى الكنيسة المسيحية وركن دينها وتعليمها وسعادتها كنيسة الله التى اشتراها بدمه (٢) .

ويذكر الدكتور ف . ب . ماير أن تصرف إبراهيم فى هذه الحادثة يزيدنا فهما للذبيحة التى قدمها الله لخلاصنا ، فإن خضوع إسحاق وهو موضوع على المذبح ورقبته معرضة للسكين ، يعطينا فكرة أعمق عن طاعة المسيح حتى الموت كذلك فإن إعادة إسحاق حياً كمن قام من الأموات بعد أن صار فى حكم المائت فى نظر والده ثلاثة أيام ، يعطينا فكرة عن قيام المسيح من الأموات فى

(١) رسالة بولس إلى العبرانيين ١١ : ١٧ - ١٩ .

(٢) السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم ج١ ص ١٥٧ سفر التكوين .

اليوم الثالث .

ثم يذكر أن الحقيقة تفوق الرمز : فإن إسحاق تألم وهو شاعر تماماً بوجود أبيه معه ، أما المسيح فقد تصاعدت من جنبه تلك الصرخات المدوية : « إلهي إلهي لماذا تركتني » .

وإسحاق بذل معه كل ما يمكن تخفيف آلامه وأحزانه ، أما المسيح فقد قاسى الأمرين من جند الرومان ، ثم من الكتبة والفريسيين (١) .
وإسحاق نجا من الموت .

أما المسيح فقد شرب الكأس حتى الشمالة (٢) .

وعلى هذا المنوال نسج شراح الكتاب المقدس ومفسروه من النصارى باذلين أقصى جهودهم في الربط بين إسحاق والمسيح ، واستغلال حادث الذبح في صنع متكأ يتكئون عليه ومصدر ينهلون منه ليدعموا هذه العقيدة التي أبطلها القرآن الكريم بطلاناً قاطعاً وحاسماً في قوله تعالى : ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ (٣) .

وقد توصل العلماء النصارى أنفسهم بعد امتداد حركة نقد الكتاب المقدس إلى ما أثبتته القرآن الكريم وبينوا أن هذه العقيدة عقيدة وثنية نقلها بولس اليهودي من الديانات الوثنية التي كانت سائدة في عصره وأفسد بها دين المسيح عليه السلام (٤) .

(١) وما قاساه المسيح عليه السلام من بولس اليهودي وأمثاله أمر بكثير .

(٢) حياة إبراهيم ص ١٥٧ .

(٣) النساء : ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٤) يراجع في ذلك كتاب طاهر التنير « العقائد الوثنية في الديانة النصرانية » تحقيق د / محمد عبد الله الشرفاوى نشر دار الصحوة بالقاهرة وكتاب شارل جينبير : المسيحية : نشأتها وتطورها ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود دار المعارف ١٩٨١ م .

المبحث الثاني
نقد ماورد في قصة الذبيح عند أهل الكتاب

المبحث الثانى : نقد ما ورد فى قصة الذبيح عند أهل الكتاب

وبعد أن عرضت للنصوص الواردة فى سفر التكوين ، والتي يعتمد عليها اليهود والنصارى ، والنصوص الواردة فى العهد الجديد والتي يعتمد عليها النصارى فقط ، حيث صرح فيها جميعاً باسم الذبيح على أنه إسحاق ، ننقل إلى مناقشتهم من خلال هذه النصوص نفسها ، ونصوص أخرى من أسفارهم :

الملاحظة الأولى :

أول ما نلاحظ على النصوص الواردة فى سفر التكوين أنها وصفت الابن الذبيح بأنه وحيد إبراهيم وكررت هذا الوصف ثلاث مرات :

« خذ ابنك وحيدك » ^(١) .

« فلم تمسك ابنك وحيدك عنى » ^(٢) .

« لم تمسك ابنك وحيدك » ^(٣) .

مع ملاحظة أخرى أن كلمة « إسحاق » أضيفت إلى كلمة « وحيدك » فى المرة الأولى فقط ، وفى المرتين الثانية والثالثة ذكرت كلمة « وحيدك » دون أن تقترن بكلمة « إسحاق » .

ولنا أن نتساءل : هل ينطبق على إسحاق هذا الوصف ؟ .

ولن نذهب بعيداً لنعرف جواب ذلك .

فمن خلال نصوص السفر نفسه نجد أن إسحاق قد ولد بعد إسماعيل إذ

(٢) تكوين ٢٢ : ١٢ .

(١) تكوين ٢٢ : ٢ .

(٣) تكوين ٢٢ : ١٦ .

كانت سارة عقيماً لاتلد^(١) .

فعرضت على إبراهيم أن يدخل بها جبر ، وحملت هاجر وحدث ما حدث من غير سارة منها وإذلالها حتى ولدت :

« وأما ساراي امرأة إبراهيم فلم تلد له ، وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر فقالت ساراي لإبراهيم ، هو ذا الرب قد أمسكني عن الولادة ، ادخل على جاريتي ، لعلني أرزق منها بنين ، فسمع إبراهيم لقول ساراي .

فأخذت ساراي امرأة أبرام هاجر المصرية جاريته من بعد عشر سنين لإقامة إبراهيم في أرض كنعان ، وأعطتها لأبرام رجلها زوجة له ، فدخل على هاجر فحبلت ، ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها في عينيها ، فقالت ساراي لإبراهيم ظلمي عليك ، أنا دفعت جاريتي إلى حضنك ، فلما رأت أنها حبلت صغرت في عينيها ، يقضي الرب بيني وبينك ، فقال إبراهيم لساراي هو ذا جاريتك في يدك افعل بها ما يحسن في عينيك ، فأذلتها ساراي ، فهربت من وجهها^(٢) .

وفي نهاية الإصحاح « فولدت هاجر لإبراهيم ابناً ، ودعا إبراهيم اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل » كان إبراهيم ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر لإسماعيل لإبراهيم^(٣) .

وإذا كان إبراهيم الخليل عليه السلام لم يولد له إسماعيل إلا في السادسة والثمانين من عمره ، فإن إسحاق لم يولد له إلا بعد أن بلغ المائة سنة من عمره كما ذكر السفر نفسه : جاء في الإصحاح الحادي والعشرين من هذا السفر : « وكان إبراهيم ابن مائة سنة حين ولد له إسحاق ابنه »^(٤) .

فبحساب التوراة اليهودية يكون إسماعيل قد بلغ الرابعة عشرة من عمره

(٢) تكوين ١٦ : ١ - ٦ .

(٤) تكوين ٢١ : ٥ .

(١) تكوين ١٦ : ١ ، ٢ .

(٣) تكوين ١٦ : ١٥ - ١٦ .

أثناء ولادة إسحاق .

بل إن سفر التكوين قد نص في موضع آخر على أن إسماعيل كان عمره ثلاث عشرة سنة حينما ختنه أبوه إبراهيم ، وقد تم هذا حينما بشر بإسحاق قبل أن تحمل به أمه سارة ، وكان عمره في هذا الوقت تسعا وتسعين سنة ^(١) .

وبناءً على ذلك فإنه لا يمكن أن يتحقق وصف الابن الوحيد لإسحاق إلا بموت إسماعيل في حياة أبيه .

ولكن الأسفار تذكر أن إسماعيل كان موجوداً أثناء فطام إسحاق ^(٢) .

بل إنها تثبت أيضاً أن إسماعيل ظل حياً حتى قام بدفن إبراهيم مع أخيه إسحاق عليهم السلام ^(٣) .

ولا ينطبق هذا الوصف إلا على إسماعيل طوال الأربعة عشر عاماً قبل مولد إسحاق .

معنى ذلك أن قصة الذبح هذه قد جرت حوادثها في هذه الفترة ، وكان بطلها إسماعيل وليس إسحاق .

ومعنى ذلك أيضاً أن وصف الابن الوحيد لا ينطبق على إسحاق بأي صورة من الصور ، وأن كلمة «إسحاق» لا تتلاءم مع هذا الوصف ، وأنها قد أقحمت إقحاماً وحشرت حشراً على النص ، إذ أنها لا تتفق مع وصف الابن الوحيد ، وأوجدت تناقضاً بين كون الابن الذبيح وحيد إبراهيم ، وبين كونه إسحاق .

ومما يدل على ذلك أن التوراة تحدثت عن الذبيح ووصفته بأنه «وحيدك» دون أن تقرنه بكلمة إسحاق كما سبق أن أشرت إلى ذلك .

(١) تكوين ١٧ : ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) تكوين ٢١ : ٩ .

(٣) تكوين ٢٥ : ٩ .

بل إن مما يؤكد إضافة كلمة « إسحاق » أن التلمود قد أورد هذه الفقرة خالية من كلمة « إسحاق »^(١) .

كذلك فإن إنجيل « برنابا » يذكر على لسان المسيح عليه السلام أن العهد صنع بإسماعيل لا بإسحاق ، وأن إسماعيل هو الذبيح .

فقد ورد في آخر الفصل الثالث والأربعين من إنجيل برنابا قوله على لسان المسيح « صدقوني لأنى أقول لكم الحق : إن العهد صنع بإسماعيل لا بإسحاق »^(٢) .

وفي بداية الفصل الرابع والأربعين ورد مايلى :

« حينئذ قال التلاميذ : « يامعلم هكذا كتب فى كتاب موسى أن العهد صنع بإسحاق ، أجاب يسوع متأوهاً : هذا هو الكتاب ولكن موسى لم يكتبه ولا يسوع ، بل أحبارنا الذين لا يخافون الله ، الحق أقول لكم : إنكم إذا أعملتم النظر فى كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبنا وفقهائنا لأن الملاك قال : يا إبراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله حقاً ، يجب عليك أن تفعل شيئاً لأجل محبة الله ، أجاب إبراهيم « ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله » فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلاً : « خذ ابنك بكرك إسماعيل ، واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة »^(٣) .

ومما يزيد التوكيد بشأن إضافة كلمة إسحاق أن النسخة العبرية تشتمل على

(١) ذكر بولانو أن الفقرة التى أوردت حادث الذبيح فى التلمود خالية من كلمة إسحاق ونقل ترجمتها بالعربية المهندس أحمد عبد الوهاب كالاتى :

« وكان كلام الرب إلى إبراهيم » « والآن خذ ابنك وحيدك الذى تحبه وأصعده محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك » فلسطين بين الحقائق والأباطيل ص ٥٠ - ٥١ طبع ونشر مكتبة وهبة ١٩٧٢ م .

(٢) إنجيل برنابا ص ٦٨ ترجمة الدكتور خليل سعادة قدم له الشيخ رشيد رضا - نشر مطبعة ومكتبة صبيح بالأزهر .

(٣) المصدر السابق

كلمة « بكرك » بدلاً من كلمة « وحيدك »^(١) .

ففى نقاش لى مع عدد من أساتذة اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة عين شمس^(٢) حول هذا الموضوع أطلعونى على النسخة العبرية للأسفار الخمسة ، ولسفر التكوين على وجه خاص ، وذكروا لى أن الترجمة العربية الصحيحة للكلمة التالية لكلمة « ابنك » هى كلمة « بكرك » وليست « وحيدك » .

ولفظ « بكرك » بدون شك ولاريب - أشد دلالة وأكثر تحديداً من لفظ « وحيدك » حيث إن الوحيد قد يكون بكرة وقد يكون غير بكر بافتراض موت البكر أو اغترابه .

ولم يكن إسحاق وحيد إبراهيم فى يوم من الأيام ، ولم يكن أيضاً بكره ، وإنما كان إسماعيل هو البكر وحده ، وانطبق عليه وصف « الوحيد » مدة أربعة عشر عاماً قبل مولد إسحاق وهى الفترة التى يرجح أن تكون حادثة الذبح والفداء قد تمت فيها .

نقد علماء الإسلام لما ورد فى تورااة اليهود :

هذا وقد تنبه إلى ذلك كله كثير من العلماء المسلمين ، حيث اطلعوا على نسخة التورااة اليهودية ، ولمسوا ما فى نصوصها من تناقض واضطراب ، واستدلوا بذلك على تحريف اليهود لها ، وتبديلهم لنصوصها .

فمن علمائنا القدامى نشير إلى شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية ، وتلميذه : الإمام ابن القيم ، والحافظ ابن كثير :

(١) هذا يؤكد صدق ماورد فى إنجيل برنابا ، وأن النسخة الأصلية كان فيها أن الذبيح إسماعيل ، ثم قام الكنية بحذفها ووضعوا مكانها كلمة « إسحاق » .

(٢) أذكر من هؤلاء الأساتذة : الدكتور محمد بحر عبد المجيد وله كتاب بعنوان « اليهودية » والدكتور محمد على حسن هواوى وعنوان رسالته (الدكتوراه) : الألوهية عند بنى إسرائيل منذ ظهور موسى حتى العودة من السبى البابلى - قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٨٣ م .

يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن في التوراة التي في أيدي اليهود أن الله سبحانه قال لإبراهيم « اذبح ابنك وحيدك » وفي ترجمة أخرى « بكرك » .

وإسماعيل هو الذي كان وحيداً وبكره ، باتفاق المسلمين وأهل الكتاب ، لكن أهل الكتاب حرفوا فزادوا « إسحاق » ^(١) .

ويضيف ابن القيم إلى كلام شيخه قائلاً : إن بكره ووحيداً هو إسماعيل باتفاق الملل الثلاث ، فالجمع بين كونه مأموراً بذبح بكره ، وتعيينه بإسحاق جمع بين النقيضين ^(٢) .

أما الحافظ ابن كثير فإنه يذكر أن بنى إسرائيل بدلوا وحرفوا وأولوا التوراة والإنجيل ، وخالفوا ما بأيديهم في هذا من التنزيل ، فعندهم أن الله تبارك وتعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه « وحيداً » وفي نسخة من المعربة « بكرك » فأقحموا ههنا كذباً وبهتاناً « إسحاق » .

ثم يذكر أن هذا لا يجوز لأنه مخالف لنص كتابهم ، حيث ورد فيه أن إسماعيل ولد لإبراهيم من العمر ست وثمانون سنة ، وأن إسحاق قد ولد بعد مضي مائة سنة من عمر الخليل ثم يؤكد ابن كثير أن إسماعيل هو البكر لا محالة ، وهو الوحيد صورة ومعنى على كل حال :

أما في الصورة فلأنه كان ولده أزيد « أكثر » من ثلاثة عشر عاماً ، وأما في المعنى فإنه هو الذي هاجر به أبوه ومعه أمه هاجر ، وكان صغيراً رضيعاً - فيما قيل - فوضعهما في وهاد جبال فاران وهي الجبال التي حول مكة ، وتركهما هنالك ليس معهما من الزاد والماء إلا القليل ، وذلك ثقة بالله وتوكلًا عليه ،

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ج ٤ ص ٣٣٢ ، منهاج السنة النبوية ج ٥ ص ٣٥٣ تحقيق د/ محمد رشاد سالم .

(٢) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان ج ٢ ص ٣٤٨ .
زاد المعاد ح ١ ص ٧٢ .

فحاطهما الله تعالى بعنايته وكفايته ، فنعم الحسيب والكافي والوكيل والكفيل ، فهذا هو الولد الوحيد في الصورة والمعنى ، ولكن أين من يتفطن لهذا السر ؟ وأين من يحل بهذا المحل ؟ والمعنى لا يدركه ويحيط بعلمه إلا كل نبيه نبيل !! .

ثم يذكر ابن كثير أن اليهود أقحموا إسحاق هنا لأنه أبوهم ، وإسماعيل أبو العرب ، فحسدوهم ، فزادوا ذلك وحرفوا وحيدك بمعنى الذي ليس عندك غيره فإن إسماعيل كان قد ذهب به وبأمه إلى مكة .

وهو تأويل وتحريف باطل ، فإنه لا يقال « وحيدك » إلا لمن ليس له غيره ^(١) .

ومن العلماء المحدثين نكتفى بالإمام الألوسي كمشال حيث يذكر أن الله تعالى امتحن إبراهيم كما ورد في التوراة ، فقال له : يا إبراهيم فقال : لبيك ، قال : خذ ابنك وحيدك الذي تحبه وامض إلى بلد العبادة ، وأصعبه ثم قربانا على أحد الجبال الذي أعرفك به فإن معنى « وحيدك » الذي ليس لك غيره .

ولا يصدق ذلك على إسحاق حين الأمر بالذبح ، لأن إسماعيل كان موجوداً إذ ذاك لأنه ولد لإبراهيم على ما في التوراة وهو ابن ست وثمانين سنة ، وولد إسحاق على ما فيها أيضاً وهو ابن مائة سنة .

وينتهي الألوسي إلى القول بأنه يعلم مما ذكر أن ما في التوراة الموجودة بأيدي اليهود اليوم من ذكر « إسحاق » بعد الذي تحبه من زياداتهم وأباطيلهم التي أدرجوها في كلام الله تعالى إذ لا يكاد يلتئم مع ما قبله ^(٢) .

ثم يذكر الألوسي أنه ناقش بعض اليهود في ذلك فأجابوه بأن إطلاق الوحيد على إسحاق ، لأن إسماعيل كان إذ ذاك بمكة ، وهو تحريف وتأويل باطل ، لأنه لا يقال « الوحيد » وصفاً للابن إلا إذا كان واحداً في البنوة ولم يكن

(١) راجع تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٤ قصص الأنبياء ج ١ ص ١٩٣ .

(٢) روح المعاني ج ٢٣ ص ١٣٤ .

له شريك فيها وناقش البعض الآخر فقالوا له : إن إطلاق ذلك عليه لأنه كان واحداً لأمه ولم يكن لها ابن غيره .

ويعقب على هذا بقوله « يبعد ذلك كل التبعيد إضافته إلى ضمير إبراهيم عليه السلام »^(١) .

وهكذا وجدنا علماءنا سواء منهم القدامى أو المحدثين - وقد اخترنا نماذج منهم - قد اطلعوا على التوراة التي بأيدي اليهود ، وقاموا بدراسة واعية وفحصوا نصوصها فحصاً كاملاً ، وناقشوا اليهود المعاصرين لهم في مسألة الذبيح ، وقاموا بإبطال حججهم ونقد آرائهم بعد أن أثبتوا لهم تضارب نصوصهم وتناقض أقوالهم ، واضطراب مصادرهم .

إلا أننا نلاحظ أن الإمام ابن تيمية وتلميذه الحافظ ابن كثير قد اطلعا على نسختين أو على ترجمتين إحداهما جاء فيها لفظ « بكرك » بدلاً من « وحيدك » ومن المرجح أنها النسخة العبرية والتي ترجمت ترجمة صادقة في هذه الكلمة بالذات .

أما الإمام الألوسي فلم يشر إلى هذه الترجمة أو إلى هذه النسخة وإنما ذكر أنه اطلع على النسخة التي بأيديهم وفيها لفظ « وحيدك » وليس « بكرك » .

وهذه هي الترجمة العربية الموجودة في العصر الحديث (٢) حيث قام اليهود والنصارى بإخفاء هذا اللفظ عند الترجمة إلى اللغة العربية ووضع كلمة « وحيدك » حتى يمكنهم تبريرها .

إلا أن وجود النسخة العبرية الآن دليل مؤكد على التحريف الذى وقع والزيادة التى أضيفت حيث أضيفت كلمة « إسحاق » إلى « بكرك »

(١) المصدر السابق ج ٢٣ ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(٢) راجع ترجمات العهد القديم فى مدخل كتابى « تأثر اليهودية بالأديان الوثنية » نشر دار البشير طنطا ١٩٩٤ م .

وحذفت كلمة « إسماعيل » .

وكما يقول الدكتور محمد أبو شهبة فإن اليهود حينما حرفوا التوراة ليتم لهم ما أرادوا أبى الله سبحانه إلا أن يغفلوا عما يدل على هذه الجريمة النكراء ، والجائى - غالبا - يترك ما يدل على جريمته ، والحق يبقى له شعاع ، ولو خافت ، يدل عليه مهما حاول المبطلون إخفاء نوره ، وطمس معالمه .

فقد حذفوا من التوراة لفظ « إسماعيل » ووضعوا بدلاً منه لفظ « إسحاق » ولكنهم غفلوا عن كلمة « وحيدك » التى كشفت عن هذا التزوير ، وذلك الدس المشين^(١) .

الملاحظة الثانية :

من خلال قراءة نص التوراة اليهودية الوارد فى سفر التكوين نلاحظ أنه وصف الذبيح بقوله « خذ ابنك وحيدك الذى تحبه » وذكرنا أن فى النسخة العبرية لفظ « بكرك » بدلاً من لفظ « وحيدك » .

وإذا كنا قد بينا بالدلائل الواضحة والبراهين الساطعة أن إسماعيل هو الذى ينطبق عليه وصف الابن الوحيد ووصف الابن البكر ، واعتمدنا فى ذلك على ماورد فى نصوص التوراة اليهودية نفسها .

إذا كنا قد بينا ذلك فإنه يبقى الآن أن نبين أن قول السفر عن الذبيح « الذى تحبه » ينطبق أيضا على إسماعيل وأنه الأجدر بالجمع بين الأوصاف الثلاثة معا :

الوصف بأنه الابن الوحيد لإبراهيم .

الوصف بأنه الابن البكر لإبراهيم .

الوصف بأنه الابن الذى يحبه إبراهيم .

(١) راجع كتابيه الاسرائيليات والموضوعات ص ٣٥٦ والسيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة ج ١ ص ١١٤ ، وانظر أيضا د / على عبد الواحد وافي : بحوث فى الإسلام والاجتماع ص ١٤١ .

وليس معنى ذلك أن إبراهيم عليه السلام لم يكن يحب إسحاق عليه السلام حاش وكلا ، إنه كان يحبه وفرح به قبل أن يولد حين بشر به ولكنه كان يحب إسماعيل أكثر لأنه كان وحيداً طوال أربعة عشر عاماً حسب ماورد في التوراة ، ولأنه ابنه البكر ، وغالباً فإن الأب يخصص ابنه البكر بمحبة تفوق محبة إخوته الباقين .

فلو رجعنا إلى سفر التكوين نجد أن محبة الخليل إبراهيم لابنه إسماعيل كانت واضحة جداً وبشكل بارز لدرجة أن كتبة التوراة لم يستطيعوا إخفاءها كما أخفوا كثيراً من الوقائع الدالة على هذه المحبة والتي وردت أيضاً في السنة النبوية ، وإن كان كتبة التلمود قد أشاروا إلى شيء منها .

ولنرجع أولاً إلى سفر التكوين فسوف نجد أن إبراهيم عليه السلام قد ظهر له الرب بعد مولد إسماعيل بثلاثة عشر عاماً ليؤكد له العهد ، ويجعل الختان له علامة ، ويبارك إبراهيم والصالحين فقط من نسله ويبيشره بإسحاق وليداً من سارة :

جاء في الإصحاح السابع عشر : « ولما كان إبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لإبرام وقال له : أنا الله القدير ، سر أمانى وكن كاملاً ، فأجعل عهدي بينى وبينك وأكثر كثيراً جداً ، فسقط إبراهيم على وجهه وتكلم الله معه قائلاً : أما أنا فهوذا عهدي معك وتكون أباً لجمهور من الأمم وأقيم عهدي بينك وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهداً أبدياً ... يختن منكم كل ذكر ، فتختنون فى لحم غرلتكم ، فيكون علامة عهد بينى وبينكم ... »

وقال الله لإبراهيم : ساراي امرأتك لاتدعو اسمها ساراي بل اسمها سارة وأباركها وأعطيك أيضاً منها ابناً »^(١) .

(١) راجع سفر التكوين ١٧ : ١ - ١٧ .

بعد أن سمع إبراهيم عليه السلام هذا الكلام ماذا قال :

« وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك » ^(١) .

فقد كان إسماعيل ابنه هو شغله الشاغل ولذلك فإنه اغتنم الفرصة وأخذ يدعو الله أن يكلأ إسماعيل برعايته فاستجاب الله له ووعدته خيراً في إسماعيل ^(٢) .

« وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً ، اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة » ^(٣) .

وعندئذ قام إبراهيم بختان ولده إسماعيل تحقيقاً للعهد ^(٤) .

وهناك موقف آخر ذكره أيضاً سفر التكوين .

فبعد أن تمت ولادة إسحاق من سارة طلبت من إبراهيم مدفوعة بغيرتها الشديدة أن يقوم بطرد هاجر وابنها إسماعيل ، وكأنها تشير له إلى أن إسماعيل لم يعد له مكان في حياته بعد أن ولد له إسحاق ، فماذا كان موقف الخليل إبراهيم ؟

إنه غضب كثيراً من قولها ، وساءه كثيراً أن تطلب منه هذا الطلب العجيب .

جاء في الإصحاح الحادى والعشرين :

« ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذى ولدته لإبراهيم يمزح ، فقالت لإبراهيم : اطرده هذه الجارية وابنها ، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى إسحاق فقبح الكلام جداً فى عينى إبراهيم لسبب ابنه » ^(٥) .

(١) تكوين ١٧ : ١٨ . (٢) أحمد عبد الوهاب : فلسطين بين الحقائق والأباطيل ص ٤٦ .

(٣) تكوين : ١٧ : ٢٠ . (٤) تكوين : ١٧ : ٢٦ .

(٥) تكوين ٢١ : ٩ - ١١ .

ففى هذا الموقف رغم أن إبراهيم صار له الآن ولدان - إسماعيل وإسحاق - كان يمكن أن يتعزى بولده إسحاق حين يفارقه إسماعيل ، إلا أن كلام سارة أغضب إبراهيم كثيراً ، وساءه أشد الاستياء لأنه كان موجهها ضد مستقبل ابنه الذى يحبه إسماعيل ^(١) .

إذا كان كتبه سفر التكوين لم يستطيعوا إخفاء هذين الموقفين فإن هناك مواقف عديدة تكشف بجلاء عن مدى العلاقة الحميمة والصلة الوطيدة بين إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام وخاصة فى مكة حينما قاما برفع القواعد من البيت .

يقول تعالى ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ ^(٢) .

ومن المواقف التى تثبت بجلاء مدى تعلق إبراهيم الخليل بابنه إسماعيل وحرصه على زيارته والاطمئنان عليه بعد أن تركه هو وأمه هاجر فى مكة ، ذلك الموقف الذى ورد فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ، والذى وردت قصته فى أسفار التلمود :

قال ابن عباس رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم ضمن حديث طويل سنذكره كله فيما بعد ^(٣) :

« وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع بركته فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت : خرج يبتغى لنا ، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت : نحن بشر نحن فى ضيق وشدة ، فشكت إليه قال : فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام وقولى له : يغير عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل وكأنه أنس شيئاً فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم ، جاءنا شيخ كذا وكذا

(١) فلسطين بين الحقائق والأباطيل ص ٤٦ . (٢) البقرة : ١٢٧ .

(٣) عند ذكر حجج القائلين بأن الذبيح إسماعيل من المسلمين .

فسألنا عنك فأخبرته وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا في جهد وشدة .

قال : فهل أوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول : غير عتبة بابك .

قال : ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك ، الحقى بأهلك ، فطلقها وتزوج منهم - أى من قبيلة جرهم - أخرى ، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ، ثم أتاهم بعد فلم يجده ودخل على امرأته ، فسألها عنه فقالت : خرج يبتغي لنا قال : كيف أنتم ، وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت : نحن بخير وسعة ، وأنت على الله عز وجل ، قال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم ، قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء .

قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء

قال : فإذا جاء زوجك فاقرئني عليه السلام ، ومريه يثبت عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل قال : هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأنت عليه فسألني عنك فأخبرته ، وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير قال : أفأوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، وهو يقرئ السلام عليك ، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك ، قال ذاك أبي وأنت العتبة ، وأمرني أن أمسكك ^(١) .

وبعد ذلك جاءهم الخليل وقام هو وإسماعيل ببناء البيت ^(٢) .

وقد أورد التلمود هذه القصة ضمن شذرات ذكرها عن حياة إسماعيل وعلاقته بأبيه .

يقول التلمود : « لقد عاش إسماعيل مع أمه فترة من الزمن في بركة فاران ،

(١) هذه القصة ضمن حديث طويل رواه البخارى في صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما راجع فتح البارى لابن حجر حديث رقم ٣٣٦٤ كتاب الأنبياء ج٦ ص ٣٩٦ - ٣٩٨ المطبعة السلفية ومكتبتها.

(٢) راجع شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للحافظ أبى الطيب تقي الدين ج٢ ص ٤ .

ثم رحل إلى مصر حيث تزوج إسماعيل وأنجب هناك أربعة أولاد وبنتاً واحدة ، لكنه سرعان ما عاد إلى البرية موطنه المفضل حيث بنى الخيام لنفسه ولعائلته وشعبه ، فقد باركه الله وجعله مالكا للكثير من قطعان الماشية والأغنام .

وحدث بعد عدة سنوات أن استسلم إبراهيم لرغبة كانت تتملكه دائماً لزيارة الله إسماعيل ، فأخبر سارة بذلك ثم بدأ رحلته على جمل .

ولما وصل إلى مسكن ابنه إسماعيل وجده خارجاً يصطاد ووجد زوجته التي لم تكن تعرف حماها فعاملته بجفاء ، ورفضت تقديم الماء والطعام إليه ، فقال لها إبراهيم :

« عندما يعود زوجك ، صفى له مظهرى ثم قولى له : جاءنا رجل عجوز من أرض الفلسطينيين وهو يطلب منك أن تستبدل وتدخيمتك بآخر أصلح منه ثم ركب إبراهيم دابته وانصرف ، ولما عاد إسماعيل وقصت عليه زوجته الخبر أيقن إسماعيل أن الزائر كان أباه إبراهيم ، وأن زوجته لم تحسن معاملته ، فطلقها وتزوج بأخرى . »

ويذكر التلمود أن القصة تكررت ثانية بعد نحو ثلاث سنوات ، ولكن فى تلك المرة كانت زوجة إسماعيل الجديدة كريمة مع حميها ، ولما رجع إسماعيل إلى بيته وعلم ما حدث سرَّ كثيراً بزوجه ، ثم « أخذ زوجته وعائلته وسافر لزيارة والده ، وبقوا معه هناك فى أرض فلسطين عدة أيام » ^(١) .

وقد قام المهندس أحمد عبد الوهاب بترجمة هذه القصة من الترجمة الإنجليزية للتلمود إلى اللغة العربية ، واستخلص منها عدة دلالات هامة منها :

* أن إبراهيم كان شديد التعلق بابنه إسماعيل رغم استقرار حياته مع سارة

(١) راجع كتاب المهندس أحمد عبد الوهاب : فلسطين بين الحقائق والأباطيل ص ٤٧ وقد نقل هذه القصة عن الكاتب اليهودى بولانو من الترجمة الإنجليزية للتلمود .

وابنها إسحاق ، وكان إسماعيل هو الابن المقرب إلى قلب أبيه .

* كذلك نعلم أن موطن إسماعيل كان بعيداً عن أرض الفلسطينيين بحيث لوظهر فيه رجل منهم لكان غريباً ، ولقد كان ذلك الموطن في الصحراء العربية المجاورة لفلسطين حيث الجمل هو وسيلة الانتقال الرئيسية .

* وكل هذا يتفق مع ما ذكره المصادر الإسلامية والمراجع العربية من هجرة إسماعيل إلى الحجاز واستقراره هناك ، ثم دوام الصلة بينه وبين أبيه حتى أواخر أيامه .

ومن كل ذلك يتضح أن إسماعيل كان هو الشخص الوحيد الذي يمكن أن يخاطب فيه إبراهيم فيقال له : « ابنك وحيدك الذي تحبه » ^(١) .

فإسماعيل إذن هو الذي ينطبق عليه وصف الابن الذي يحبه أبوه لأنه بكره ووحيد .

وقد استدل الإمام ابن القيم بذلك على أن إسماعيل هو الذبيح فذكر أن الله سبحانه أجرى العادة البشرية على أن بكر الأولاد أحب إلى الوالدين من بعده .

وإبراهيم عليه السلام لما سأل ربه الولد ، ووهبه له ، تعلقت شعبة من قلبه بمحبته والله سبحانه قد اتخذته خليلاً ، والخلة منصب يقتضى توحيد المحبوب بالحب ، وأن لا يشارك بينه وبين غيره فيها والخلة تتضمن أن يكون قلبه كله متعلقاً بربه ليس فيه شعبة لغيره ، فلما أخذ الولد شعبة من قلب الوالد ، جاءت غير الخلة تنتزعها من قلب الخليل ، حيث أراد خليله سبحانه أن تكون تلك الشعبة له ليست لغيره من الخلق ، فامتحنه بأن أمره بذبح المحبوب ، فلما أقدم على الامتثال ، وكانت محبة الله أعظم عنده من محبة الولد ، خلصت الخلة ، حينئذ من شوائب المشاركة ، فلم يبق إذن في الذبح مصلحة ، إذ كانت المصلحة إنما

(١) فلسطين بين الحقائق والأباطيل ص ٤٧ - ٤٨ مكتبة وهبة ١٩٧٢ م .

هى فى العزم وتوطنين النفس على الامتثال ، فقد حصل المقصود ، فنسخ الأمر بالذبح ، وفدى الذبيح ، وصدق الخليل الرؤيا ، وحصل مراد الرب .

ومن المعلوم أن هذا إنما يكون فى أول الأولاد ، لا فى آخرهم فلما حصل هذا المقصود من الولد الأول لم يحتج فى الولد الآخر إلى مثله ، ولم يكن يحصل فى المولود الآخر دون الأول ، بل لم يحصل عند المولود الآخر من مزاحمة الخلّة ما يقتضى الأمر بذبحه وهذا فى غاية الظهور ^(١) .

ويذكر الحافظ ابن كثير أن أول ولد له محبة خاصة لاتتأتى لمن بعده من الأولاد فالأمر بذبحه ابلغ فى الابتلاء والاختبار ^(٢) .

ويرى الإمام الألوسى أن قول التوراة « الذى تحبه » أليق بإسماعيل لأن أول ولد له من المحبة فى الأغلب ما ليس لمن بعده من الأولاد ^(٣) .

الملاحظة الثالثة :

وإذا كان قد ثبت من خلال نصوص أسفار اليهود والنصارى هذا التناقض الصارخ ، وذلك الاضطراب الفاضح ، فماذا يقولون وكيف يبررون إطلاق البكورية والواحدية على إسحاق دون إسماعيل عليهما السلام ؟

يتعلل أهل الكتاب ، من اليهود والنصارى بحجة واهية ، ولكنهم تمسكوا بها انطلاقاً من عنصريتهم البغيضة ، وعصبيتهم المقيتة ، لإسحاق دون أخيه إسماعيل ، ولنسل إسرائيل دون نسل إسماعيل .

(١) راجع ابن القيم : زاد المعاد فى هدى خير العباد ج١ ص٧٤ - ٧٥ ، إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان ج٢ ص٣٥٠ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٤ قصص الأنبياء ج١ ص١٩٣ .

(٣) روح المعانى ج٢٣ ص١٣٤ .

فهم يزعمون أن البكورية قد سقطت عن إسماعيل بسبب أن أمه كانت جارية ، فاعتبروا بذلك أن إسحاق هو البكر .

ويكفى أن نرجع إلى سفر التثنية ليتبين لنا بطلان تلك الحجة التي استندوا عليها ، حيث يبين لنا السفر أن كون إسماعيل ابن جارية كما يزعمون لا يسقط حق بكوريته ، فإن البكورية تثبت لصاحبها وحق مقرر له ، سواء كانت أمه متساوية مع أم أخيه ، أو كانت دونها في المنزلة :

يقول السفر « إذا كان لرجل امرأتان (زوجتان) : إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة ، فولدتا له بنين المحبوبة والمكروهة ، فإن كان الابن البكر للمكروهة ، فيوم يقسم لبنيه ما كان لايحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكرأ على ابن المكروهة البكر ، بل يعرف ابن المكروهة بكرأ ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده لأنه هو أول قدرته له حق البكورية » (١) .

معنى ذلك أن حق البكورية ثابت ومقدس ، لا ينتفى ولا يزول بكون الزوجة مكروهة أو محبوبة .

فإن قيل إن هاجر لم تكن زوجة لإبراهيم وإنما كانت من سراريه وقد قال بذلك اليهود والنصارى لينالوا من السيدة هاجر رضى الله عنها ، ولكننا نأتى لهم أيضا بنصوص من أسفارهم تقطع بعكس ما يقولون وتثبت ضد ما يزعمون .

حيث ورد في سفر التكوين :

« فأخذت ساراي امرأة إبراهيم هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لإقامة إبراهيم في أرض كنعان ، وأعطتها لإبراهيم رجلها زوجة له » (٢) .

كذلك فإنه قد ورد في نفس السفر أن « راحيل » زوجة يعقوب الثانية ، حينما وجدت نفسها عقيماً لاتلد ، طلبت منه عليه السلام أن يدخل بجاريتها

(٢) تكوين ١٦ : ٣ .

(١) تثنية : ٢١ : ١٥ - ١٧ .

« بلهة » .

ووجه الاستشهاد أن عبارة السفر تقطع بأن هذه الجارية قد صارت زوجة « فأعطته بلهة جاريته زوجة ، فدخل عليها يعقوب » (١) .

وفى نفس السفر أيضا حدث أن « ليثة » زوجة يعقوب الأولى قدمت أيضا جاريته زوجة ليعقوب ، بعد أن توقفت عن الولادة :

« ولما رأت ليثة أنها توقفت عن الولادة أخذت « زلفة » جاريته ، وأعطتها ليعقوب زوجة » (٢) .

وقد أنجبت كل من هاتين الجاريتين « بلهة » و « زلفة » ليعقوب أربعة من البنين : « دان » و « نفتالي » من « بلهة » و « جاد » و « أشير » من « زلفة » وقد تساوا جميعاً مع أبناء يعقوب الباقيين الذين ولدتهم « ليثة » و « راحيل » زوجته (٣) .

وهكذا فإن « هاجر » عليها السلام زوجة لإبراهيم وأم لإسماعيل عليهما السلام ويتساوى ولدها إسماعيل مع ولد سارة « إسحاق » عليهما السلام (٤) حسب ماورد في سفر التكوين ، ومثلما تساوى أبناء يعقوب الاثنا عشر جميعاً رغم أن أربعة منهم ولدتهم جاريته لزوجتيه ، ولكنهما أصبحتا زوجتين ليعقوب كما أن هاجر أصبحت زوجة لإبراهيم الخليل .

بل إن سفر التكوين يرفع مكانة هاجر إلى درجة مناداة ملاك الله لها من السماء ومخاطبتها بكلام الله ، وقد حدث هذا مرتين :

(١) تكوين ٣٠ : ١ - ٤ .

(٢) تكوين ٣٠ : ٩ .

(٣) تكوين ٣٥ : ٢٣ - ٢٦ .

(٤) وليس كما يزعم بولس اليهودي في رسالته لأهل غلاطية « فإنه مكتوب أنه كان لإبراهيم ابنان واحد من الجارية والآخر من الحرة ، لكن الذى من الجارية ولد حسب الجسد وأما الذى من الحرة فالمرء » ٤ : ٢٢ - ٢٣ .

فى المرة الأولى ورد فى الإصحاح السادس عشر أن هاجر هربت من وجه ساراي بعد أن أذلّتها « فوجدها ملاك الرب على عين الماء فى البرية ، على العين التى فى طريق شور ، وقال : يا هاجر جارية ساراي من أين أتيت ؟ وإلى أين تذهبين ؟ .

فقالّت : أنا هاربة من وجه مولاتى ساراي ، فقال لها ملاك الرب : ارجعى إلى مولاتك واخضعى تحت يديها .

وقال لها ملاك الرب : تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة .

وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبلى فتلدين ابناً ، وتدعين اسمه « إسماعيل » لأن الرب قد سمع لمذلتك ، وأنه يكون إنساناً وحشياً يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه ، وأمام جميع إخوته يسكن ، فدعت اسم الرب الذى تكلم معها أنت إيل رُئى ، لأنها قالت : ههنا أيضاً رأيت بعد رؤية ، لذلك دعيت البئر بئر لحي رُئى (١) .

فمن خلال هذا النص يتبين لنا مكانة السيدة هاجر عند الرب فى تصور اليهود ، وكيف أنه أرسل لها ملاك الرب ليخاطبها ويحدثها حتى يثبت قلبها ، وتهذأ نفسها .

ثم ألقى بهذه البشارات التى تنبئ عن مكانتها عند الله سبحانه ، ومكانة ابنها إسماعيل .

وأما فى المرة الثانية فكما يذكر الإصحاح الحادى والعشرون أن هاجر بعد أن تركها إبراهيم هى وابنها مضت وتاهت فى البرية « ولما فرغ الماء من القرية طرحت الولد تحت إحدى الأشجار ، ومضت وجلست مقابله بعيداً نحو رمية قوس ، لأنها قالت : لا أنظر موت الولد ، فجلست مقابله ، ورفعت صوتها

(١) تكوين ١٦ : ٧ - ١٤ .

وبكت ، فسمع الله صوت الغلام ، ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها : مالك يا هاجر ؟ لاتخافى لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو ، قومى احملى الغلام وشدى يدك به لأننى سأجعله أمة عظيمة ، وفتح الله عينيها فأبصرت بشر ماء ، فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام ، وكان الله مع الغلام فكبر ، وسكن فى البرية ، وكان ينمو رامى قوس ، وسكن فى برية فاران وأخذت له أمة زوجة من أرض مصر » (١) .

معنى ذلك أن بعض نصوص التوراة اليهودية تصف هاجر عليها السلام بما تستحق من رفعة وتكريم ، وأن ملاك الرب قد خاطبها وشد من أزرها ، وربط على قلبها ، وبشرها بإسماعيل وبأنه سيكون أمة عظيمة ، وأن نسله سيكون وسيرتفع اسمه وتنتشر ذريته .

وبناءً على هذا فإن أى محاولة للنيل من السيدة هاجر عليها السلام ، أو الغض من مكانتها عند الله سبحانه أو عند الخليل إبراهيم عليه السلام ، بما يترتب على ذلك من إسقاط حق إسماعيل فى ميراث أبيه الدينى ، ونزع البكورية منه ، تعد مخالفة صريحة لنصوص التوراة اليهودية نفسها ، سواء كانت هذه المحاولة فى صورة نصوص أخرى من التوراة تتناقض مع ما أوردناه ، أو فى صورة تعليقات من شراح العهد القديم من اليهود والنصارى (٢) .

(١) تكوين ٢١: ١٥ - ٢١ .

(٢) من يرجع إلى مفسرى العهد القديم وشراحه يجد أنهم يتوقفون عند هذه النصوص ، فلا يعترفون بما ورد فيها من رفع مكانة هاجر وعلو منزلتها ، ويركزون على النصوص الأخرى التى تنال منها رغم أنها مضافة إلى النصوص الأصلية ومتقولة على السيدة هاجر حقداً عليها وعلى ابنها إسماعيل ، ناهيك عن انحذارهم فى قاع الشتائم وانغماسهم فى مستنقع السباب حينما يتحدثون عنها ولتضرب مثلاً على هذا الانحطاط بصاحب كتاب « حياة إبراهيم » الدكتور ف. ب ماير الذى قام بترجمته القمص مرقس داود ونشرته مكتبة « الحبة » بالقاهرة يقول هذا المخلوق « نحن لاندش من تصرفات هاجر مع سيدتها إذ عبرتها بوقاحة ، فماذا يمكن أن ينتظر من جارية كهذه وضیعة الأصل » ثم يلزم سيدنا إبراهيم الخليل بقوله : « ولكننا نحزن عندما نراها ونرى ربوات من النساء غيرها صرن ضحية تصرفات الرجال الشهوانية الطائشة والأنانية » ويقصد زواجه عليه =

الملاحظة الرابعة :

هذا وبالرغم من أحقية إسماعيل عليه السلام بالبكورية ، وبطلان نزعها منه حسب ماورد فى أسفارهم ، إلا أن اليهود تناقضوا مع أنفسهم ، ولم ينقادوا للنصوص الواردة فى أسفارهم المقدسة والتي أشرنا إليها آنفاً ، فنراهم قد ذكروا فى مواضع أخرى من أسفارهم ، أن إسماعيل عليه السلام قد حرم من ميراث أبيه ، وأن إسحاق وحده هو الوريث وله حق البكورية :

جاء فى سفر التكوين أن إبراهيم أعطى لإسحاق كل ما يملك ، وصرف عنه بقية أبنائه :

« وأعطى إبراهيم إسحاق كل ما كان له ، وأما بنو السراى اللواتى كانت لإبراهيم ^(١) فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحاق ابنه شرقاً إلى أرض المشرق وهو بعد حى » (٢) .

معنى ذلك أن إسحاق قد نال خصوصية تفرد بها دون سائر إخوته ، وتظهر هذه الخصوصية - حسب زعمهم - فى أن الله سبحانه قد أقام العهد مع إسحاق وحده دون أخيه إسماعيل .

= السلام من هاجر ، ثم يذكر أن هاجر أخذت من مركزها الحقيقى ووضعت فى مركز زائف أصبحت فيه أما دون أن تكون زوجة شرعية ص ٨٥ - ٨٦ .

هكذا وبهذا التطاول ، ومع التطاول مخالفة لنصوص الكتاب المقدس التى تكرم هاجر وتجعلها زوجة شرعية ، وتنص على أنها حظيت بمخاطبة ملاك الرب والكتاب مملوء بالشتائم والإهانات واللعنات يصحبها هذا المؤلف على رءوس الأنبياء وزوجاتهم وأمهاتهم ، وما نقلته عنه إنما هو قطرة من بحر ، ولولا أننى أربأ بقرائى الكرام عن قراءة مثل هذه المهازل لما تعففت عن ذكرها وفضحتها (١) ورد فى سفر التكوين أن إبراهيم عليه السلام تزوج للمرة الثالثة من امرأة تسمى « قطورة » وأنها ولدت له « زمران » و « يقشان » و « مدان » و « مديان » و « يشباق » و « شوحار » (١١ : ١ - ٧) وبذلك يكون إبراهيم قد أنجب ذرية أخرى بعد إسماعيل من هاجر وإسحاق من سارة فتكون ذرية إبراهيم كما وردت فى السفر محصورة فى ذريتهما وفى أولاد « قطورة » حيث أنجب أبناؤها أولاداً وأطلق عليهم جميعاً « بنو قطورة » تكوين ٢٥ : ٣ - ٤ .

(٢) تكوين ٢٥ : ٥ - ٦ .

فبعد أن أقام الرب العهد بينه وبين إبراهيم على أن يدوم هذا العهد مع نسله جميعاً بمن فيهم إسماعيل وإسحاق حيث يقول : « وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك وأعطي لك ولنسلك من بعدك في أرض غربتك » (١) .

وأمره الرب بحفظ العهد هو ونسله أيضاً من بعده حيث ورد في سفر التكوين : « وأنت ولنسلك من بعدك في أجيالهم هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك » (٢) .

بعد ذلك إذا بنا نفاجأ بأن الرب - في زعمهم - يخص إسحاق وحده بالعهد :

جاء في سفر التكوين « بل سارة امرأتك تلد لك ابناً ، وتدعو اسمه إسحاق وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده » (٣) .

وحيثما طلب إبراهيم من الرب سبحانه أن يقيم العهد مع إسماعيل كان الرد عليه حسب زعمهم « وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه وأثمه ، وأكثره كثيراً جداً ، ولكن عهدي أقيم مع إسحاق » (٤) .

واستمرراً في هذا التمييز وذلك الاختصاص إذا بسارة يوم فطام « إسحاق » رأت ابن هاجر المصرية يمزح فقالت لإبراهيم : « اطرده هذه الجارية وابنها ، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق » (٥) .

فسارة إذن - كما يزعمون - هي التي أشارت بحرمان إسحاق من ميراث أبيه وأما إبراهيم الخليل فإنه لم يوافق على ذلك بل كما قال السفر : « فقبح الكلام جداً في عيني إبراهيم لسبب ابنه » (٦) .

(١) تكوين ١٧ : ٧ - ٨ . (٢) تكوين ١٧ : ٩ .

(٣) تكوين ١٧ : ٢٩ . (٤) تكوين ١٧ : ٢٠ - ٢١ .

(٥) تكوين ٢١ : ٩ . (٦) تكوين ٢١ : ١١ .

وعند ذلك يبادر السفر فيعضد مشورة سارة بوحى الرب : « فقال الله لإبراهيم : لا يقبح فى عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك ، فى كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها ، لأنه بإسحاق يدعى لك نسل » (١) .

والذى يقرأ سفر التكوين يلاحظ أن العهد الذى قطعه الرب مع إبراهيم حدث للمرة الأولى ، وكان وقتها فى الخامسة والسبعين من عمره (٢) حيث باركه الرب وبارك نسله ، ووعد به بأرض كنعان له ، ولنسله من بعده ، وتكرر هذا الوعد بعد ذلك قبل ولادة إسماعيل عليه السلام (٣) .

بل إن إبراهيم قال للرب : إنك لم تعطينى نسلاً وهوذا ابن بيتى وارث لى ، فإذا كلام الرب إليه قائلاً : لا يرثك هذا بل الذى يخرج من أحشائك هو يرثك (٤) .

وبعد أن أنجب إبراهيم إسماعيل وهو فى السادسة والثمانين من عمره تكرر الوعد له ولنسله (٥) .

ولم يكن إبراهيم قد أنجب أحداً سوى إسماعيل ، إذ تكرر العهد وهو فى التاسعة والتسعين من عمره (٦) .

ولم ينبج إسحاق إلا بعد أن بلغ المائة من عمره (٧) .

معنى ذلك أن الرب سبحانه كان يعنى إسماعيل بهذا العهد ، بل قال له الرب : الذى يخرج من أحشائك ، وإسماعيل باتفاقهم ولد إبراهيم من صلبه ومن أحشائه على حد تعبيرهم ، بل إن الرب قال لإبراهيم : « وابن الجارية لإسماعيل » أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك (٨) .

(١) تكوين ٢١ : ١٢ . (٢) تكوين ١٢ : ١-٧ . (٣) تكوين ١٣ : ١٤-١٧ / ١٥ : ١٨ .

(٤) تكوين ١٥ : ١-٤ وابن بيته هو « اليعازر الدمشقى » وكان مالكا على بيته .

(٥) تكوين ١٦ : ١٦ . (٦) تكوين ١٧ : ١-٨ .

(٧) تكوين ١٧ : ١٧ . (٨) تكوين ٢١ : ١٣ .

والسؤال الآن : ما الذى جعل الرب - فى زعمهم - يغير رأيه - وحاشاه سبحانه - ويتخطى بوعده إسماعيل ليحظى به إسحاق ؟

هل هى مشورة سارة كما زعموا ؟ وهل يمكن أن يستجيب الخليل لها فى مثل هذه الأمور ؟ .

!كنهم دعموا تلك المشورة بوحي الرب كما رأينا حيث طلب منه الرب وأمره أن يسمع لقولها .

إنهم حاولوا مزيداً من الدعم لذلك الاختصاص المزعوم بإضافة سبب آخر ، أو دعوى جديدة وهى أن إسحاق كان هو الذبيح - وهذا هو بيت القصيد - وقد تأكد العهد لإبراهيم بعد أن أطاع الرب ولم يمسك ابنه وحيدته عنه .

والحقيقة أنه تأكد أن العهد لإبراهيم بعد أن أطاع الرب ولم يمسك ابنه وحيدته إسماعيل عنه ، وتأكد لإسماعيل بعد أن أطاع الرب وأطاع أباه ولم يمنع نفسه منهما لكن اليهود زعموا أن إسحاق هو الذبيح ليحققوا ما عزموا عليه من استثنائه واختصاصه بميراث أبيه دون إسماعيل :

يذكر الأستاذ عباس العقاد أن إصرار اليهود على جعل إسحاق هو الذبيح دون إسماعيل له جانب هام يفوق فى أهميته جانب البحث التاريخي الذى يراد به مجرد العلم باسم الذبيح من ابني إبراهيم ، فإنه اختلاف يتعلق به اختيار الشعب الموعود ، ويتعلق به الحذف والإثبات فى سيرة إبراهيم ، ليتصل بذرية إسحاق وينقطع عن ذرية إسماعيل ، أو ليثبت من سيرته كل ما يتعلق بإسرائيل ، وينقطع منها كل ما يتعلق بالعرب .

ويذكر أن هذا النزاع قد بدأ قديماً قبل تدوين نسخ التوراة التى كتبت فى بابل أى قبل الميلاد بعدة قرون (١) وهذا النزاع على العقيدة لم يكن فى نشأته إلا

(١) راجع فقدان اليهود للتوراة السماوية المنزلة على سيدنا موسى وقيامهم بكتابة توراتهم أثناء سبيهم فى بابل فى كتاب « تأثير اليهودية بالأديان الوثنية » الباب الثانى نشر دار البشير بطنطا ١٩٩٤ م .

فرعاً من فروع التنازع على الميراث ، ولم يكن شأن الذرية الموعودة أو المختارة إلا أنها تعزز دعواها في ذلك النزاع ، وتنفي عنها من ينازعها عليه (١) .

فاعتقاد اليهود إذن في أن إسحاق هو الذبيح جاء استكمالاً لاستبعاد إسماعيل ، واستئثار إسحاق بميراث أبيهما إبراهيم عليهما السلام حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق .

أرسل عمر بن عبد العزيز وهو خليفة إلى رجل كان عنده بالشام ، وكان يهودياً فأسلم فحسن إسلامه ، وكان يرى أنه من علماء يهود ، فسأله عمر بن عبد العزيز : أى ابنى إبراهيم أمر بذبحه فقال : إسماعيل والله يا أمير المؤمنين ، وإن يهود لتعلم بذلك ، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذى كان من أمر الله فيه ، والفضل الذى ذكره الله منه لصبره لما أمر به ، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق لأن إسحاق أبوهم (٢) .

وقد تنبه إلى ذلك كثير من علماء المسلمين .

يذكر الإمام ابن القيم أنه سمع من شيخه الإمام ابن تيمية يقول إن فى التوراة التى فى أيدي اليهود : أن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بكره وفى لفظ : وحيداً ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده .

والذى غرَّ أصحاب هذا القول أن فى التوراة التى بأيديهم : اذبح ابنك إسحاق ، وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم ، لأنها تناقض قوله : اذبح بكرك ووحيدك ، ولكن اليهود حسدت بنى إسماعيل على هذا الشرف ، وأحبوا أن يكون لهم ، وأن يسوقوه إليهم ، ويحتازوه لأنفسهم دون العرب ، ويأبى الله إلا أن يجعل فضله لأهله (٣) .

(١) إبراهيم أبو الأنبياء ص ٨٧ منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت .

(٢) تفسير الطبرى ج ٢٣ ص ٥٤ تاريخ الطبرى ج ١ ص ٢٧٠ ، تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٨ .

(٣) زاد المعاد ج ١ ص ٧٢ .

وبيين الحافظ ابن كثير أن الذي حمل اليهود على التحريف وجعل إسحاق هو الذبيح حسدهم للعرب ، فإن إسماعيل أبو العرب الذين يسكنون الحجاز الذين منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإسحاق والد يعقوب - وهو إسرائيل - الذي ينتسبون إليه .

فأرادوا أن يجروا هذا الشرف إليهم ، فحرفوا كلام الله ، وزادوا فيه ، وهم قوم بهت ، ولم يقرروا بأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء (١) .

ومن هذا المنطلق فإن مصادر اليهود التي ترجع إلى القرن السابع ق . م قد سكنت كل السكوت عن حالة العرب الدينية ، وتعتمد هذه المصادر أن تخرج أبناء إسماعيل من حقوق الوعد الذي تلقاه إبراهيم من الله ، وقالت إن هذا الوعد إنما هو حق لأبناء إبراهيم من سلالة إسحاق .

ويرجع ذلك إلى أمرين :

الأمر الأول : أن انتساب العرب إلى إسماعيل كان تاريخاً مقررراً لاسبيل إلى إنكاره ، عند كتابة المصادر اليهودية التي حصرت النعمة الموعودة في أبناء إسحاق ، بدليل أنه لو لم يكن كذلك ، لما كانت بهم حاجة إلى التمييز بين أبناء إسحاق وأبناء إسماعيل ، إذ كان يكفي أن يقال : إن النعمة الموعودة من نصيب أبناء إبراهيم عامة ليخرج من هذا الوعد من لم يكن من اليهود الذين لا ينازعهم أحد في الانتساب إلى إبراهيم .

وبناء عليه لم يكن ثمة مناص من التفرقة بين أبناء إبراهيم من سلالة إسماعيل وأبناء إبراهيم من سلالة إسحاق .

الأمر الثاني : أن كهان اليهود كانوا يحسون من العرب منافسة دينية ، فضلاً عن المنافسة الدنيوية ، فلو لم يكن للعرب حياة دينية يخشى الكهان

(١) قصص الأنبياء جـ ١ ص ١٤٣ .

منافستها ، لكان يكفيهم أن يحصروا وعد إبراهيم في أبنائه المؤمنين دون أبنائه الوثنيين ، الذين لا يعرفون الله الواحد الأحد ، فيخرج العرب بهذا الاستثناء من وراثة إبراهيم الروحية ولا تدعو الحاجة إلى أكثر من ذلك الاستثناء .

ولاشيء غير خطر المنافسة في النسب ، وخطر المنافسة في العقيدة الدينية – فيما يقول العقاد – يلجئ الكهان إلى حصر النعمة الموعودة في أبناء إسحاق دون أبناء إبراهيم .

وقد لوحظ أن الكهان يحصرون النسب شيئاً فشيئاً كلما أحسوا بخطر المنافسة على سلطانهم ، وسلطان هيكلمهم على الخصوص ، فخصصوا أبناء يعقوب بعد أن كان الوعد عاماً شاملاً لأبناء إسحاق أجمعين ، وقالوا إن الإسرائيليين هم أبناء يعقوب – أى إسرائيل – دون غيره (١) .

وهذا هو ماسنينه في النقطة التالية :

نزع البكورية واغتصاب البركة ليعقوب :

فقد ورد في سفر التكوين أن يعقوب (٢) عليه السلام سعى بذلك لأن أمه رفقة كانت عاقراً ، فصلى إسحاق لأجلها فحبلت ، فلما حان وقت ولادتها إذا في بطنها توأمان ، فخرج الأول كثر الشعر ، أحمر اللون ، فدعى اسمه « عيسو » وبعده خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو فدعى اسمه يعقوب (٣) .

ويصور السفر العلاقة بين هذين التوأمين تصويراً يعكس كل صفات اليهود

(١) انظر ذلك بالتفصيل في كتابه : إبراهيم أبو الأنبياء ص ١١٥ - ١١٧ .

(٢) يعقوب : اسم عبري معناه « يمسك العقب ، يحل محل » (قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٧٣) وهو ثالث الآباء الأوائل لليهود ، بل إنهم ينتسبون إليه أكثر مما ينتسبون إلى جده الخليل إبراهيم عليهما السلام ، حيث إن كثيراً من الأمم تنسب إلى الخليل ، وأما يعقوب فقد سماه بني إسرائيل نسبة إليه .

(٣) راجع تكوين ٢٥ : ١٠ - ٢٦ .

من مكر واحتيال ، ويفسر سلوكياتهم الشاذة وأفكارهم السقيمة .

لقد صورت الصراع بينهما وهما لا يزالان في بطن أمهما :

« فتزاحم الولدان في بطنها ، فمضت لتسأل الرب فقال لها الرب : في بطنك أمتان ، ومن أحشائك يفرق شعبان : شعب يقوى على شعب ، وكبير يستعبد لصغير » (١) .

ثم اكتمل التصوير بالتفريق بينهما في توجهاتهما وفي معاملة أبويهما : فكبر الغلامان وكان عيسو إنسانا يعرف الصيد ، إنسان البرية ، ويعقوب إنساناً كاملاً يسكن الخيام ، فأحب إسحاق عيسو لأن في فمه صيداً وأما رفقة فكانت تحب يعقوب (٢) .

ولما كان عيسو قد ولد قبل يعقوب بلحظات اعتبر هو البكر ، وكان للبكورية امتيازات يمتاز بها البكر عن غيره من إخوته :

فقد اعتبر اليهود البكورية ميراثاً روحياً يجعل صاحبها يتمتع بامتيازات عظيمة ، وكان من أهم هذه الامتيازات إن لم يكن أهمها وأفضلها على الإطلاق : اعتبار أن يكون البكر مكرساً للرب ، وبذلك يكون حسب زعمهم - مستودع الأسرار الإلهية ، وناقلها إلى البشرية ، ومنها أيضاً : حق وراثة مواعيد العهود التي قطعها الإله لإبراهيم (٣) .

ومن أجل ذلك تفتق ذهن اليهود عن طريقة يستولى بها يعقوب على البكورية حتى ينال تلك الامتيازات ، مثلما فعلوا مع إسماعيل حين نزعوا منه البكورية ونسبوا إلى إسحاق حتى يصدق عليه وصف الذبيح كما رأينا من قبل

(١) تكوين ٢٥ : ٢٢ - ٢٣ . (٢) تكوين ٢٥ : ٢٧ - ٢٨ .

(٣) ولما كانت البكورية أمراً ذا شأن واعتبار عند اليهود فإنهم كانوا ياقبون كل من كان كبير الأهمية بالبكر (راجع خروج ٢٢ : ٢٩ ثنية ٢١ : ١٧ قاموس الكتاب المقدس ص ١٨٧ د / ماير : حياة يعقوب ص ٢٤) .

فلم يجدوا لتحقيق هذا المطلب غير ما يتفق مع أهوائهم وطبائعهم .

جاء فى سفر التكوين أن عيسو عاد ذات مرة متعباً من الحقل فوجد يعقوب قد أعد طعاماً شهياً (العدس الأحمر) ، فطلب منه وألح عليه أن يطعمه لأنه شديد الجوع فاشتترط عليه يعقوب - فيما يزعمون - أن يطعمه مقابل تنازله عن بكوريته فوافق عيسو على ذلك ، وتمت الصفقة وكما قال السفر :

« فأعطى يعقوب عيسو خبزاً وطبيخ عدس ، فأكل وشرب وقام ومضى ، فاحتقر عيسو البكورية » (١) .

ومن الواضح أن القصة بهذه الصورة يلمح فيها أثر فكرة تمييز يعقوب على عيسو وحرمان هذا من إرث إسحاق ، وهى الفكرة الكامنة فى مزاعم الاختصاص التى كان وظل بنو إسرائيل يزعمونها لأنفسهم (٢) .

فعلى الرغم من أن السبق فى الولادة أمر لايجوز أن يكون موضع المساومة بيعاً أو شراء ، فإن العبرة المستمدة من هذه القصة هى تشجيع الوصولية والانتهازية حتى بين أقرب الأقربين واستغلال حاجة الغير إلى القليل لاغتصاب حقهم فى الكثير (٣) .

ولذلك فقد كان لتسجيلها فى أسفارهم أثر عجيب فى سلوكياتهم إلى درجة أن صار المكر والاحتيال والكذب والخداع وسيلتهم المفضلة فى كل وقت إلى اغتصاب حقوق الناس وتسخيرهم ما استطاعوا إلى ذلك وأن يصبح ذلك حقاً راسخاً من أخلاقهم يتوارثه الأبناء عن الآباء دهرأ بعد دهر ويتأثر به كذلك الذين اعتنقوا اليهودية من غير بنى إسرائيل (٤) .

(١) راجع تكوين ٢٥ : ٢٧ - ٣٤ .

(٢) محمد عزة دروزة : تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ص ٥٢ .

(٣) د / صبرى جرجس : التراث اليهودى الصهيونى ص ٦٧ .

(٤) محمد عزة دروزة : المصدر السابق ص ٥٢ .

ويصف قاموس الكتاب المقدس يعقوب عليه السلام نتيجة ذلك – بأنه كان أنانياً إذ انتهز فرصة جوع أخيه عيسو فاشترى منه بكوريته (١) ، وإن كان د / ماير يعيب على عيسو بقوله إنه كان شهوانياً مستبيحاً ورغم فقدته البكورية فقد كان ذا حظ وفير (٢) .

و١٠٠د أن اشترى يعقوب البكورية من عيسو – كما يزعمون – تفنن كتبه الأسفار في مباركة هذه البكورية من إسحاق نفسه فذكر سفر التكوين قصة غاية في الغرابة .

وتتلخص هذه القصة (٣) في أن إسحاق بعد أن تقدمت به السن وكلت عيناه عن النظر ، طلب من عيسو أن يصنع له طعاماً من صيده حتى يباركه ، وسمعت رفقة بذلك ، فانتهزت فرصة انصراف عيسو وأوعزت إلى يعقوب أن يعد طعاماً ويدخل به على أبيه منتحلاً شخصية أخيه عيسو وفعلاً ألْبسته ملابس عيسو ودخل على أبيه وقدم له طعاماً وخمراً فأكل وشرب ، وكاد إسحاق أن يكتشف الخدعة إذ اشتبه في صوت يعقوب وقال له : « الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو » (٤) ولكن يعقوب أكد له أنه عيسو ، فباركه ، ثم اكتشف إسحاق المؤامرة بعد أن عاد عيسو وأدخل طعامه إليه ، فقد ارتعد إسحاق ارتعاداً عظيماً جداً وقص على عيسو ما حدث فصرخ صرخة عظيمة ومرة وجداً (٥) وطلب من أبيه أن يباركه هو أيضاً فقال إسحاق : « جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك » (٦) ، فقال عيسو : « إن يعقوب قد تعقبني مرتين أخذ بكوريتي والآن قد أخذ بركتي » (٧) .

والعجيب أن إسحاق رفض أن يبارك عيسو بعد أن ألح عليه قائلاً له :

(١) قاموس ص ١٠٧٣ . (٢) حياة يعقوب ص ٢٢ .

(٣) القصة المذكورة في سفر التكوين ٢٧ : ١ – ٤٠ .

(٤) تك ٢٧ : ٢٢ . (٥) تك ٢٧ : ٣٣ – ٣٤ .

(٦) تك ٢٧ : ٣٥ . (٧) تكوين ٢٧ : ٣٦ .

« ألك بركة واحدة فقط ، أما أبقيت لى بركة ، بل إنه دعا عليه » (١) .

وعلى الرغم مما فى هذه القصة - كما فى كثير غيرها من قصص التوراة - من سذاجة واضحة أخفت على كاتبها أنه كان بوسع إسحاق سحب بركته ممن اغتصبها غدرأ ومنحها لصاحب الحق فيها أو فى الأقل منحها للثنين على قدم المساواة .

على الرغم من ذلك فإن حصول يعقوب على بركة لم يكن يستحقها ينطوى ضمناً فى هذا المقام على مكافأة الحيلة مهما تبلغ من الخسة والإقرار لصاحبها بحقه فى الحصول على مغامها (٢) .

وقد علق W.D.Smith (سميث) على أحداث هذه القصة بقوله: ولا نجد بحال من الأحوال وسيلة لقبول تصرفات يعقوب ، فقد كان واضحاً أنها غير عادلة ، وكان يسلك مختلف السبل ، وينتهز كل الفرص لينال حقوق أخيه كان مستعداً أن يستعمل أساليب المكر والختل والحيل ليحقق أهدافه ، فيعقوب بهذا يعتبر نموذجاً حقيقياً لأخلاق اليهود ، وعلى هذا تعتبر تسميتهم باسمه ميراثاً دقيقاً ، فقد ورثوا عنه أكثر مما ورثوا عن إبراهيم الذى كان رجل عقيدة وإيمان أكثر منه رجل ختن ودنيا (٣) .

وإذا كان هذا هو سلوك الشخص الذى ينتسبون إليه مع أخيه التوأم فهل يمكن أن يكون هناك بعد ذلك شيء محرم فى سلوك ذلك الشعب (٤) .

ومهما يكن من أمر فإن فكرة تأكيد اختصاص يعقوب ونسله بالبركة والتميز ملموحة بكل قوة بالقصة مما جعل مدونى السفر يسيغون تدوينها مع ما

(١) تك ٢٧ : ٣٨ - ٤٠ .

(٢) د / صبرى جرجس : التراث اليهودى الصهيونى ص ٦٧ .

(٣) فى كتابه « الله والإنسان فى إسرائيل القديمة » باللغة الإنجليزية نقلا عن د / أحمد شلبى من كتاب « اليهودية » ص ٦٨ الطبعة الخامسة النهضة المصرية القاهرة .

(٤) د / صبرى جرجس : التراث اليهودى ص ٦٨ .

فيها من تلك الصور العجيبة التي تسجل شدة أنانية وخذاع يعقوب ، والمتبادر أن هذا التسجيل من العوامل التي دفعت بنى إسرائيل إلى الأثرة والأنانية والخذاع مهما كانت الوسائل والأساليب (١) .

ولم يكن هذا التسجيل صعبا على كتاب التوراة بل ما أهون هذا عليهم ، فلكى نرى القصة فى مجراها المرسوم جعلوا عيسو يتخلى عن بكريته حتى فاز بها يعقوب وظفر أيضا ببركة أبيه ودعوته المستجابة وباء عيسو بالبؤس والمهانة وآلت حقوقه إلى أخيه (٢) .

ويدافع الدكتور ماير عن يعقوب ويلقى بكل اللوم على أمه رقيقة ويذكر أن يعقوب لم يكن شريرا بجملته ، ولكنه كان مع الأسف ضعيفا ، وأنه لم يفكر فى تدبير هذه المكيدة ، وكان يفضل أن لا يقف هذا الموقف المخزى الذى بدا فيه كذوبا مخادعا ، لكنه لم يجد من الشجاعة ما يمكنه من معارضة أمه .

ولكن الدكتور ماير ينتهى إلى أن هذا التصرف أدى إلى سقوط يعقوب (٣) وكانت نتيجة وخيمة على بيت إسحاق ، فقد خدع الزوج ، وأسىء إلى الابن الأكبر ، ونفى الابن الأصغر (٤) وأسىء إلى سمعة تلك الأم التى لاشك فى أنها لولا تصرفها الخاطئ لكللت بكرامة ومجد (٥) .

والحق أننا كمسلمين لانصدق هذه التصرفات من يعقوب ، فلم يكن أمر نبوته يحتاج إلى سرقة واحتيال ، وإنما كان اصطفاء من الله ، وتحقيقا للبشرى

(١) دروزة : تاريخ بنى إسرائيل ص ٥٤ ، أبحار السقاف : إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ص ١٢٨ ، ١٢٩ الناشر عالم الكتب القاهرة الطبعة الأولى ١٩٦٧ ، محمد عزة دروزة : تاريخ الجنس العربى مجلد ٢ ص ٢٠٧ المطبعة العصرية صيدا لبنان ١٣٧٩ / ١٩٦٠ .
(٢) عصام الدين حفى ناصف : محنة التوراة على أيدي اليهود الطبعة الأولى مطبعة الرسالة ١٣٨٥ / ١٩٦٥ ص ٢٤ .

(٣) حياة يعقوب ص ٤١ .

(٤) حيث أرسلته أمه إلى خاله لابان بعد أن خشيت عليه فقد عيسو وخاصة أنها سمعته وهو يعزم على قتله ، تكوين ٢٧ - ٤١ - ٤٥ .

(٥) يعقوب ص ٢٦ ، راجع أيضا الأب ديلى : تاريخ شعب العهد القديم ص ١١٤ - ١١٥ .

﴿ فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾^(١) ، ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ﴾^(٢) .

ولا أجد من وجهة النظر الإسلامية تعليقا أصدق ولا تحليلا أدق ولا نقداً ألدع من تعقيب الإمام ابن حزم على قصة اغتصاب البركة المزعومة .
يقول ابن حزم: « وفي هذا فضائح وأكذوبات وأشياء تشبه الخرافات .

(فأول) ذلك إطلاقهم على نبي الله يعقوب عليه السلام أنه خدع أباه وغشه وهذا مبعد عمن فيه خير من أبناء الناس مع الكفار والأعداء ، فكيف من نبي مع أبيه نبي أيضا ، هذه سوآت مضاعفات .

(وثانيه) وهى إخبارهم أن بركة يعقوب إنما كانت مسروقة مأخوذة بغش وخديعة وتخابث وحاش للأنبياء عليهم السلام من هذا ، ولعمري إنها لطريقة اليهود فما تلقى منهم إلا الخبيث المخادع الشاذ .

(وثالثه) وهى إخبارهم أن الله تعالى أجرى حكمه وأعطى نعمته على طريق الغش والخديعة وحاش لله من هذا .

(ورابعه) وهى التى لا يشك أحد فى إسحاق عليه السلام إذ بارك يعقوب إذ خدعه بزعم النذل الذى كتب لهم هذا الهوس ، إنما قصد بتلك البركة عيسو وله دعا لا ليعقوب فأى منفعة للخديعة ههنا لو كان لهم عقل » .

وما أشبه هذه القضية إلا بحقق الغالية من الرافضة القائلين أن الله تعالى بعث جبريل إلى على فأخطأ وأتى إلى محمد^(٣) ، وهكذا بارك إسحاق على عيسو فأخطأت البركة ومضت إلى يعقوب فعلى كلتا الطائفتين لعنة الله ، فهذه

(١) هود : ٧١ . (٢) الأنعام : ٨٤ .

(٣) هذه الطائفة من غلاة الشيعة تسمى الغرابية وقد كان الغلاة متأثرين باليهودية فى كثير من عقائدهم وأفكارهم ، راجع غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام مطبعة غباشى بطنطا ١٩٨٨ م .

وجوه الخبث والغش فى هذه القضية .

وأما وجوه الكذب فكثيرة جدا :

من ذلك نسبتهم الكذب إلى يعقوب عليه السلام وهو نبي الله تعالى
ورسوله فى أربعة مواضع :

أولها : قوله لأبيه إسحاق أنا ابنك عيسو وبكرك فهاتان كذبتان فى نسق لأنه
لم يكن ابنه عيسو ولا كان بكره .

وثالثها : قوله لأبيه صنعت جميع ما قلت لى فاجلس وكل من صيدى
فهاتان كذبتان فى نسق لأنه لم يكن قال له شيئا ولا أطعمه من صيده وكذبات
أخر وهى بطلان بركة إسحاق إذ قال له:تخدمك الأمم وتخضع الشعوب وتكون
مولى إخوتك ويسجد لك بنو أمك ، وقوله لعيسو: « ولأخيك تستعبد » .

وهذه كذبات متواليات والله ما خدمت الأمم قط يعقوب ولا بنيه بعده ولا
خضعت لهم الشعوب ولا كان موالى إخوتهم ولا سجد لهم ولا له بنو أمه بل إن
بنى إسرائيل خدموا الأمم فى كل بلدة وفى كل أمة وهم خضعوا للشعوب قديما
وحديثا فى أيام دولتهم وبعدها .

وأما قوله:تكون مولى إخوتك ويسجد لك بنو أمك فلعمري لقد صح ضد
ذلك جهاراً إذ فى توراتهم أن يعقوب سجد هو وجميع ولده حاشا من لم يكن
خلق منهم بعد لأخيه عيسو مرارا كثيراً وما سجد عيسو قط ليعقوب قط (١) .

وهكذا فإننا كمسلمين ننزه سيدنا يعقوب عليه السلام من هذه التهمة تنزيهاً
تاماً ونؤمن بأن هذه القصة من أولها إلى آخرها كاذبة لا أصل لها ودليلهم على
ذلك ما فى القصة من معانٍ لا تدخل فى عقول الأطفال المميزين فضلاً عن كبار

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل الجزء الأول ص ١٣٧ - ١٤٠ نشر مكتبة الخانجي بمصر خمسة
أجزاء فى مجلد واحد ، وقد نقلت عنه بشيء من الاختصار .

العقول ، لأن أمر النبوة ليس منوطاً بالأشخاص حتي يكون لأسحاق تلك الميزة التي يمنح بها الناس ما هو خاص بالله رب العالمين .

وهَبْ أن سيدنا إسحاق عليه السلام يملك الدعاء وأن دعاءه مستجاب عند الله تعالى ، فهل الله سبحانه العليم بقلوب عباده الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء انطلت عليه حيلة رفقة وابنها يعقوب ولم يميز بين من يقصده إسحاق بالدعاء وبين ذلك الذي قد تظاهر أمامه بهذا المظهر .

يذكر الشيخ عبد الرحمن الجزيري أن الإله الذي يخدع إلي هذا الحد لا يصلح أن يكون إلهاً ، ويرى أن واضع هذه القصة ظن أن الإله سبحانه كفرد من أفراد عباده الذين لا اطلاع لهم علي ما في القلوب ، وحيث إن إسحاق لم يبصر من هو الذي أمامه وخدع فيه فكذلك الإله جري علي منهج إسحاق في الجهل فأقر له طلبه .

وينتهي الشيخ إلي أن ذلك يعد دليلاً قاطعاً علي وضع هذه القصة وكذبها ، وأنه من المستحيل أن يكذب يعقوب ويخون لأن الله سبحانه لا يقر عمل الخائنين في أشرف المراتب عنده وهي مرتبة النبوة (١) .

(١) راجع أدلة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين المسيحيين - في الإسلام ص ٤٣٨ الطبعة الأولى ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .

الملاحظة الخامسة :

من خلال الاطلاع على البشارات التي أوردناها آنفاً والتي سبقت مولد كل من إسماعيل وإسحاق عليهما السلام ، نجد أنها تنبئ بما يمكن أن يحدث للأخوين في مستقبل حياتهما .

فيما يتعلق بإسماعيل نجد أن ملاك الرب - كما ورد في سفر التكوين - قد بشر هاجر أثناء حملها بوليدها المنتظر :

« وقال لها ملاك الرب : تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة ، وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبلى وتلدن ابناً ، وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك إلخ ما ورد في الإصحاح السادس عشر (١) .

والذى يتأمل هذه البشرى يلاحظ أنها لم تذكر شيئاً عن ذرية لإسماعيل فى المستقبل بل تكلمت عن نسل لهاجر ، وإخوة لإسماعيل ، ومادامت هاجر قد حملت من إبراهيم بوليدها البكر لإسماعيل ، فإنها يمكن أن تحمل منه ذرية أخرى يتكاثر منها نسل هاجر .

ولا يوجد فى تلك البشرى ما يمنع حدوث مكروه لإسماعيل - مثل موته أو قتله قبل أن يكبر وتكون له ذرية .

فلو حدث بعد مولد لإسماعيل أن جاء الوحي لإبراهيم يأمره بذبح ابنه هذا ما كان هناك تناقض بين ما أخبرت به السماء قبل مولد لإسماعيل وبعد مولده ، وليس أمام إبراهيم آنذاك إلا الرضا بأمر الله والشروع فى تنفيذه دون تردد ، وذلك ما حدث فعلاً من إبراهيم (٢) .

(١) تكوين ١٦ : ١٠ - ١٣ .

(٢) راجع مهندس أحمد عبد الوهاب : فلسطين بين الحقائق والأباطيل ص ٤٩ .

أما ما ورد في الإصحاح السابع عشر حينما قال الرب لإبراهيم « وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً ، اثنى عشر رئيساً يولد وأجعله أمة كبيرة » فإن ذلك قد قاله الرب . سبحانه . بعد أن بلغ إسماعيل ثلاث عشر سنة حيث قاله الرب أثناء البشارة: «إسحاق أى قبل مولده بعام ، فإن إسماعيل كما سبق أن بينا كان عمره أربعة عشر عاماً عند ولادة إسحاق .

معنى ذلك أن هذا الكلام قد قيل بعد أن فدى إسماعيل من الذبح ، حيث إن حادث الذبح قد وقع قبل ولادة إسحاق حتى ينطبق على الذبح وصف الابن البكر الوحيد .

وأما فيما يتعلق بإسحاق نجد أن الأمر قد اختلف تماماً عن أخيه إسماعيل ، حيث إن البشرى التى تلقاها إبراهيم عليه السلام قبل مولد إسحاق بعام قد بشرته كذلك بذرية لإسحاق ينجبهم فيما بعد :

« فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحاق وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده » (١) .

فكيف إذن ينبئ وحى السماء إبراهيم عليه السلام بذرية لإسحاق قبل مولده ، ويقام معها عهد الله ، ثم يعود وحى السماء ليطلب من إبراهيم أن يذبح ابنه إسحاق ، وهو لا يزال بعد صبياً لم يتزوج وينجب ذرية ، كما ورد فى البشارة .

ولو حدث ذلك الموقف لتشكك إبراهيم عليه السلام فى ذلك الذى يأتیه بخبر السماء ، لما يبدو فيه من التناقض الصارخ ، ولتردد إبراهيم فى التنفيذ ، خاصة وأن الأمر جد خطير ، إنه يتعلق بموت ابنه وحيدته وكيف ؟ يموت قتلاً وذبحاً بيد والده إبراهيم .

(١) تكوين ١٧ : ١٩ .

حاش لله أن يتناقض وحى السماء ، إنما يأتى التناقض حين تتدخل شهوات الكهنة^(١) وأهواء الكتبة ، الذين كتبوا التوراة فغيروا وبدلوا ووضعوا إسحاق بدلاً من إسماعيل .

فالبشارة بنسل لإسحاق مع ولادته - وهو ماصرح به فى القرآن الكريم حيث بشر إبراهيم وزوجته سارة بولادة إسحاق - ومن وراء إسحاق يعقوب دليل على أن إسحاق ليس هو الذبيح ، حيث يؤدى ذلك إلى التناقض ، فكيف يؤمر إبراهيم بذبح إسحاق قبل أن ينجب يعقوب ؟؟؟ .

وقد حاول بولس فى رسالته إلى العبرانيين أن يجيب على هذا التساؤل ويحل هذه المشكلة فقال فى الإصحاح الحادى عشر :

« بالإيمان قدم إبراهيم إسحاق وهو مجرب ، قدم الذى قبل المواعيد وحيد الذى قيل له إنه بإسحاق يدعى لك نسل ، إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات أيضاً الذين منهم أخذه أيضاً فى مثال »^(٢) .

يذكر الدكتور (ف . ب . ماير) أن الله سبحانه قد بين لإبراهيم أن إسحاق هو ابن الموعد « بإسحاق يدعى لك نسل » وأكد له تأكيداً لا يقبل الشك ولا يحتمل التأويل ، وأن هذا الصبى سيكون حلقة الاتصال بينه وبين نسله العديد الموعود .

والآن يطلب من الوالد أن يقدمه محرقة .

ويقول : « حقا كان هذا امتحانا شديداً لإيمانه ، فكيف يتسنى لله (أن يحترم كلمته) - هكذا بهذا التعبير !! - ويسمح بموت إسحاق ؟ .

هذا مالم يكن ممكناً أن يدركه العقل البشرى على الإطلاق ولو كان

(١) راجع تفصيل ذلك فى كتاب أحمد عبد الوهاب : فلسطين بين الحقائق والأباطيل ص ٤٩ - ٥٠ .

(٢) رسالة إلى العبرانيين ١١ : ١٧ - ١٩ .

إسحاق قد كبر وصار له ابن يحافظ على النسل فى الأجيال القادمة لزال العقبه .

ولكن كيف يتفق أن يموت إسحاق الذى لم يكن له ابن بعد وأن يتحقق الوعد الذى أعطى لإبراهيم الخاص بإعطائه نسلًا - من إسحاق - كرمل البحر وكنجوم السماء ؟ .

ويبادر الدكتور ماير إلى الإجابة متأثرًا بكلام بولس : « كان الفكر الوحيد الذى ملأ قلب إبراهيم على أى حال هو أن الله قادر على الإقامة من الأموات أيضًا .

فقد كان واثقًا أن الله لا بد أن « يحترم كلمته » بأى حال من الأحوال ولم يكن له أن يسأل أو يحتاجج ولكن كان عليه فقط أن يطيع (١) .

وجاء فى السنن القويم فى تفسير العهد القديم عند تفسيره لما ورد فى سفر التكوين « فقال إبراهيم الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابني » :

نعلم من الرسالة إلى العبرانيين (عب ١١ : ١٧ - ١٩) أن إبراهيم عزم كل العزم على أن يقدم الذبيحة لتيقنه أن الله يقيم إسحاق بعد موته ، ويتمم وعده بإقامة النسل منه ، فإن هبته إسحاق له كانت خارقة للعادة ، فلم يتزعزع إيمان إبراهيم بهذا الامتحان ، ولم يشك فى صدق الله وإنجازه للوعد مهما كانت الأحوال ، فيكون قد قصد بالخروف إسحاق عينه (٢) .

وحل المشكلة على هذا الوجه الذى قدمه بولس فى رسالته إلى العبرانيين وردده كثير من شراح العهد القديم النصارى جديد فى المسيحية ، لم ينظر إليه أحرار اليهود الذين اعتبروا أن التضحية قائمة على تسليم إبراهيم بموت إسحاق ،

(١) حياة إبراهيم ص ١٥٠ .

(٢) السنن القويم فى تفسير العهد القديم ج ١ ص ١٥٩ .

وأنه أطاع الله ولم يقطع قلبه ، ولم يحفل بحنانه على ابنه الموعود ^(١) .
بالإضافة إلى أن هذا الحل الذي ارتضاه فقهاء المسيحية ، يقلل كثيراً من
قيمة تضحية إبراهيم ، وإذعانه لربه ، مادام أنه كان على يقين من أن الله سبحانه
سوف يعيد الحياة إلى ولده بعد أن يقوم بذبحه بنفسه ^(٢) .

(١) عباس العقاد : إبراهيم أبو الأنبياء ص ٨٧ .
(٢) راجع الدكتور محمد يومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم : فى بلاد العرب
ص ١٦٤ .

الفصل الثانى

قصة الذبيح عند المسلمين

المبحث الأول : اختلاف المسلمين فى تعيين من هو الذبيح
ومنشأ هذا الاختلاف .

المبحث الثانى : قصة الذبيح كما وردت فى القرآن الكريم .

المبحث الثالث : حجج الفريق الأول : القائلون بأن الذبيح
إسحاق .

المبحث الرابع : حجج الفريق الثانى : القائلون بأن الذبيح
إسماعيل .

المبحث الأول
اختلاف المسلمين في تعيين من هو الذبيح
ومنشأ هذا الاختلاف

المبحث الأول

اختلاف المسلمين فى تعيين من هو الذبيح

ومنشأ هذا الاختلاف

إذا كان أهل الكتاب من اليهود والنصارى قد أجمعوا على أن الذبيح هو إسحاق ، وتبين لنا فساد قولهم وتناقضه من خلال نصوصهم فإن علماء المسلمين قد اختلفوا فى تعيين من هو الذبيح من ولدى الخليل إبراهيم أهو إسماعيل أم هو إسحاق عليهم جميعاً وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم :

فذهب فريق منهم إلى أنه إسحاق معتمدين فى ذلك على بعض روايات مرفوعة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخرى موقوفة على عدد من الصحابة والتابعين .

وسوف يتبين لنا من خلال هذا البحث ، مدى قيمة هذه الروايات من حيث الصحة وعدمها من ضعف أو وضع ، ومن حيث إمكانية الاستدلال بها ، وجواز الاعتماد عليها .

وذهب فريق آخر وهم أكثرية العلماء ويمكن أن نطلق عليهم (جمهور العلماء) إلى أن الذبيح هو إسماعيل .

واعتمدوا فى ذلك أيضاً على روايات بعضها مرفوع إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، والبعض الآخر موقوف على كثير من الصحابة والتابعين .

وسوف نبين أيضاً قيمة هذه الروايات ، ونقارن بينها ، بين مرويات الفريق الأول .

بالإضافة إلى أن كل فريق قد اعتمد على أدلة عقلية ، وحجج منطقية

مستنبطة من آيات القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية وأحداث التاريخ ووقائعه
وسوف نوازن بين أدلة وحجج الفريقين حتى يتبين لنا مدى قوة أدلة كل فريق ،
وصمودها أمام النقد .

ثم يأتي دور الترجيح للرأى الذى نراه هو الرأى الصحيح الذى ينبغى تبنيه
واعتماده فى هذه المسألة .

وهناك فريق ثالث تساوت لديه أدلة الفريقين ، ولم يترجح عنده شىء منها ،
فتوقف فى هذه المسألة ، ولم يعين اسم الذبيح ، ومن هذا الفريق من رأى أن
الذبح وقع مرتين : مرة فى الشام ومرة فى منى ^(١) .

ومنشأ اختلاف العلماء فى تعيين الذبيح راجع إلى عدم ورود نص صريح
فى القرآن الكريم يثبت من خلاله اسم الذبيح ، وكذلك لا يوجد حديث صحيح
معتمد ومجمع عليه .

يقول الطبرى : « واختلف السلف من علماء أمة نبينا محمد صلى الله عليه
و سلم فى الذى أمر إبراهيم بذبحه ابنه .

فقال بعضهم : هو إسحاق بن إبراهيم .

وقال بعضهم : هو إسماعيل بن إبراهيم .

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا القولين ، ولو كان فيهما
صحيح لم نعهده إلى غيره » ^(٢) .

ويقول العلامة البغوى : واختلف العلماء من المسلمين فى هذا الغلام الذى
زمر إبراهيم بذبحه يعد اتفاق أهل الكتابين على أنه إسحاق :

فقال قوم : هو إسحاق .

(١) يذكر الألوسى أن التوقف عنده خير من هذا القول ، راجع روح المعانى ج ٢٣ ص ١٣٦ .

(٢) تاريخ الطبرى ج ١ ص ٢٦٣ .

وإليه ذهب من الصحابة عمر وعلى وابن مسعود وابن عباس ، ومن التابعين أوتباعهم : كعب الأحبار وسعيد بن جبير وقتادة مسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهرى والسدى وهى رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس .

وقال آخرون : هو إسماعيل .

وإليه ذهب عبد الله بن عمر وهو قول سعيد بن المسيب ، والشعبي ، والحسن البصرى ، ومجاهد ، والربيع بن أنس ، ومحمد بن كعب القرظى ، والكلبي ، وهى رواية عطاء بن أبى رباح ، ويوسف ابن ماهك ، عن ابن عباس قال : المفدى إسماعيل .

وينتهى البغوى إلى أن كلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) .

ولذلك فإن الأستاذ المراغى يقرر أنه ليس فى هذه المسألة - مسألة الذبيح - دليل قاطع من سنة صحيحة ولا خبر متواتر ، بل روايات منقولة عن بعض أهل الكتاب ، وعن جماعة من الصحابة والتابعين ، ومن ثم حديث الخلاف فيها^(٢) .

لكن علماء كل فريق رجحوا القول الذى يرون أنه يوافق ظاهر القرآن الكريم ، ويتفق مع استنباطهم من آياته المباركة ، وكذلك القول الذى يرون أنه قد وردت به أحاديث أصح من غيره ، وأقوى فى النقل .

ولذلك وجدنا الطبرى يقول بعد أن أورد الكلام السابق ذكره « غير أن الدليل من القرآن على صحة الرواية التى رويت عنه صلى الله عليه وسلم أنه

(١) معالم التنزيل ج ٤ ص ٣٢ راجع فى ذلك أيضا تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس للديار بكرى ص ٩٥ والكامل فى التاريخ لابن الأثير ج ١ ص ١٠٨ وتاريخ ابن خلدون ج ١ ص ٥٧ والتسهيل لعلوم التنزيل للكلبي ج ٣ ص ٣٧٨ .
(٢) راجع تفسير المراغى ج ٢٢ ص ٧٦ .

قال : هو إسحاق « أوضح وأبين منه على صحة الأخرى » (١) .

هذا ما قاله في تاريخه المشهور .

ويقول أيضا في تفسيره المشهور: « وأولى القولين بالصواب في المقدى من ابنى إبراهيم خليل الرحمن على ظاهر التنزيل قول من قال هو إسحاق » (٢) .

وأما القرطبي فإنه يقول: « واختلف العلماء فى المأمور بذبحه فقال أكثرهم : الذبيح إسحاق » .

وبعد أن يعدد أسماء الصحابة والتابعين الذين قالوا بهذا القول ، يذكر أنه هو رأى الصحيح عنهم ، وأنه هو القول الأقوى فى النقل عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين (٣) .

ومن ناحية أخرى فإن الفريق الثانى الذى يرى أصحابه أن الذبيح هو إسماعيل يذهبون أيضا إلى أن هذا رأى هو الذى يتفق مع نصوص القرآن الكريم ، ويعتمد على الأحاديث والآثار الثابتة لديهم .

فهذا هو شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية حينما سئل عن الذبيح من ولد خليل الله إبراهيم عليه السلام هل هو إسماعيل أو إسحاق ؟ أجاب بعد حمد الله رب العالمين بأن هذه المسألة فيها مذهبان مشهوران للعلماء ، وكل منهما مذكور عن طائفة من السلف ، وأن النزاع فيها مشهور .

لكن الذى يجب القطع به أنه إسماعيل ، وهذا الذى عليه الكتاب والسنة والدلائل المشهورة ، وهو الذى تدل عليه التوراة التى بأيدى أهل الكتاب » (٤) .

(١) المصدر السابق .

(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن ج ٢٣ ص ٥٤ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٤ ص ٣٣٠ - ٣٣١ .

ويقول أيضا في موضع آخر : « فإن الذبيح هو إسماعيل على أصح القولين للعلماء وقول أكثرهم كما دل عليه الكتاب والسنة » (١) .

وأما الحافظ ابن كثير فإنه يعلق على رأى القائلين بأنه إسحاق بقوله : « وليس فى ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى نترك لأجله ظاهر الكتاب العزيز ، ولا يفهم هذا من القرآن ، بل المفهوم بل المنطوق بل النص عند التأمل على أنه إسماعيل » (٢) .

ثم يذكر فى موضع آخر أن هذا هو الظاهر من القرآن ، بل كأنه نص على أن الذبيح هو إسماعيل (٣) .

وفى موضع ثالث يقول : « وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل » (٤) .

ومن أبرز علماء الفريق الأول الذى يرى أصحابه أن الذبيح إسحاق الإمام أبو جعفر الطبرى ، والإمام القرطبى ، والقاضى عياض والحافظ السهلى ، وسوف نشير إلى حججهم التى اعتمدوا عليها ، والمصادر التى تثبت تبنينهم لهذا القول ودفاعهم عنه (٥) .

ومن أبرز علماء الفريق الثانى الذى يرى أصحابه أن الذبيح هو إسماعيل : الإمام ابن تيمية ، الإمام ابن القيم ، الحافظ ابن كثير ، ومعهم جمهور كبير من علماء المسلمين ، القدامى منهم والمحدثين ، وسوف نبين أيضا مصادر أقوالهم ،

(١) الرد على المنطقيين ص ٥١٧ .

(٢) قصص الأنبياء ج ١ ص ١٤٣ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٤٠ .

(٥) دافع كل من الطبرى والقرطبى والسهلى عن وجهة نظرهم واستدلوا بأدلة سوف أعرض لها فى ثنايا الكتاب ، أما القاضى عياض فقد أشار إلى ذلك مجرد إشارة فى كتابه « الشفا » راجع ج ١ ص ١٣٠ .

*
والحجج التي استدلو بها واعتمدوا عليها .

ومن أبرز علماء الفريق الثالث الذين توقفوا في هذه المسألة ، ولم يحددوا من هو الذبيح من ولدى إبراهيم ، بل إن منهم من يرى أن البحث في هذا الموضوع ليس به كبير فائدة : من أبرز هؤلاء العلماء الزجاج ، والجمل ، والسيوطي ، والشوكاني .

أما الزجاج : فقد ورد في تفاسير الرازي والقرطبي والنيسابوري أن الزجاج قال : الله أعلم أيهما الذبيح وأن هذا مذهب ثالث ^(١) .

وأما العلامة الجمل (سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل) : فقد ذكر في تفسيره أن الوقف عن الجزم بأحد القولين مذهب ثالث ، وأنه الأفضل حيث يتم تفويض علم ذلك إلى الله تعالى ، فإن هذه المسألة في نظره ليست من العقائد التي كلفنا بمعرفتها فلا نسأل عنها في يوم القيامة فهي مما ينفع علمه ولا يضر جهله ^(٢) .

أما الإمام السيوطي : فإنه ألف رسالة مستقلة في هذا الموضوع سماها « القول الفصيح في تعيين الذبيح » ذكر فيها بعد حمد الله تعالى بقوله : « وبعد فقد وردت إلى فتوى في السيد إسحاق والسيد إسماعيل من الذبيح منهما والخلاف الوارد فيهما ما الأصح والراجع منه فأجبت :

الخلاف في الذبيح معروف مشهور بين الصحابة فمن بعدهم ، ولكل من القولين حجج :

أما القول بأنه إسماعيل فهو قول علي وابن عمر وأبي هريرة وأبي الطفيل ،

(١) التفسير الكبير للرازي ج٢٦ ص٥٥٥ الجامع لأحكام القرآن ج٥١ ص١٠١ .

تفسير النيسابوري ج٢٣ ص٦٨ على هامش تفسير الطبري .

(٢) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ج٣ ص٥٤٩ طبع ونشر عيسى البابلي الحلبي .

وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، والشعبي ، ويوسف بن مهران ، والحسن البصري ،
ومحمد بن كعب القرظي ، وسعيد بن المسيب ، وأبي جعفر الباقر ، وأبي صالح
والربيع بن أنس ، والكلبي ، وأبي عمرو بن العلاء ، وأحمد بن حنبل وغيرهم ،
وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس ورجحه جماعة خصوصاً غالب المحدثين ،
وقال أبو حاتم : الصحيح أنه إسماعيل ، وقال البيضاوي إنه الأظهر ، وفي
الهدى - يقصد زاد المعاد - أنه الصواب عند علماء الصحابة والتابعين فمن
بعدهم ، وأن القول بأنه إسحاق مردود بأكثر من عشرين وجهاً^(١) .

ثم أشار إلى الأحاديث التي ورد فيها أنه الذبيح ، وعلق عليها ، وعقب على
ما فيها من ضعف وغيره ، وذكر أن هذا القول نسبته القرطبي للأكثرين وعزاه
البغوي وغيره إلى عمر وعلى وابن مسعود وجابر والعباس وعكرمة وسعيد بن
جبير ومجاهد والشعبي وعبيد بن عمير وأبي ميسرة وزيد بن أسلم وعبد الله بن
شقيق والزهرى والقاسم بن يزيد ومكحول وكعب وعثمان بن حاضر والسدي
والحسن وقتادة وأبي الهذيل وابن سابط ومسروق وعطاء ومقاتل .

وبين السيوطي أن هذا القول قال به أيضاً ابن عباس فهو إحدى الروايتين
عنه ، واختاره الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري ، وجزم به القاضي عياض في
الشفاء والسهيلي في التعريف والإعلام .

وانتهى السيوطي إلى قوله « وكنت ملت إليه في علم التفسير وأنا الآن
متوقف في ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم »^(٢) .

أما الإمام الشوكاني فإنه قد ذكر في تفسيره أن أهل العلم قد اختلفوا في
الذبيح : هل هو إسحاق أو إسماعيل ، ونقل عن القرطبي وابن كثير وغيرهما

(١) القول الفصيح في تعيين الذبيح ص ٣٤ ضمن كتاب الحارثي للفتاوى نشر السلام العالمية للطبع
والنشر .

(٢) راجع المصدر السابق ص ٣٦ - ٣٩ .

أقوال الفريقين والأدلة التي احتجوا بها ، والروايات التي اعتمدوا عليها ^(١) .

وانتهى الشوكاني بعد كل هذا أنه لم يكن في المقام ما يوجب القطع أو يتعين رجحانه تعيناً ظاهراً ، وأن كل قول قد رجحه طائفة من المحققين المنصفين كابن جرير فإنه رجح أنه إسحاق ، ولكنه لم يستدل على ذلك إلا ببعض روايات ، وكابن كثير فإنه رجح أنه إسماعيل ، وجعل الأدلة على ذلك أقوى وأصح .

ويرى الشوكاني أن الأمر ليس كما ذكر ابن كثير ، فإن أدلته إن لم تكن دون أدلة القائلين بأن الذبيح إسحاق لم تكن فوقها ولا أرجح منها ، وأنه لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك شيء ، وأن ما روى عنه فهو إما موضوع أو ضعيف جداً ، ولم يبق إلا مجرد استنباطات من القرآن ، وهي محتملة ، ولا تقوم حجة بمحتمل .

وبناء على ذلك فإن الوقف في رأى الشوكاني هو الذى لا ينبغي مجاوزته ، وفيه السلامة من الترجيح بلا مرجح ، ومن الاستدلال بما هو محتمل ^(٢) .

ولإذ تركنا هذا الفريق الثالث بتوقفه في هذه المسألة ، فإننا نتقل إلى الفريقين : الأول ، والثاني ، لنرى حجج كل فريق ونقوم بعرضها ونقدها .

وقبل أن يحدث ذلك ينبغي أولاً أن أعرض لقصة الذبيح كما وردت في القرآن الكريم دون أن يكون فيها تصريح باسم الذبيح حتى يتبين لنا منشأ اختلاف المسلمين في تعيين من هو الذبيح .

(١) راجع المجلد الرابع من « فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير » ص ٤٠٣ - ٤٠٧ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

(٢) المصدر السابق ص ٤٠٧ - ٤٠٨ .

المبحث الثاني
قصة الذبيح كما وردت في القرآن الكريم

البحث الثاني

قيمة الذبيح كما وردت في القرآن الكريم

وردت قصة الأمر من الله العليم الخبير إلى الخليل إبراهيم عليه السلام بذبح ولده في عدد من آيات الله المباركة من سورة « الصافات » يقول تعالى عن سيدنا إبراهيم : ﴿ وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين * رب هب لي من الصالحين * فبشرناه بغلام حليم * فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين * فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين * إن هذا لهو البلاء المبين * وفديناه بذبح عظيم * وتركنا عليه في الآخرين * سلام على إبراهيم * كذلك نجزي المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين ﴾ (١) .

فقد جاءت قصة إبراهيم في هذه السورة في حلقتي رئيسيتين :

حلقة دعوته لقومه وتحطيم الأصنام وهمهم به ليقتلوه ، وحماية الله له وخذلان شائنيه ، وهي حلقة تكررت في أكثر من مرة من قبل في سور القرآن .
وحلقة جديدة لاتعرض في غير هذه السورة وهي الخاصة بحادث الرؤيا والذبح والفداء ، مفصلة المراحل والخطوات والمواقف في أسلوبها الآخاذ وأدائها الرهيب ! ممثلة في أعلى صور القناعة والتضحية والفداء والتسليم في عالم العقيدة في تاريخ البشرية الطويل .

وتبدأ الحلقة الثانية هذه حينما انتهى أمر إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه ، بعد أن أرادوا به الهلاك في النار التي أسموها « الجحيم » وأراد الله أن يكونوا

(١) البقرات : ٩٩ - ١١١ .

هم الأسفلين ونجاه من كيدهم أجمعين ، عندئذ استدبر إبراهيم مرحلة من حياته ليستقبل مرحلة أخرى جديدة وطوى صفحة ماضية لينشر صفحة حاضرة يقول تعالى : ﴿ قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم ﴾ فأراوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين ﴾ وقال إني ذاهب إلى ربى سيهدين ﴿ (١) .

يذكر الحافظ ابن كثير أن الله تعالى يقول مخبراً عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه بعد ما نصره الله تعالى على قومه وأيس من إيمانهم بعدما شاهدوا من الآيات العظيمة هاجر من بين أظهرهم وقال : ﴿ إني ذاهب إلى ربى سيهدين ﴾ (٢) .

وقد أراد الخليل عليه السلام بذهابه إلى ربه : مهاجرته إلى حيث أمره بالمهاجرة إليه من أرض الشام كما قال : ﴿ إني مهاجر إلى ربى ﴾ وكأن المراد إظهار اليأس من إيمانهم وكراهة البقاء معهم أى إني مفاركم ومهاجر إلى ربى . وبذلك فإن المراد من قوله : ﴿ إني ذاهب إلى ربى ﴾ مفارقة تلك الديار على معنى إني ذاهب إلى مواضع دين ربى وليس على ما قال الكلبي : ذاهب بعبادتي إلى ربى لأن المقصود من هذه الآية بيان مهاجرته إلى أرض الشام (٣) .

وقوله ﴿ سيهدين ﴾ أى سيرشدنى إلى ما فيه صلاحى فى دينى ويعصمنى ويوفقنى إلى مقصدى كما قال موسى عليه السلام : ﴿ كلا إن معى ربى سيهدين ﴾ .

وعبر بالسين ليؤكد وقوع الهداية ، وبت القول فى ذلك لسبق وعده تعالى

(١) الصافات : ٩٧ - ١٠٠ .

(٢) راجع تفسير الطبرى ج ٢٣ ص تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٤ ، فى ظلال القرآن ج ٢٣

ص ٢٩٩١ - ٢٩٩٢ .

(٣) راجع الكشف للزمخشري ج ٣ ص ٣٤٧ تفسير الرازى ج ٢٦ ص ١٥٠ - ١٥١ ، روح

المعانى للألوسى ج ٢٣ ص ١٢٦ .

إياه بالهداية لما أمره سبحانه بالذهاب فأجرى كلامه على سنن موعد ربه ، أو بناه على عادة الله تعالى معه في هدايته وإرشاده أو أظهر بذلك توكله وتفويضه أمره إلى الله (١) .

ومن الغريب ما قيل ونحا إليه قتادة أنه لم يكن مراد إبراهيم عليه السلام بقوله : ﴿ إني ذاهب إلى ربي سيهدين ﴾ الهجرة وإنما أراد بذلك لقاء الله تعالى بعد الإحراق ظانا أنه يموت في النار إذا ألقى فيها وأراد بقوله : ﴿ سيهدين ﴾ الهداية إلى الجنة .

ويدفع هذا القول دعاؤه بالولد حيث قال : ﴿ رب هب لي من الصالحين ﴾ (٢) .

فقد كان الخليل عليه السلام حينما عزم على الهجرة لا يزال وحيداً لم ينجب ولا عقب له ، فطلب من الله سبحانه أن يعوضه عن أبيه وقومه في أولاد له من صلبه وذرية من نسله .

يذكر المفسرون أنه صلوات الله عليه لما هاجر إلى الأرض المقدسة أراد الولد فقال : ﴿ رب هب لي من الصالحين ﴾ أى هب لي بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة يريد بذلك الولد أى ولدأ من الصالحين وحذف لدلالة الهمية عليه فإنها في القرآن وكلام العرب غلب استعمالها مع العلاء في الأولاد (٣) .

(١) راجع الزمخشري في الكشاف ج ٣ ص ٣٤٧ والرازي في مفاتيح الغيب ج ٢٦ ص ١٥١ والألوسي في روح المعاني ج ٢٣ ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٢) راجع روح المعاني ج ٢٣ ص ١٢٧ وبذلك فإن الصلاح يعد أفضل الصفات بدليل أن الخليل عليه السلام طلبه لنفسه فقال : ﴿ رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين ﴾ وطلبه هنا لولده وكذلك طلبه يوسف وسلمان عليهما السلام فدل على أن الصلاح أشرف المقامات (راجع الرازي ج ٢٦ ص ١٥١) .

(٣) أما قوله تعالى : ﴿ ووهبنا له أخاه هارون نبياً ﴾ فإنها أطلقت على الأخ من غير الغائب أو أن المراد فيه هبة نبوته لاهبة ذاته وهو شيء آخر .

ويدل على ذلك قوله تعالى عن إبراهيم أيضا ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ (١) وعن زكريا ﴿ووهبنا له يحيى﴾ (٢) .

ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى عقب هذا الدعاء : ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ فإنه ظاهر في أن ما بشر به عين ما استوهمه مع أن مثله إنما يقال عرفا في حق الأولاد (٣) .

فقد استجاب الله دعاءه وبشره بهذا القول الذي جمع ثلاث بشارات :

البشارة الأولى : أن هذا الولد ذكر لاختصاص لفظ الغلام به .

البشارة الثانية : أن هذا الغلام يبلغ أوان الحلم والبلوغ بالسن المعروف فإنه لازم لو صفه بالحليم حيث إن الحلم لازم لذلك السن بحسب العادة إذ قلما يوجد في الصبيان سعة صدر وحسن صبر وإغضاء في كل أمر .

البشارة الثالثة : أن هذا الغلام سيكون حليما ، وأى حلم أعظم من حلمه حين عرض أبوه عليه وهو مراهق الذبح فقال : ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ ثم استسلم لذلك فما ظنك به بعد بلوغه .

وقيل : ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير إبراهيم وابنه عليهما السلام ، وحالهما المذكورة فيما بعد تدل على ما ذكره فيهما ، فقد نعت الله به إبراهيم في قوله تعالى : ﴿إن إبراهيم لحليم أواه منيب﴾ (٤) وقوله تعالى : ﴿إن إبراهيم لأواه حليم﴾ (٥) .

ومن ذلك يتبين أن إبراهيم إذا كان موصوفاً بالحلم فإن ولده أيضا موصوف بالحلم وأنه قائم مقامه في صفات الشرف والفضيلة (٦) .

(١) الأنبياء : ٧٢ .

(٢) الأنبياء : ٩٠ .

(٣) راجع الكشف ج ٣ ص ٣٤٧ تفسير الرازي ج ٢٦ ص ١٥١ روح المعاني ج ٢٣ ص ١٢٧ .

(٤) هود : ٧٥ .

(٥) التوبة : ١١٤ .

(٦) راجع الكشف ج ٣ ص ٣٤٧ وتفسير الرازي ج ٢٦ ص ١٥١ وروح المعاني ج ٢٣ ص ١٢٧ .

﴿ فلما بلغ معه السعى قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قل يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾ .

يذكر الرازي أنه سبحانه وتعالى بعد أن قال : ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ أتبعه بما يدل على حصول ما بشر به وبلوغه فقال :

﴿ فلما بلغ معه السعى ﴾ ومعناه فلما أدرك وبلغ الحد الذي يقدر فيه على السعى (١) .

ويقول ابن كثير : ﴿ ﴿ فلما بلغ معه السعى ﴾ أي كبر وترعرع وصار يذهب مع أبيه ويمشي معه وأطاق ما يفعله أبوه من السعى والعمل وقد كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يذهب في كل وقت يتفقد ولده وأم ولده ببلاد فاران وينظر في أمرهما ﴾ (٢) .

وقوله : ﴿ معه ﴾ في موضع الحال والتقدير : كائنا معه .

والفائدة في اعتبار هذا المعنى أن الأب أرفق الناس بالولد وأكملهم في الرفق به وبالاتصال له وأعطفهم عليه فلا يستسيه قبل أوانه لأن غيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله لأنه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده .

والمقصود من هذا الكلام أن الله تعالى لما وعده في الآية الأولى بكون ذلك الغلام حليماً ، بين في هذه الآية ما يدل على كمال حلمه وذلك لأنه كان به في غضاضة عوده من رصانة العقل ورزانة الحلم وفسحة الصدر ما قواه على احتمال تلك البلية العظيمة والإتيان بذلك الجواب الحسن والحكيم (٣) .

(١) تفسير الرازي ج ٢٦ ص ١٥٢ راجع أيضا الكشف ص ٣٤٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١١٤ ويشير ابن كثير بهذا القول إلى أن الخليل عليه السلام كان يترك بلاد الشام ويرحل إلى مكة حيث ترك ابنه إسماعيل وأمه هاجر وحدهما هناك كما سنبين ذلك فيما بعد .

(٣) راجع تفسير الزمخشري ج ٣ ص ٣٤٧ ، وتفسير الرازي ج ٢٦ ص ١٥٢ ، وروح المعاني للألويسي ج ٢٣ ص ١٢٨ .

وكان للغلام يومئذ ثلاث عشر سنة (١) والولد أحب ما يكون عند أبيه في سن يقدر فيه على إعانة الأب وقضاء حاجته ولا يقدر فيه على العصيان (٢) .

فحينما قال له أبوه : ﴿ يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت أفت ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾ (٣) .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ﴾ روى أنه عليه السلام رأى ليلة التروية في منامه كأن قائلاً يقول له : إن الله يأمرك بذبيح ابنك هذا ، فلما أصبح تروى في ذلك من الصباح إلى الرواح : أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان ؟ فمن ثم سمي يوم التروية ، فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فسمى يوم عرفة ، ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى يوم النحر (٤) .

وهذا - كما يقول الرازي - هو قول أهل التفسير وهو يدل على أنه رأى في المنام ما يوجب أن يذبح ابنه في اللحظة ، وعلى هذا فتقدير اللفظ : إني أرى في المنام ما يوجب أن أذبحك (٥) .

ويذكر الألوسي أنه يحتمل أنه عليه السلام رأى في منامه أنه فعل ذبحه فحمله على ما هو الأغلب في رؤيا الأنبياء عليهم السلام من وقوعها بعينها ،

(١) من خلال تعبير القرآن الكريم أن حادث الأمر بالذبح وقع حينما بلغ الغلام مع أبيه السعي بمعنى أنه كان قادراً على السعي والعمل مع أبيه وعقب قصة الذبيح يقول تعالى : ﴿ وبشرناه بإسحاق ﴾ مما يعني أن البشارة بإسحاق كانت مكافأة له على طاعته لربه وسرعة استجابته لأمره ، وهذا يعني أن حادث الأمر بالذبح قد تم قبل مولد إسحاق بعام لأن البشارة به قد سبقت مولده بعام كامل كما في التوراة ، وكذلك ورد في التوراة كما سبق أن المأمور بذبحه كان وحيد إبراهيم وتذكر التوراة أن إبراهيم كان عمرة ٩٩ عاماً حينما بشر بإسحاق وأنه أنجب إسماعيل حينما كان عمره ٨٦ عاماً وبذلك يكون كلام المفسرين أن الذبيح كان سنه ثلاث عشرة سنة كلام صحيح .

(٢) راجع روح المعاني ج ٢٣ ص ١٢٨ .

(٣) الصفات : ١٠٢ .

(٤) راجع تفسير الرازي ج ٢٦ ص ١٥٣ روح المعاني ج ٢٣ ص ١٢٨ الكشف ج ٣ ص ٣٤٨ .

(٥) التفسير الكبير ج ٢٦ ص ١٥٣ راجع أيضاً زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ج ٧ ص ٧٢

ويحتمل أنه رأى ما تأويله ذلك لكن لم يذكره وذكر التأويل كما يقول الرمزخشري : أتى فى المنام فقيلاً له : اذبح ابنك ورؤيا الأنبياء وحى كالوحى فى اليقظة فلهذا قال : ﴿ إِنِّى أَرَى فى المنام أَنِّى أَذْبَحُكَ ﴾ فذكر تأويل الرؤيا كما يقول המתحن وقد رأى أنه راكب فى سفينة : رأيت فى المنام أنى ناج من هذه المحنة (١) .

وقيل : إنه رأى معالجة الذبح ولم ير إنهار الدم فأنى أذبحك يعنى أنى أعالج ذبحك (٢) .

ويذكر الرازى أنه رأى فى المنام أنه يذبحه ورؤيا الأنبياء عليهم السلام من باب الوحى ، وعلى هذا القول فالمرئى فى المنام ليس إلا أنه يذبح (٣) .

وقيل : إن الملائكة حين بشرته بغلام حلیم قال : هو إذن لله ذبيح فلما ولد وبلغ حد السعى معه قيل له : أوف بنذكرك ولعل هذا القول - لو صح - كان فى المنام وإلا فما يصنع بقوله : ﴿ إِنِّى أَرَى فى المنام أَنِّى أَذْبَحُكَ ﴾ (٤) .

وفى كلام التوراة التى بأيدى اليهود - واطلعنا عليه من قبل - ما يرمز إلى أن الأمر بالذبح كان ليلاً فإنه بعد أن ذكر قول الله تعالى له عليه السلام « خذ ابنك وامض إلى بلد العبادة وأصعده ثم قربانا على أحد الجبال الذى أعرفك به قيل : فأدلى إبراهيم بالغداة إلخ » .

فالأمر إما مناماً أو يقظة لكن وقع تأكيداً لما فى المنام إذ لا محيص عن الإيمان بما قصه الله تعالى علينا فيما أعجز به الثقلين من القرآن ، والحزم الجزم بكونه فى المنام لا غير إذ لا يعول على ما فى أيدي اليهود وليس فى الأخبار الصحيحة ما يدل

(١) الكشف ج ٣ ص ٣٤ - ٣٤٨ ، روح المعانى ج ٢٣ ص ١٢٨ .

(٢) روح المعانى نفس الصفحة .

(٣) مفاتيح الغيب ج ٢٦ ص ١٥٣ .

(٤) روح المعانى ج ٢٣ ص ١٢٨ .

على وقوعه يقظة أيضا (١) .

يقول محمد بن كعب : كانت الرسل يأتيهم الوحي من الله تعالى أيقاظاً
ورقوداً فإن الأنبياء لاتنام قلوبهم وهذا ثابت في الخبر المرفوع قال ﷺ : « إنا
معشر الأنبياء تنام أعيننا ولاتنام قلوبنا » (٢) ، وقال ابن عباس : « رؤيا الأنبياء
وحي » واستدل بهذه الآية (٣) .

وبيان الحكمة في ورود هذا التكليف في النوم لا في اليقظة من وجوه :

الأول : إن هذا الابتلاء إنما برز في صورة الوحي المنامي إكراماً لإبراهيم
الخليل عليه السلام بدلاً من أن يزعج بالأمر بذبح ولده بوحي في اليقظة لأن
رؤى المنام يعقبها تعبيرها إذ قد تكون مشتملة على رموز خفية ، وفي ذلك تأنيس
لنفسه لتلقى هذا التكليف الشاق عليه وهو ذبح ابنه الوحيد .

وحول ذلك يقول الإمام الرازي « إن هذا التكليف كان في نهاية المشقة
على الذابح والمذبح فورد أولاً في النوم حتى يصير ذلك كالمنبه لورود هذا
لتكليف الشاق ثم يتأكد حال النوم بأحوال اليقظة فحينئذ لا يهجم هذا التكليف
دفعة واحدة بل شيئاً فشيئاً » (٤) .

الثاني : أن تكون المبادرة إلى الامتثال أدل على كمال الانقياد وتمام
الإخلاص (٥) .

(١) المصدر السابق .

(٢) حديث « إن عيني تنامان ولاينام قلبي » متفق عليه حيث رواه الشيخان عن عائشة رضي الله
عنها (البخاري ٤ / ١٥٢ / ١ / مسلم ١ / ٥٠٩) راجع الشفاء للقاضي عياض ج ٢ ص ٦٩٣
ومناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا للسيوطي ج ٥٤ ونسيم الرياض للشهاب
الخفاجي ج ٣ ص ٥٤٥) .

(٣) تفسير القرطبي ج ١٥ ص ١٠٢ .

(٤) راجع مفاتيح الغيب ج ٢٦ ص ١٥٦ ، راجع أيضا الطاهر بن عاشور في تفسير التحرير والتنوير
ج ٢٣ ص ١٥٠ - ١٥١ .

(٥) راجع تفسير البيضاوي ج ٢ ص ٢٩٧ روح المعاني ج ٢٣ ص ١٢٩ .

الثالث : أن الله تعالى جعل رؤيا الأنبياء عليهم السلام حقا : فكما أرى يوسف عليه السلام سجد أبويه وإخوته له فى المنام من غير وحي إلى أبيه فقال تعالى على لسان يوسف ﴿إلى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين﴾ (١) وكما وعد رسوله ﷺ دخول المسجد الحرام فى المنام فقال تعالى : ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين﴾ (٢) فإنه قال على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام : ﴿إلى أرى فى المنام أنى أذبحك﴾ .

والمقصود من ذلك تقوية الدلالة على كونهم صادقين ، لأن الحال إما حال يقظة وإما حال منام ، فإذا تظاهرت الحالتان على الصدق ، كان ذلك هو النهاية فى بيان كونهم محققين صادقين فى كل الأحوال (٣) .

يذكر الرازى أن مقامات الأنبياء عليهم السلام على ثلاثة أقسام : منها ما يقع على وفق الرؤيا كما فى قوله تعالى : ﴿لتدخلن المسجد الحرام﴾ ثم وقع ذلك الشيء بعينه .

ومنها ما يقع على الضد كما فى حق إبراهيم عليه السلام حين رأى الذبح وكان الحاصل هو الفداء والنجاة .

ومنها ما يقع على ضرب من التأويل والمناسبة كما فى رؤيا يوسف عليه السلام ، فلهذا السبب أطبق أهل التعبير على أن المنامات واقعة على هذه الوجوه الثلاثة (٤) .

وإذا كان قد ثبت أن الخليل عليه السلام قد تأكد أن ما رآه فى المنام هو وحي ، وأن الأمر بذبح ابنه حق فلم راجع ولده فى هذا الأمر وقال له : ﴿فانظر

(١) يوسف : ٤ . (٢) الفتح : ٢٧ .

(٣) راجع الكشف ج ٣ ص ٣٤٨ مفاتيح الغيب ج ٢٦ ص ١٥٦ .

(٤) راجع التفسير الكبير ج ٢٦ ص ١٥٧ .

ماذا ترى ؟

وفى ذلك يقول الزمخشري : « فإن قلت : لم يشاوره فى أمر هو حتم من الله ؟ قلت : لم يشاوره ليرجع إلى رأيه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله فيثبت قدمه ويصبره إن جزع ويأمن عليه الزلل إن صبر وسلم ، وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ، ويكتسب المثوبة بالانقياد لأمر الله قبل نزوله ، ولأن المغانصة بالذبح ما يستسمح وليكون سنة فى المشاورة (١) .

ويذكر ابن كثير أن الخليل أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه وليختبر صبره وجلده وعزمه فى صغره فى طاعة الله تعالى وطاعة أبيه (٢) .

كذلك فإن قول الخليل عليه السلام لابنه ﴿ فأنظر ماذا ترى ﴾ إنما يبين أنه لم يقدم على تحقيق أمر ربه فى انزعاج ، ولم يستسلم فى جزع ، ولم يطع فى اضطراب ، وإنما هو القبول والرضى والطمأنينة والهدوء ، حيث عرض على ابنه هذا الأمر الهائل فى هدوء وفى اطمئنان عجيب ، فلم يأخذ ابنه على غرة لينفأ أمر ربه وينتهى إنما يعرض عليه الأمر ، ويطلب إليه أن يتروى فى أمره وأن يرا فيه رأيه ! .

وذلك لأن الأمر لما تعلق بذات الغلام كان للغلام حظ فى الامتثال وكان عرض إبراهيم هذا على ابنه عرض اختبار لمقدار طواعيته بإجابة أمر الله فى ذاته لتحصل له بالرضى والامتثال مرتبة بذل نفسه فى إرضاء الله ، وهو لا يرجو من ابنه إلا القبول لأنه أعلم بصلاح ابنه (٣) .

وقد كان ابنه حقا عند حسن ظنه فقد تلقى الأمر فى طاعة تامة ورضى

(١) راجع الكشف ج ٣ ص ٣٤٨ ومفاتيح الغيب ج ٢٦ ص ١٥٧ وروح المعاني ج ٢٣ ص ١٢٩

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٥ .

(٣) راجع فى ظلال القرآن ج ٢٣ ص ٢٩٩٥ .

كامل واستسلام بيقين حيث قال : ﴿ يا أبت افعل ما تؤمر ﴾ أى امض لما أمرك الله من ذبحي ﴿ ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾ أى سأصبر وأحتسب ذلك عند الله عز وجل ، وصدق صلوات الله وسلامه عليه فيما وعد ، حين أمكن أباه من رقبته .

بعد أن حثه على فعل ما أمر به وعده بالامتنال له وبأنه لا يجزع ولا يهلع بل يكون صابراً ، وفى ذلك تخفيف من عبء ما عسى أن يعرض لأبيه من الحزن لكونه يعامل ولده بما يكره (١) .

ولما كان خطاب الأب ﴿ يا بنى ﴾ على سبيل الترحم ، قال هو : ﴿ يا أبت ﴾ على سبيل التوقير والتعظيم ، ومع ذلك أتى بجواب حكيم لأنه فوض الأمر حيث استشاره فأجاب بأنه ليس مجازها وإنما الواجب إمضاء الأمر (٢) .

وقد علق صبره بمشيئة الله تعالى على سبيل التبرك والتميم ، وأنه لا حول عن معصيته إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله (٣) .

ويرى الألوسى أن قوله ﴿ ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾ دون قول موسى عليه السلام ﴿ ستجدني إن شاء الله صابراً ﴾ فيه من التواضع ما فيه ، وفيه أيضاً إغراء لأبيه عليه السلام على الصبر لما يعلم من شفقتة عليه مع عظم البلاء حيث أشار إلى أن لله تعالى عباداً صابرين (٤) واعتبرها الألوسى زهرة ربيع لا تتحمل الفرك .

﴿ فلما أسلما وتلاه للجبين ﴾ فلما اعتقد الوجوب ، وتهيأ للعمل ، هذا بصورة الذابح ، وهذا بصورة المذبح ، فاستسلما وانقادا ، امتثل إبراهيم لأمر

(١) راجع تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٥ ، راجع تفسير التحرير والتنوير ج ٢٣ ص ١٥٢ .

(٢) راجع روح المعاني ج ٢٣ ص ١٢٩ .

(٣) مفاتيح الغيب ج ٢٦ ص ١٥٧ .

(٤) راجع روح الباقى ج ٢٣ ص ١٢٩ - ١٣٠ .

الله تعالى ، وإسماعيل طاعة لله ولأبيه ﴿ وتله للجبين ﴾ أى صرعه وأكبه على وجهه ليذبحه من قفاه ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه (١) .

﴿ ونادينا أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين * إن هذا لهو البلاء المبين ﴾ (٢) .

قال المفسرون : لما أضجعه للذبح نودى من خلفه : يا إبراهيم : قد صدقت الرؤيا فقد ورد عن ابن عباس أن الخليل إبراهيم لما تله للجبين كان عليه قميص أبيض فقال له يا أبت إنه ليس لى ثوب تكفنى فيه غيره فاخلعه حتى تكفنى فيه فعالجه ليخلعه فنودى من خلفه ﴿ أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ﴾ أى قد حصل المقصود من رؤياك وإضجاعك ولدك للذبح (٣) .

قال المحققون : السبب فى هذا التكليف كمال طاعة إبراهيم لتكاليف الله تعالى ، فلما كلفه الله تعالى بهذا التكليف الشاق الشديد وظهر منه كمال الطاعة وظهر من ولده كمال الطاعة والانقياد لاجرم قال : قد صدقت الرؤيا يعنى حصل المقصود من تلك الرؤيا (٤) .

فقد قال له تعالى ذلك حين تيسر للعمل وأقبلا على الفعل ، فكان صدقها ذبحاً مكانها ، وهو الفداء ، وكان ذلك أمراً فى المعنى ضرورة ، فكان ما كان من إبراهيم امتثالاً ، ومن إسماعيل انقياداً ، ووضحت المعانى بحقيقتها ، وجرت الألفاظ على نصابها لصوابها ، ولم يحتج إلى تأويل فاسد بقلب الجلد نحاساً أو غيره (٥) .

(١) راجع تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٥ ، ابن العربى : أحكام القرآن ج ٤ ص ١٦١٨ - ١٦١٩ .

(٢) الصافات : ١٠٤ - ١٠٥ .

(٣) راجع تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٥ - ١٦ .

(٤) مفاتيح الغيب ج ٢٦ ص ١٥٧ .

(٥) أحكام القرآن لابن العربى ج ٤ ص ١٦١٨ - ١٦١٩ .

حيث ذكر بعضهم أنه وجد حلقه نحاساً أو مغشى بنحاس فكان كلما أراد قطعاً وجد منعاً، وقال بعضهم كان كلما قطع جزءاً التئم .

وروى عن مجاهد أن الذبيح قال لإبراهيم عليه السلام حين أراد ذبحه :
ياأبت اشدد رباطى حتى لا أضطرب ، واكفف ثيابك لئلا ينتضح عليها شيء من
دمي فتراه أمي فتحزن ، وأسرع مر السكين. على حلقى ليكون الموت أهون
على ، وكبني على وجهي لئلا تنظر إلي فترحمني ولئلا انظر إلي الشفرة فأجزع
وإذا أتيت إلي أمي فأقرئها مني السلام فلما جر إبراهيم عليه السلام السكين
ضرب الله عليه صفيحة من نحاس فلم تعمل السكين شيئاً ، ثم ضرب على
جبينه وحز في قفاه فلم تعمل السكين شيئاً (١) .

وهذا كله - كما يقول ابن العربي وذكره أيضاً القرطبي - جائز في القدرة
الإلهية ، ولكن يفتقر إلى نقل صحيح ، فإنه لا يدرك بالنظر وإنما طريقه الخبر ،
وكان الذبيح والثام الأجزاء بعد ذلك أوقع في مطلوبهم من وضع النحاس موضع
الجلد واللحم ، وكله أمر بعيد عن العلم ، ولو كان قد جرى ذلك لبينه الله تعالى
تعظيماً لرتبة إسماعيل وإبراهيم صلوات الله عليهما ، وكان أولى بالبيان من
الفداء (٢) .

ويذكر الألوسي أن كثيراً من أجلة العلماء ذهبوا إلى عدم إمرار الشفرة
على حلق الذبيح .

فقد روى الإسماعيل أحمد عن الإمام ابن عباس رضي الله عنهما أن سيدنا
إبراهيم الخليل عليه السلام لما أخذ الشفرة وأراد أن يذبح إسماعيل نودي من
خلفه أن يا إبراهيم : قد صدقت الرؤيا (٣) .

وجاء في الدر المنثور : أخرج أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني

(١) راجع المصدر السابق ج ٤ ص ١٦١٨ والجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ١٠٢ : ١٠٤ تفسير

القرآن العظيم ج ٤ ص ١٦ التفسير الكبير ج ٢٦ ص ١٥٨ تفسير الألوسي ج ٢٣ ص ١٣٠ .

(٢) أحكام القرآن ج ٤ ص ١٦١٨ تفسير القرطبي ج ١٥ ص ١٠٢ - ١٠٣ .

(٣) اجمع روح المعاني ج ٢٣ ص ١٣٠ الدر المنثور ج ٢٣ ص ١٠٤ .

وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن إبراهيم الخليل أنه عالج قميص ابنه ليخلعه فنودي بذلك (١) .

وأخرج ابن المنذر والحاكم وصححه من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الخليل لما أدخل يده ليذبح ابنه فلم تصل المديّة حتى نودي ﴿أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا﴾ .

فأمسك يده فذلك قوله : ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (٢) .

أما ماورد من إمرار الشفرة وانقلاب السكين والشام الأجزاء إلى غير ذلك فإنه لم يصح كما صرح القرطبي (٣) ، وقال الألوسي :

إن البعض زعم ورود ذلك في بعض الأخبار لكنه لا يكاد يصح (٤) .

فقوله تعالى : ﴿قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا﴾ معناه إذن : حققت ما نبهناك عليه وفعلت ما أمكنك ثم امتنعت لما منعناك (٥) .

ويذكر الألوسي أن تصديقه عليه السلام الرؤيا يعني توفيته حقها من العمل وبذل وسعه في إيقاعها ، وذلك بالعزم والإتيان بالمقدمات ولا يلزم فيه وقوع ما رآه بعينه (٦) .

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ أى هكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره والشدائد ونجعل لهم من أمرهم فرجاً ومخرجاً كقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (٧) .

هذا وقد استدلل بهذه الآية والقصة جماعة من علماء الأصول على صحة

(١) الدر المنثور للسيوطي ج ٢٣ ص ١٠٥ .

(٢) الدر المنثور ج ٢٣ ص ١٠٤ راجع روح المعاني ج ٢٣ ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ١٠٤ . (٤) روح المعاني ج ٢٣ ص ١٣١ .

(٥) تفسير القرطبي ج ١٥ ص ١٠٢ . (٦) روح المعاني ج ٢٣ ص ١٣٠ .

(٧) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٦ .

النسخ قبل التمكن من الفعل خلافاً للمعتزلة (١) .

والدلالة من هذه ظاهرة لأن الله تعالى شرع لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ولده ، ثم نسخه عنه وصرفه إلى الفداء وإنما كان المقصود من شرعه أولاً إثابة الخليل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك ولهذا قال تعالى ﴿إِنْ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ أى الاختبار الواضح الجلى الذى يتميز فيه المخلص من غيره أو المحنة البينة أى الظاهرة صعوبتها وما وقع لاشيء أصعب منه ولا تكاد تخفى صعوبته على أحد ، حيث أمر إبراهيم عليه السلام بذبح ولده - ولله عز وجل أن يتلى من يشاء بما يشاء وهو سبحانه الحكيم الفعال لما يريد - فسارع إلى ذلك مستسلماً لأمر الله تعالى منقاداً لطاعته ولهذا قال تعالى : ﴿وإبراهيم الذى وفى﴾ (٢) .

معنى ذلك أن أمر الله تعالى لإبراهيم بذبح ولده كان أمر ابتلاء وليس المقصود به التشريع إذ لو كان تشريعاً لما نسخ قبل العمل به لأن ذلك يفيت الحكمة من التشريع بخلاف أمر الابتلاء .

والمقصود من هذا الابتلاء إظهار عزمه ، وإثبات علو مرتبته فى طاعة ربه ، فإن الولد عزيز على نفس الوالد ، والولد الوحيد الذى هو أمل الوالد فى مستقبله أشد عزة على نفسه لا محالة .

فبعد أن أقر الله عينه بإجابة سؤله وترعرع ولده ، أمره بأن يذبحه فينعدم نسله ، ويخيب أمله ، ويحول أنسه ، ويتولى بيده إعدام أحب النفوس إليه ، وذلك أعظم الابتلاء فقابل أمر ربه بالامتنال ، وحصلت حكمة الله من ابتلائه ، وهذا معنى قوله تعالى ﴿إِنْ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ (٣) .

(١) لقد بحثت هذه النقطة بحثاً مستفيضاً فى كتابى « القرابين البشرية والذبايح التلمودية » ص ١٢٥ - ١٤٠ .

(٢) راجع تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٦ تفسير الكشاف ج ٣ ص ٣٤٨ - ٣٤٩ ، التفسير الكبير للرازى ج ٢٦ ص ١٥٨ روح المعانى ج ٢٣ ص ١٣١ .

(٣) راجع تفسير المنير والتنوير لابن عاشور ج ٢٣ ص ٥٠ .

﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ قال على رضى الله عنه : بكبش أبيض أعين أقرن
قد ربط بسمرة فى أصل ثبير .

وقد اختلف فى ذلك الكبش فقيل : إنه الكبش الذى تقرب به هابيل بن آدم
إلى الله تعالى فقبله منه ، وظل فى الجنة يرعى حتى فدى الله تعالى به ابن
إبراهيم .

وقال آخرون : أرسل الله كبشاً من الجنة قد رعى أربعين خريفاً^(١) .

وعلى أى الأحوال فإن الفداء قد تم ، ونجح الخليل إبراهيم فى الاختبار ،
ونجا من هذا البلاء المبين ، وأعلن الله سبحانه ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ والفادى
على الحقيقة إبراهيم عليه السلام ولكنه سبحانه قال : ﴿وفديناه﴾ على التجوز
فى الفداء : أى أمرنا أو أعطينا أو فى إسناده إليه تعالى ، وجوز أن يكون هناك
استعارة مكنية أيضاً ، وفائدة العدول عن الأصل التعظيم^(٢) .

وأما قوله ﴿عظيم﴾ فى وصف هذا الذبح المفدى به فقيل سمي بذلك
لعظمه وسمنه حيث وصف بأنه عظيم الجثة سمين .
وقال سعيد بن جبير : حق له أن يكون عظيماً وقد رعى فى الجنة أربعين
خريفاً .

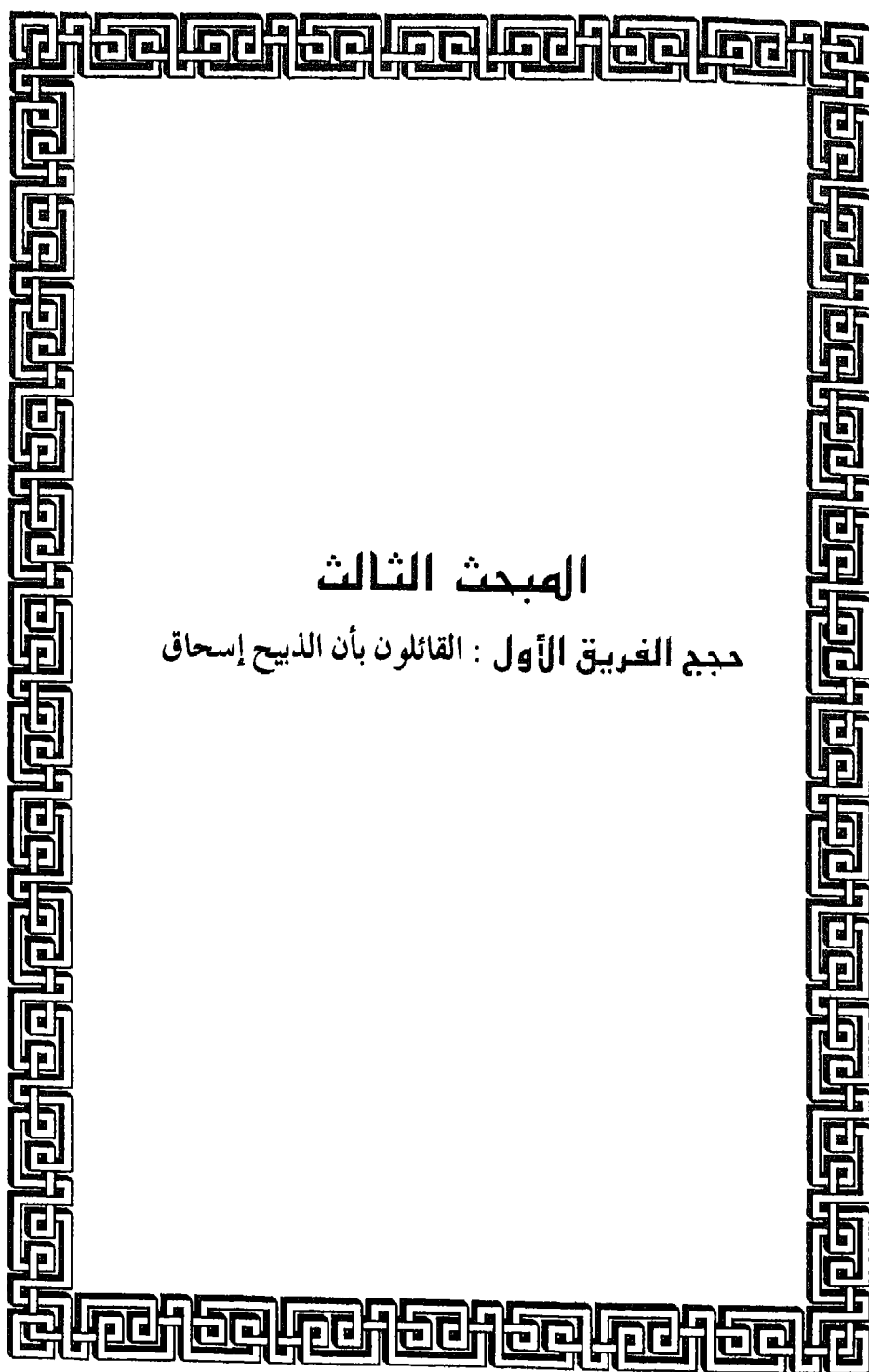
وقيل سمي عظيماً لعظم قدره حيث قبله الله تعالى فداء عن ولد إبراهيم
عليهما السلام .

وقال الحسن بن الفضل : لأنه كان من عند الله عز وجل^(٣) .
وكفى به عظمة أن يكون من عند الله سبحانه وأن يصفه الله بأنه ذبح
عظيم .

(١) راجع مفاتيح الغيب ج ٢٦ ص ١٥٨ روح المعانى ج ٢٣ ص ١٣٢ .

(٢) راجع روح المعانى ج ٢٣ ص ١٣٢ .

(٣) راجع المصدرين السابقين : تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٦ .



المبحث الثالث

حجج الفريق الأول : القائلون بأن الذبيح إسحاق

المبحث الثالث

حجج الفريق الأول : القائلون بأن الذبيح إسحاق

اعتمد القائلون بأن الذبيح إسحاق على حجج نقلية ممثلة في روايات وآثار مرفوعة وموقوفة ، وعلى حجج أخرى عقلية ممثلة في استنباطات واستدلالات استخرجوها من آيات القرآن الكريم :

أولاً : الحجج النقلية : ١ - الروايات المرفوعة :

ونبدأ هذه الحجج النقلية بالروايات المرفوعة إلى النبي ﷺ :

الرواية الأولى :

أولى هذه الروايات مرفوعة إلى النبي ﷺ برواية العباس بن عبد المطلب :

يقول الطبري : « والرواية التي رويت عنه - أي النبي ﷺ - أنه قال : « هو إسحاق ، حدثنا بها أبو كريب قال : حدثنا زيد بن الحباب عن الحسن بن دينار عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ في حديث ذكر فيه « وفديناه بذبح عظيم » . قال : « هو إسحاق » (١) .

وقد علق الحافظ ابن كثير على هذا الحديث بقوله :

« ففى إسناده ضعيفان ، وهما : الحسن بن دينار البصرى متروك ، وعلي بن زيد ابن جدعان : منكر الحديث » .

ثم يذكر أنه قد رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن مسلم بن إبراهيم عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان به مرفوعاً .

(١) جامع البيان ج ٢٣ ص ٥١ تاريخ الطبري ج ١ ص ٢٦٣ .

ثم قال : قد رواه مبارك بن فضالة عن الحسن عن الأحنف عن العباس رضى الله عنه ، وهذا أشبه وأصح وأعلم (١) .

وبذلك فإن الرواية موقوفة على العباس فقط وليست مرفوعة إلى النبي ﷺ بل إن الطبري نفسه بعد أن أورد الخبر السابق مرفوعاً قال :

« وقد روى هذا الخبر عن غيره من وجه أصلح من هذا الوجه غير أنه موقوف على العباس غير مرفوع إلى النبي ﷺ » (٢) .

وقد ذكر الهيثمي عن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ قال : الذبيح إسحاق .

ثم علق على ذلك بقوله : « رواه البزار وفيه مبارك بن فضالة وقد ضعفه الجمهور » (٣) .

ويضيف الألبانى أن مبارك هذا قد رواه عن الحسن عن الأحنف بن قيس ، وهذا سند ضعيف ، حيث إن الحسن مدلس بجانب أن المبارك فيه ضعف ، ومع ضعفه فقد اضطرب في روايته فمرة رفعه كما في هذه الرواية ، ومرة أوقفه على العباس كما رواه البغوى في حديث على بن الجعد ، وابن أبى حاتم (٤) .

وقد أشار الشيخ الألبانى إلى بعض الطرق التي ورد بها الحديث وانتهى إلى أن طرق هذا الحديث كلها ضعيفة ليس فيها ما يصلح أن يحتج به ، وبعضها أشد ضعفاً من بعض ، والغالب أنها إسرائيلية رواها بعض الصحابة ترخصاً أخطأ في رفعها بعض الضعفاء (٥) .

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٧ راجع أيضاً السيوطي في رسالته : القول الفصيح ص ٣٦ ضمن كتاب الحاوى للفتاوى .

(٢) تاريخ الطبري ج ١ ص ٢٦٣ .

(٣) مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٠٢ دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

(٤) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة حديث رقم ٣٣٢ .

(٥) راجع المصدر السابق ص ٣٣٧ - ٣٣٩ .

ويرى الدكتور أبو شهبة أن هذا الحديث ضعيف ساقط^(١) .
الاحتجاج به (١) .

الرواية الثانية :

وهناك رواية أخرى مرفوعة إلى النبي ﷺ عن العباس بن عبد المطلب أيضا ذكرها السيوطي بقوله :

« وأخرج البزار وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه عن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله ﷺ : « قال نبي الله داود : يارب أسع الناس يقولون : رب إبراهيم وإسحاق ويعقوب فاجعلني رابعا .

قال : إن إبراهيم ألقى في النار فصبر من أجلي ، وإسحاق جادل بنفسه ، وإن يعقوب غاب عنه يوسف ، وتلك بلية لم تنلك » (٢) .

وقد أخرج الحاكم هذا الحديث من طريق زيد بن الحباب عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب مرفوعاً وقال : هذا حديث صحيح « رواه الناس عن علي بن زيد بن جدعان تفرد به » .

وسكت عليه الذهبي ولم يزد على قوله : « رواه الناس عن ابن جدعان » .
وابن جدعان ضعيف منكر الحديث كما قال الألباني (٣) ونقل ذلك عن الحافظ ابن كثير ، وقد أوردت ذلك عنه في الحديث الأول (٤) .

وقد ذكر الهيثمي هذه الرواية بزيادة عن العباس أيضا أن النبي ﷺ قال :

(١) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٣٥٤ ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

(٢) الدر المنثور ج ٢٣ ص ١٠٧ دار الفكر بيروت .

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة حديث رقم ٣٣٦ ، راجع المستدرک للحاكم ج ٢ ص ٥٥٦ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٧ .

قال داود عليه السلام : أسألك بحق آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب فقال : أما إبراهيم فألقى في النار فصبر من أجلى وتلك بلية لم تنلك ، وأما إسحاق فبذل نفسه ليذبح فصبر من أجلى وتلك بلية لم تنلك ، وأما يعقوب فغاب عنه يوسف وتلك بلية لم تنلك ^(١) .

ثم علق على هذه الرواية بقوله « رواه البزار من رواية أبي سعيد عن علي بن زيد وأبو سعيد لم أعرفه ، وعلى بن زيد ضعيف وقد وثق » ^(٢) .
ويعقب الألباني على كلام الهيثمي بقوله « أبو سعيد هذا هو الحسن بن دينار ، وهو واهٍ بمرة .
وانتهى إلى أن هذا الحديث : ضعيف جداً ^(٣) .

الرواية الثالثة :

وأما الرواية المرفوعة الثالثة فقد ذكرها السيوطي بقوله :
« أخرج ابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط بسند ضعيف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله خيرني بين أن يغفر لنصف أمتي ، أو شفاعتي فاخترت شفاعتي ، ورجوت أن تكون أعم لأمتي ، ولولا الذي سبقني إليه العبد الصالح لعجلت دعوتي ، إن الله لما فرج عن إسحاق كرب الذبح قيل له : يا إسحاق ، سل تعطه قال : أما والله لأتعملها قبل نزغات الشيطان ، اللهم من مانع لا يشرك بك شيئاً فقد أحسن ، فاغفر له » ^(٤) .

(١) مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٠٤ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ج ١ حديث رقم ١٣٥ .

(٤) الدر المنثور ج ١ ص ١٠٨ .

وقد أورد الحافظ الهيثمي هذه الرواية عن أبي هريرة أيضاً وعلمنا أنها
بقوله : « رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم »
ضعيف وشيخ الطبراني لم أعرفه » (١) .

وذكرها أيضاً الحافظ ابن كثير وعقب عليها بقوله :

« هذا حديث غريب منكر ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف
الحديث » (٢) .

وبين الشيخ الألباني أن عبد الرحمن بن زيد هذا ضعيف جداً ، ونقل عن
الحاكم قوله عنه « روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من
أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه » (٣) .

وذكر الألباني أيضاً أن عبد الرحمن هذا هو راوى حديث توسل آدم بالنبي
ﷺ وهو حديث موضوع ونقل قول شيخ الإسلام ابن تيمية « عبد الرحمن بن
زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم يغلط كثيراً » .

وقال الطحاوي : « حديثه عند أهل العلم بالحديث في النهاية من الضعف » .
وقال ابن حبان : « كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في
روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف فاستحق الترك » (٤) .

وذكر الحافظ ابن كثير أن في هذا الحديث المذكور زيادة مدرجة وهي
قوله : « إن الله تعالى لما فرج عن إسحاق .. إلى آخره فهذا إن كان محفوظاً
فالأشبه أن السياق إنما هو عن إسماعيل ، وإنما حرفوه بإسحاق حسداً منهم .

وإلا فالمناسك والذبائح إنما محلها بمنى من أرض مكة حيث كان إسماعيل

(١) مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٦ .

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ج ١ ص ٣٩ .

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٣٩ - ٤٠ .

لا إسحاق ، فإنه إنما كان ببلاد كنعان من أرض الشام (١) .

وينتهي الشيخ الألبانى إلى أن هذه الزيادة فى الحديث هى من الإسرائيليات
بدليل أن كعب الأحبار حدث بها أبا هريرة كما أخرجه الحاكم بسنده إلى
كعب (٢) .

وسوف نشير إلى رواية كعب ودوره فى هذه الراويات عند التعقيب عليها.

الرواية الرابعة:

وهناك رواية مرفوعة من ابن مسعود إلى النبى ﷺ أنه سئل : « من أكرم
الناس ؟ قال : يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله » .

وعلق عليه الهيثمى بقوله : « رواه الطبرانى وبقية مدلس ، وأبو عبيدة لم
يسمع من أبيه ، وقال السيوطى : وأبو عبيدة عن أبيه عبد الله منقطع » (٣) .

وذكر الألبانى أن هذا الحديث منكر بهذا اللفظ ، وأن الطبرانى قد رواه من
طريق أبى عبيدة عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ .

وعلق على قول الهيثمى الذى أورده آنفاً عن « بقية » بقوله : « ولكن
بقية قد تويع عليه فقد رواه ابن المظفر فى « غرائب شعبة (١٣٨ / ١) عن
معاوية ابن حفص وبقية معا عن شعبة عن أبى إسحاق عن أبى عبيدة عن ابن
مسعود .

وينتهى الألبانى إلى أن شعبة قد رواه عن أبى إسحاق عن أبى
الأحوص عن ابن مسعود موقوفاً عليه وهو الصواب ، أخرجه الطبرانى فى

(١) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص ١٦ .

(٢) راجع تفصيل ذلك فى سلسلة الأحاديث الضعيفة ج ١ ص ٣٤٠ - ٣٤١ .

(٣) مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٠٢ القول الفصيح ص ٣٧ .

« الكبير » (٣ / ١٨ / ١) (١) .

وقد علق الحافظ ابن كثير على هذا الحديث بقوله « وهذا صحيح عن ابن مسعود » ويقصد بذلك أنه موقوف عليه (٢) .

والحديث صحيح مرفوعاً فيما يقول الألباني دون قوله « إن إسحاق ذبيح الله ، فإن هذه الزيادة منكورة فقد أخرج الحديث البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ، وليس في الحديث « ذبيح الله » فدل على نكارتها » (٣) .

جاء في جامع الأصول لابن الأثير عن أبي هريرة رضي الله عنه فيما رواه عنه البخاري ومسلم أنه قال : « سئل رسول الله ﷺ : أى الناس أكرم ؟ قال : أكرمهم عند الله أتقاهم ، قالوا : ليس عن هذا نسألك ؟ قال : فيوسف نبي الله بن خليل الله ... » (٤) .

وجاء في رواية البخاري قوله ﷺ : فأكرم الناس يوسف نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله (٥) .

ولذلك فإن البيضاوي حينما ذكر هذا الحديث بين أن الصحيح أنه قال : يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، والزوائد من الراوى (٦) .

الرواية الخامسة :

وأخرج الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة ج ١ ص ٢٤١ - ٣٤٢ حديث رقم ٣٣٤ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٧ .

(٣) راجع تفصيل ذلك في سلسلة الأحاديث الضعيفة حديث رقم ٣٣٤ .

(٤) جامع الأصول ج ٩ ص ٢٢٨ - ٢٢٩ حديث رقم ٦٨٢٢ .

(٥) راجع فتح الباري لابن حجر ج ٦ ص ٤١٤ حديث رقم ٣٣٧٤ كتاب أحاديث الأنبياء راجع أيضا

الجزء الثاني ص ٤٤٢ .

(٦) راجع تفسير البيضاوي ج ٢ ص ٥٩٥ والفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير البيضاوي ج ٣

ص ٩٥٥ - ٩٥٦ وحاشية الشهاب ج ٧ ص ٢٨٠ .

قال : « إن جبريل ذهب بإبراهيم إلى جمرة العقبة ، فعرض له الشيطان ، فرماه بسبع حصيات فساخ ، ثم أتى الجمرة القصوى ، فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات فساخ ، فلما أراد إبراهيم أن يذبح ابنه إسحاق قال لأبيه : يا أبت أوثقني لا أضطرب فينتضح عليك من دمي إذا ذبحتني ، فشده فلما أخذ الشفرة فأراد أن يذبحه ، نودي من خلفه : (أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) (١) .

وقد أورد الهيثمي هذا الحديث في كتابه مجمع الزوائد وعلق عليه بقوله : « رواه أحمد وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط » (٢) .

وأورد روايتين أخريين له عن ابن عباس أيضا بدون أن يذكر فيهما اسم الذبيح وقال « رواه كله الطبراني في الكبير وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط » (٣) .

وقد أورد الشيخ الألباني رواية الإمام أحمد لهذا الحديث في كتابه « سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة » وعلق عليه بقوله « ضعيف بهذا السياق : أخرجه أحمد من طريق حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً .

وهذا إسناد ضعيف رجاله كلهم ثقات ، وعلته أن عطاء بن السائب كان قد اختلط وسمع منه حماد في هذه الحالة وقبلها أيضا » (٤) .

ثم يذكر الألباني أن قول الزرقاني في شرح المواهب (١ / ٩١) والشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند « إسناده صحيح » غير مسلم .

ويشير إلى أنه من المعروف عن الشيخ أحمد أنه يحتج في تصحيح هذا

(١) المسند ج٤ ص٢٨٣ حديث رقم ٢٧٩٥ تحقيق الشيخ أحمد شاكر .

راجع أيضا الدر المنثور ج٢٣ ص١٠٤ .

(٢) مجمع الزوائد ج٣ ص٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٣) المصدر السابق ج٣ ص٢٦٠ .

(٤) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ج١ ص٣٤٤ حديث رقم ٣٣٧ .

السند بأن حماداً سمع من عطاء قبل الاختلاط وأنه ذكر ذلك في غير ما موضع من «المسند» وغيره وأنه ذهول عما ذكره الحافظ في «تهذيب التهذيب» عن بعض الأئمة أنه سمع منه في الاختلاط أيضاً، فلا يجوز حينئذ تصحيح حديثه إلا بعد تبين أنه سمعه منه قبل الاختلاط (١).

والحقيقة أنني رجعت إلى كلام الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على هذا الحديث فوجدته قد انتهى إلى ما انتهى إليه الشيخ الألباني في تعيين اسم الذبيح على الأقل، وهو وإن قال على الحديث: «إسناده صحيح» إلا أنه استدركه قائلاً:

«إلا أن قوله فيه» فلما أراد إبراهيم أن يذبح ابنه إسحاق «نراه خطأ من عطاء بن السائب، فالذبيح إسماعيل، كما دل عليه الكتاب والسنة» (٢).

ثم أشار إلى تعليق ابن كثير على هذا الحديث حيث أورد ابن كثير رواية الإمام أحمد عن ابن عباس وفيها أن الذبيح إسماعيل (والتي سوف نتحدث عنها عند ذكر حجج القائلين بأن الذبيح إسماعيل) وعقب عليها بقوله «ثم رواه أحمد بطوله عن يونس عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره إلا أنه قال إسحاق، فعن ابن عباس رضي الله عنهما في تسمية الذبيح روايتان والأظهر عنه أنه إسماعيل لما سيأتى» (٣).

وقد عقب الشيخ أحمد شاكر على كلام الحافظ أبي كثير بقوله ونقول: بل هذه الرواية خطأ قطعاً، فيكون عن ابن عباس رواية واحدة وأشار إلى الحديث رقم ٢٧٠٧ الذي سنتحدث عنه إن شاء الله تعالى (٤).

(١) المصدر السابق.

(٢) المسند ج٤ ص ٢٨٣ تعليق على الحافظ ٢٧٩٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص ١٥.

(٤) المسند ج٤ ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

(٥) عند حديثنا عن القائلين بأن الذبيح إسماعيل وعرض حججهم.

وبذلك يكون الشيخ أحمد شاكر قد اتفق مع الحافظ الهيثمي « مع الشيخ الألباني في أن خلط عطاء بن السائب ثابت وأدى إلى غلطه في اسم الذبيح ، وهذا هو الحق .

فليس هناك علاقة بين إسحاق وبين الجمرة القصوى وجمرة العقبة ١١٩ ! فهو ؟ ما سنين بعد ذلك وأشرنا إليه من قبل لم يأت مكة ولم ينزل منى ، وليس هناك أدنى ارتباط أو صلة بينه وبين المشاعر المقدسة بأي حال من الأحوال .

ولذلك فإن الشيخ الألباني ينتهي إلى أن هذا الحديث قد أخرجه الحاكم من طريق أخرى عن ابن عباس رثمه دون قصة الذبح وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي وأخرجه أحمد (رقم ٢٧٠٧) من طريق ثالث عنه أتم منه ، وفيه القصة ، وفيه تسمية الذبيح إسماعيل وهو الصواب (١) .

هذا وقد أضاف الشيخ الدكتور محمد أبو شهبة إلى هذه الأحاديث المذكورة حديثين أحدهما أخرجه الديلمي في مسند الفردوس بسنده عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « إن داود سأل ربه مسألة ، فقال : اجعلني مثل إبراهيم وإسحاق ويعقوب فأوحى الله إليه : إني ابتليت إبراهيم بالنار فصبر ، وابتليت إسحاق بالذبح فصبر ، وابتليت يعقوب فصبر » .

والحديث الثاني أخرجه الدارقطني في مسند الفردوس بسنده عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « الذبيح إسحاق » (٢) .

ومن الواضح أنهما بنفس المعاني التي وردت بهما في الروايتين الأولى والثانية من الروايات السابقة وإن اختلفت في السند حيث رواهما الدارقطني والديلمي ، وقد علق الشيخ أبو شهبة بأنهما من الأحاديث التي لا تصح ولا تثبت فإن أحاديث الديلمي في مسند الفردوس شأنها معروف ، والدارقطني ربما

(١) سلسلة الأحاديث المشتملة على ١٠٠٠ جزء ١ ص ٢٢٤ .

(٢) الإسرائيليات والمؤيد ١٤٠ في كتب التفسير ص ٣٥٤ .

يخرج في سننه ما هو موضوع (١) .

وينتهي الشيخ أبو شهبه إلى أن ماروى من الأحاديث المرفوعة في أن الذبيح إسحاق إما موضوع وإما ضعيف لا يصح الاحتجاج به (٢) .

وبذلك فإنه قد تبين لنا من خلال عرض هذه الروايات ، ونقد علماء الحديث لها من حيث سندها ، وبيان أن بعضها ضعيف ، والبعض الآخر ضعيف جداً وأن هذا الضعف يجعلها من الأحاديث التي لا يصح الاستشهاد بها ، ولا يعتمد عليها في الاستدلال والترجيح ، ناهيك عن كونها موقوفة وليست مرفوعة .

وأما أكثر هذه الأحاديث فقد تبين لنا أنها موضوعة ومنكرة .

وهذا الأمر يجعلنى أشير إلى أن الإمام القرطبي لم يحالفه التوفيق ، وجانبه الصواب حينما ذكر أن القول بأن الذبيح إسحاق أقوى في النقل عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين (٣) .

فأين هذه القوة ؟ وقد تهاوت الروايات التي اعتمد عليها هو والإمام الطبري رواية بعد رواية .

وإذا كانت هذه الروايات قد استشهدا بها هما وغيرهما ممن رأى رأييهما على أنها أحاديث مرفوعة إلى النبي ﷺ ، وثبت لنا من خلال النقد أنها ليست كذلك .

إذا كان الأمر هكذا فيكون معنى ذلك أن حجة استشهادهم بها قد ضعفت وعلة اعتمادهم عليها واستدلالهم بما ورد فيها قد سقطت ووهت ، وأن هذه

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق ص ٣٦٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ١٠٠ .

الأحاديث قد انتهت إلى أحاديث بعضها موضوع ومنكر ، وبعضها الآخر موقوف يعتريه الضعف ، وتسرى فيه العلل .

فلننظر إلى الأحاديث الموقوفة على بعض الصحابة والتابعين التي استدلت بها أصحاب الفريق الأول من حيث سندها بعد أن تبين لنا سقوط الاستدلال بالأحاديث المرفوعة .

٢ - الروايات الموقوفة :

لقد تبين لنا من خلال عرض الروايات المرفوعة والتعقيب عليها بنقد سندها أن بعضها موقوف على الصحابة مثل رواية العباس بن عبد المطلب ورواية ابنه عبد الله ورواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم جميعاً .

فهذه الروايات الثلاث التي عرضناها على أنها مرفوعة حسب زعم المستشهرين بها إلى النبي ﷺ تبين من خلال نقد علماء الحديث أنها ليست مرفوعة ، وإنما هي موقوفة على هؤلاء الصحابة .

ولذلك فإن السيوطي قد أوردها في كتابه « الدر المنثور » على أنها موقوفة :

يقول السيوطي : أخرج عبد بن حميد والبخاري في تاريخه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن العباس بن عبد المطلب قال : الذبيح إسحاق .

وأخرج الفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير والحاكم وصححه من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : الذبيح إسحاق .

وأخرج عبد الرزاق والحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال الذبيح إسحاق .

وأضاف السيوطى رواية رابعة إلى على رضى الله عنه قال : أخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر عن على رضى الله عنه قال : الذبيح إسحاق .

ورواية خامسة عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : أخرج الحاكم بسند فيه الواقدي عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال :

رأى إبراهيم عليه السلام فى المنام أن يذبح إسحاق (١) .

وذكر القرطبي وغيره أن الصحابة الذين قالوا بأن الذبيح إسحاق هم :

العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله وعبد الله بن مسعود وجابر وعلى بن أبى طالب وعبد الله بن عمر وعمر بن الخطاب رضى الله عنهم جميعاً (٢) .

وأضاف البغوى وغيره إلى هؤلاء السبعة من الصحابة الذين ذكرهم القرطبي عدداً من التابعين وغيرهم مثل :

سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وعلقمة والشعبي ، وكعب الأحبار وقتادة ومسروق وعبيد بن عمير وأبى ميسرة وزيد بن أسلم وعبد الله بن شقيق والزهرى والقاسم بن يزيد ومكحول وعثمان بن حاضر وعطاء ومقاتل وعبد الرحمن بن سابط والسدى وعبد الله بن أبى الهذيل ومالك بن أنس والحسن (٣) .

ومن الروايات المنسوبة إلى هؤلاء من التابعين وغيرهم نذكر بعضها :

أخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد عن سعيد بن جبير رضى الله عنه قال : لما رأى إبراهيم عليه السلام فى المنام ذبح إسحاق سار به من منزله إلى المنحر بمنى مسيرة شهر فى غداة واحدة فلما صرف عنه الذبيح ، وأمر بذيبح

(١) الدر المنثور ج ٢٣ ص ١٠٩ .

(٢) تفسير القرطبي ج ١٥ ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٣) راجع معالم التنزيل للبغوى ج ٤ ص ٣٢ تفسير القرطبي ج ١٥ ص ١٠٠ .

القول الفصيح فى تعيين الذبيح ص ٣٨ - ٣٩ ضمن كتاب الحاوى للفتاوى .

الكبش ، ذبحه ثم راح به ، وراحا إلى منزله في عشية واحدة مسيرة شهر طويت له الأودية والجبال (١) .

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مسروق رضى الله عنه قال : الذبيح إسحاق (٢) .

وأخرج عبد بن حميد عن عثمان بن حاضر قال : لما أراد إبراهيم أن يذبح ابنه إسحاق ترك أمه سارة في مسجد الخيف ، وذهب بإسحاق معه ، فلما بلغ حيث أراد أن يذبحه قال إبراهيم لمن كان معه : استأخروا منى ، وأخذ بيده ابنه إسحاق ، فعزله فقال : يا بني (إني أرى في المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ؟) قال له إسحاق : يا أبت ربى أمرك ، قال إبراهيم : نعم يا إسحاق ، قال إسحاق (افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) « فلما أسلما » لأمر الله « وتله » قال إسحاق لأبيه :

يا أبت أوثقنى لأطيش بك نودى « يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا » .
وهبط عليه الكبش من ثبير .

وقد قيل : إنه ارتعى في الجنة أربعين سنة ، فلما كشف عن إسحاق دعا ربه ورغب إليه ، وحمده ، وأوحى إليه : أن ادع فإن دعاءك مستجاب .

فقال : اللهم من خرج من الدنيا لا يشرك بك شيئا فأدخله الجنة ، قال ابن خاضر : إبراهيم كان قال لربه : يارب أى ولدى أذبح ، فأوحى الرب إليه : أحبهما إليك (٣) .

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن السدى رضى الله عنه قال : يا إسحاق

(١) القول الفصيح جـ ٣٨ ، الدر المنثور جـ ٢٣ صـ ١٠٩ تفسير القرطبي جـ ١٥ صـ ١٠٠ .

(٢) الدر المنثور جـ ٢٣ صـ ١٠٩ .

(٣) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جـ ٢٣ صـ ١١٢ .

انطلق فقرب قربانا إلى الله ، فأخذ سكيناً وحبلًا ثم انطلق به حتى إذا ذهب به بين الجبال قال الغلام : يا أبت أين قربانك (قال يا بني إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) قال له إسحاق : يا أبت اشدد رباطى حتى لا أضطرب واكفف عنى ثيابك حتى لا ينضح عليها من دمنى شىء فتراه سارة فتحزن وأسرع مر السكين على حلقى ليكون أهون للموت على ، فإذا أتيت سارة فاقراً عليها السلام منى ، فأقبل عليه إبراهيم بقلبه وهو يبكى وإسحاق يبكى ، ثم إنه جر السكين على حلقه ، فلم تنحر وضرب الله على حلق إسحاق صفيحة من نحاس ، فلما رأى ذلك ضرب به على جبينه وحز من قفاه ، وذلك قول الله (فلما أسلما) يقول : سلما لله الأمر (وتله للجبين) فنودى يا إبراهيم (قد صدقت الرؤيا) بإسحاق فالتفت فإذا هو بكبش فأخذه وحل عن ابنه وأكب عليه يقبله وجعل يقول : اليوم يا بني وهبت لى (١) .

وأخرج ابن أبى حاتم عن قتادة قال : إن الله لما أمر إبراهيم بذبح ابنه قال له : يا بني خذ الشفرة فقال الشيطان : هذا أو أن أصيب حاجتى من آل إبراهيم فلقى إبراهيم متشبهاً بصديق له ، فقال له : يا إبراهيم أين تعمد ؟ قال : لحاجة . قال : والله ما تذهب إلا لتذبح ابنك من أجل رؤيا رأيتها والرؤيا تخطئ وتصيب وليس فى رؤيا رأيتها ما تذهب بإسحاق ، فلما رأى أنه لم يستفد من إبراهيم شيئاً لقى إسحاق ، فقال أين تعمد يا إسحاق ؟ قال : لحاجة إبراهيم قال : إن إبراهيم إنما يذهب بك ليذبحك فقال إسحاق : وما شأنه يذبحنى وهل رأيت أحداً يذبح ابنه ؟ قال : يذبحك لله ، قال : فإن يذبحنى لله أصبر والله لذلك أهل ، فلما رأى أنه لم يستفد من إسحاق شيئاً جاء إلى سارة فقال : أين يذهب إسحاق ؟ قالت : ذهب مع إبراهيم لحاجته ، فقال : إنما ذهب به ليذبحه فقالت :

(١) المصدر السابق ج ٢٣ ص ١١٠ ، تفسير الطبرى ج ٢٣ ص ٤٩ .

وهل رأيت أحداً يذبح ابنه ؟

قال : يذبحه لله قالت : فإن ذبحه لله ، فإن إبراهيم وإسحاق لله ، والله لذلك أهل .

فلما رأى أنه لم يستفد منها شيئاً ، أتى الجمرة ، فانتفخ حتى سدَّ الوادى ومع إبراهيم الملك فقال الملك : ارم يا إبراهيم فرمى بسبع حصيات ، يكبر فى أثر كل حصاة فأفرج له عن الطريق ثم انطلق حتى أتى الجمرة الثانية حتى سدَّ الوادى فقال له الملك : ارم يا إبراهيم فرمى بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة ، فأفرج له عن الطريق ، ثم انطلق حتى أتى الجمرة الثالثة : فانتفخ حتى سدَّ الوادى عليه فقال له الملك : ارم يا إبراهيم فرمى بسبع حصيات يكبر فى أثر كل حصاة ، فأفرج له عن الطريق حتى أتى المنحر ^(١) .

ومن الواضح أن الروايات الثلاث الأخيرة تدور أحداثها فى مكة وما حولها عند المنحر وبين المناسك .

وقبل أن نتكلم عن أسانيدنا ونبين درجتها من هذه الناحية ، أود أن أشير إلى أمر هام يكاد يكون مجمعاً عليه إن لم يكن مجمعاً عليه بالفعل ، وهو أن إسحاق ما نزل مكة ، ولا ارتبط اسمه بها ، أو بأى مكان مقدس من مشاعرها المقدسة ، سواء فى منى أو المزدلفة وغيرهما ، بل إن السيدة سارة أم إسحاق ما أثر أنها جاءت إلى منى ودخلت مسجد الخيف !!! وغير ذلك من الأوهام والزيادات والإضافات التى اضطرتهم إلى أن يقولوا إن إسحاق جىء به من الشام إلى مكة وإلى منى لكى يذبح ، وهذا كلام مستبعد فى العقل ، وينقصه التوثيق فى التاريخ كما سنبينه بعد ذلك .

وهكذا اطلعنا على عدة روايات موقوفة على بعض الصحابة والتابعين

(١) السور المنشور ج ٢٣ ص ١١١ .

وتابعى التابعين نقلها عدد من المفسرين ، واستشهد بها القائلون بأن الذبيح
إسحاق معتقدين صحة أسانيدها ، وجواز الاستدلال بها .

فقد نقل القرطبي بعض هذه الروايات عن سبعة من الصحابة هم : العباس
بن عبد المطلب ، وابنه عبد الله ، وعبد الله بن مسعود ، وجابر ، وعبد الله بن
عمر ، وعمر ، وعلى بن أبي طالب .

ثم يقول : « فهؤلاء سبعة من الصحابة ، وقال به من التابعين وغيرهم علقمة
والشعبي ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وكعب الأحماس ، وقتادة ، ومسروق ،
وعكرمة ، والقاسم بن أبي بزة ، وعطاء ، ومقاتل ، وعبد الرحمن بن سابط ،
والزهري ، والسدي ، وعبد الله بن أبي الهذيل ، ومالك بن أنس كلهم قالوا :
الذبيح إسحاق » (١) .

وهناك ملاحظة جديرة بالتأمل وهي أن الروايات المنقولة عن بعض الصحابة
في أن الذبيح إسحاق ، يقابلها من الجانب الآخر روايات عن نفس هؤلاء
الصحابة والتابعين في أن الذبيح إسماعيل ، وهذا يعنى أن أحد القولين صحيح
والآخر باطل .

وهذا واضح جداً في الأقوال المنسوبة إلى الإمام ابن عباس وإلى الإمام عبد
الله بن عمر ، وكذلك الأمر في بعض التابعين وسيتضح لنا ذلك حينما نتحدث
عن حجج القائلين بأن الذبيح إسماعيل .

يذكر الحافظ ابن كثير أن القول بأن الذبيح إسحاق قال به عدد من الصحابة
والتابعين ، وذكر أسماءهم ، ثم قال :

« وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس ، ولكن الصحيح عنه - وعن أكثر
هؤلاء - أنه إسماعيل عليه السلام .

(١) تفسير القرطبي جـ ١٥ ص ٩٩ - ١٠٠ .

قال مجاهد وسعيد والشغبى ويوسف بن مهران ، وعطاء وغير واحد عن ابن عباس : هو إسماعيل عليه السلام ^(١) .

بل إن الإمام الطبرى نفسه نقل عن ابن عباس قوله : « المفدى إسماعيل ، وزعمت اليهود أنه إسحاق ، وكذبت اليهود » ^(٢) .

ولذلك فإن ابن كثير حينما يشير إلى أن القول بأن الذبيح إسحاق هو اختيار ابن جرير ، يعقب على ذلك بقوله : « وهذا عجيب منه » ^(٣) .

فابن جرير كما يقول الدكتور محمد حسين الذهبى لم يلتزم الصحة فى كل مايرويه ، ويرى أننا لو عرضنا هاتين الروايتين المذكورتين عن ابن عباس على قواعد المحدثين فى نقد الرواية والترجيح لتبين لنا بكل وضوح وجلاء أن الرواية القائلة بأن الذبيح هو إسماعيل أصح من غيرها وأرجح مما يخالفها ، لأنها مؤيد بأدلة كثيرة ^(٤) .

وهذه الأدلة الكثيرة والقوية سوف نبينها عند ذكر حجج القائلين بأن الذبيح إسماعيل إن شاء الله تعالى .

مصدر هذه الروايات :

وإذا كانت الروايات المرفوعة التى استشهد بها الفريق الأول ، والتى أوردناها آنفاً ، قد بين العلماء أنها ليست مرفوعة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فبعضها موقوف على الصحابة والتابعين ، والكثير منها أحاديث موضوعة ، أو منكرة ، أو ضعيفة ، وكلها حتى الموقوف منها لا يجوز الاستشهاد بها ، ولا يمكن

(١) قصص الأنبياء ج١ ص١٤٤ ، راجع أيضاً زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ج٧ ص٧٣ المكتب الإسلامى للطباعة والنشر ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

(٢) تفسير الطبرى ج٢٣ ص٥٣ تاريخ الطبرى ج١ ص٢٦٨ .

(٣) قصص الأنبياء ج١ ص١٤٤ .

(٤) التفسير والمفسرون ج١ ص٢ ، نشر دار الكتب .

الاعتماد عليها فى الاستدلال .

وإذا كانت الروايات الموقوفة على الصحابة والتابعين والتي أوردناها أيضا عقب الروايات المرفوعة لا يمكن الاحتجاج بها أيضا ، فنسبتها إلى الموقوفة عليهم غير صحيحة ، وسندها منقطع ، كما سيتبين الآن من كلام العلماء .

إذا كان الأمر كذلك فما هو المصدر الحقيقى لهذه الروايات التي صدرت عنه ، حتى شاعت فى كتب التفسير ، وانتشرت فى كتب الحديث ، ونقلت عن بعض العلماء ، ونسبت إليهم .

يذكر ابن كثير فى كتابه قصص الأنبياء أنه قد قال بأنه إسحاق طائفة كثيرة من السلف وغيرهم ، وأنهم إنما أخذوه من كعب الأحبار أو من صحف أهل الكتاب ، وليس فى ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى نترك لأجله ظاهر الكتاب العزيز ، ولا يفهم هذا من القرآن ، بل المفهوم بل المنطوق بل النص عند التأمل على أنه إسماعيل (١) .

قال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن الزهرى أخبرنا القاسم قال : اجتمع أبو هريرة وكعب ، فجعل أبو هريرة رضى الله عنه ، يحدث عن النبى ﷺ ، وجعل كعب يحدث عن الكتب فقال أبو هريرة رضى الله عنه قال النبى ﷺ : « إن لكل نبى دعوة مستجابة وإنى قد خبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة » فقال كعب : أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، قال : فذاك أبى وأمى - أو فداء أبى وأمى - أفلا أخبرك عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام : أنه لما رأى ذبح ابنه إسحاق ، وفى رواية أن كعبا قال لأبى هريرة : ألا أخبرك عن إسحاق بن إبراهيم النبى قال أبو هريرة : بلى : قال كعب : لما رأى إبراهيم ذبح إسحاق قال الشيطان : إن لم أفتن هؤلاء عند هذه لم أفتنهم أبدا ،

(١) قصص الأنبياء ج ١ ص ١٤٣ .

فخرج إبراهيم عليه الصلاة والسلام بابنه ليذبحه ، فذهب الشيطان ، فدخل على سارة فقال : أين ذهب إبراهيم بابنك ؟ وفى رواية أين ذهب إبراهيم غادياً بإسحاق قالت : غدا به لبعض حاجته ، قال : فإنه لم يغد به لحاجة إنما ذهب به ليذبحه ، قالت : ولم يذبحه ؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك ، قالت : فقد أحسن أن يطيع ربه فذهب (١) .

ولذلك فإن ابن كثير بعد أن أورد الروايات التى تذكر أن الذبيح إسحاق عقب عليها بقوله :

« وهذه الأقوال والله أعلم كلها مأخوذة عن كعب الأحبار ، فإنه لما أسلم فى الدولة العمرية ، جعل يحدث عمر عن كتبه قديماً ، فرمما استمع له عمر رضى الله عنه ، فترخص الناس فى استماع ما عنده ، ونقلوا ما عنده عنه ، غشها وسمينها ، وليس لهذه الأمة والله أعلم حاجة إلى حرف واحد مما عنده » (٢) .

ويذكر القاسمى أن المفسرين قد رووا فى قصة الذبيح روايات منكورة لم يصح سندها ولا متنها ، بل ولم تحسن ، فهى معضلة تنتهى إلى السدى وكعب ، والسدى حاله معلوم فى ضعف مروياته وكذلك كعب (٣) .

وإذا كانت أغلب الروايات إن لم يكن كلها منقولة عن كعب والسدى فإن هناك أثراً يكثر الاستشهاد به والاعتماد عليه من قبل القائلين بأن الذبيح إسحاق .

يذكر كثير من المفسرين (٤) أن الذين قالوا بأن الذبيح إسحاق ، قد استدلوا بكتاب يعقوب إلى يوسف :

(١) راجع الدر المنثور للسيوطى ج٣ ص ٢٣ - ١٠٨ - ١٠٩ ، تاريخ الطبرى ج١ ص ٢٦٥ - ٢٦٦

تفسير الطبرى ج٢٣ ص ٥٢ ، تفسير ابن كثير ج٤ ص ١٥ - ١٦ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص ١٧ .

(٣) محمد جمال الدين القاسمى : محاسن التأويل ج٤ ص ١٢٠ دار الفكر بيروت الطبعة الثانية

١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

(٤) الزمخشري فى الكشف ج٣ ص ٣٥٠ والرازى فى ... ج٢ ص ١٥٤ - ١٥٥ .

من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله .
وعقب عليه الكثيرون منهم البيضاوى وأبو السعود وغيرهما بأن هذا
الحديث لم يثبت .
وذكر مثل ذلك الشهاب الخفاجى والبقاعى ، وأشارا إلى أن هذا الحديث
موضوع ^(١) .

فقد علق الحافظ ابن حجر فى كتابه « الكافى الشافى فى تخريج أحاديث
الكشاف » على هذا الحديث بقوله :

« أخرجه الترمذى فى النوادر فى الحادى والعشرين بعد المائتين ، حدثنا
عمر بن أبى عمر حدثنا عصام بن المثنى الحمصى عن أبيه عن وهب بن منبه قال :
كتب يعقوب كتاباً فيه « بسم الله الرحمن الرحيم : من يعقوب نبي الله إلى
آخره » .

وأخرج الدارقطنى فى غرائب مالك من رواية إسحاق بن وهب الطوسى
عن ابن وهب عن مالك عن نافع عن ابن عمر رفعه ، أوصى إلى ملك الموت
أن أئت يعقوب فسلم عليه فذكر الحديث - وفيه فقال : اكتبوا باسم الله
الرحمن الرحمن الرحيم : من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن
إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر : أما بعد فإننا أهل بيت فذكره مطولاً .

قال الدارقطنى : هذا موضوع ، وإسحاق كان يضع الحديث على ابن
وهب ^(٢) .

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى ج ٧ ص ٢٨٠ ، نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور
ج ١٦ ص ٢٦٢ راجع أيضاً السيرة الحلبية ج ١ ص ٦٠ وتفسير البيضاوى ج ٢ ص ٢٩٧ وأبى
السعود ج ٤ ص ٢٠٠ ، وشرح الشف ج ١ ص ٤٩٠ .

(٢) هامش ص ٥٧ من تفسير الكشاف ج ٤ الناشر دار الكتاب العربى بيروت ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م ،
راجع أيضاً الفتح السماوى فى تخريج أحاديث تفسير البيضاوى للمناوى ج ٣ ص ٩٥٦ - ٩٥٧ .

تعقيب :

وبذلك فإن الروايات التي اعتمد عليها القائلون بأن الذبيح إسحاق روايات موضوعة أو منكرة أو ضعيفة ، نقلت عن أحبار أهل الكتاب ، ونقلها هؤلاء دون أن يبحثوا في سندها ، ظنا منهم أن ما عليه أهل الكتاب أولى بالاتباع . وإلى قريب من هذا يقول القرطبي في معرض ترجيحه للرأى القائل بأنه إسحاق « وعليه أهل الكتابين اليهود والنصارى » (١) .

وكان ينبغي عليه أن يقول مثل الألوسي في هذا الشأن ، حينما مال إلى الرأى القائل بأنه إسماعيل ، بناء على أن ظاهر الآية يقتضيه وأنه المروى عن كثير من أئمة أهل البيت ، وأنه لم يتيقن صحة حديث مرفوع يقتضى خلاف ذلك ثم انتهى إلى أن حال أهل الكتاب لا يخفى على ذوى الأبواب (٢) .

ولكن القرطبي وقبله الطبري وغيرهما ممن سبقوهما أو لحقوا بهما ، تابعوا أهل الكتاب وقلدوهم ونقلوا عنهم هذا الرأى .

يذكر ابن القيم أنه سمع شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب مع أنه باطل بنص كتابهم (٣) .

وذكر أيضا في الفتاوى أن أهل الكتاب حرفوا فزادوا إسحاق بدلا من إسماعيل فتلقى ذلك عنهم من تلقاه ، وشاع عند بعض المسلمين أنه إسحاق ، وأصله من تحريف أهل الكتاب (٤) .

ويذكر الحافظ ابن كثير أن هذا القول قد حكى عن طائفة من السلف حتى نقل عن بعض الصحابة رضى الله عنهم أيضا ، وليس ذلك في كتاب ولا سنة ،

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ١٠٠ .

(٢) روح المعاني ج ٢٣ ص ١٣٦ .

(٣) زاد المعاد ج ١ ص ٧١ .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ج ٤ ص ٣٣١ - ٣٣٢ .

ويرى أنه ماتلقى إلا عن أحبار أهل الكتاب ، وأخذ ذلك مسلماً من غير حجة ، وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل (١) .

ويقول فى موضع آخر: إن القائلين بأن الذبيح إسحاق إنما مستندهم على الإسرائيليات ، حيث إن كتابهم فيه تحريف ، حيث وضعوا إسحاق بدلاً من إسماعيل ، فلفظة إسحاق مقحمة مكذوبة مفتراة فى هذا الموضع لأنه ليس هو الوحيد ولا البكر ، وإنما ذاك إسماعيل (٢) .

ويرى الدكتور محمد أبو شهبة أن المرويات فى أن الذبيح إسحاق هى من إسرائيليات أهل الكتاب ، وقد نقلها من أسلم منهم ، ككعب الأحبار ، وحملها عنهم بعض الصحابة والتابعين تحسينا للظن بهم ، فذهبوا إليه ، وجاء بعدهم العلماء فاغتروا بها وذهبوا إلى أن الذبيح إسحاق .

وينتهى إلى أن حقيقة هذه المرويات أنها من وضع أهل الكتاب لعداوتهم المتأصلة من قديم الزمان للنبي الأُمى العربى وقومه العرب ، فقد أرادوا أن لا يكون لإسماعيل الجد الأعلى للنبي والعرب فضل فى أنه الذبيح حتى لا ينجر ذلك إلى النبي ﷺ وإلى الجنس العربى (٣)

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٤٤ .

(٢) راجع قصص الأنبياء ج ١ ص ١٤٣ .

(٣) الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .

السيرة النبوية فى ضوء الكتاب والسنة الجزء الأول ص ١١٣ - ١١٤ .

ثانياً : الحجج العقلية :

استدل القائلون بأن الذبيح إسحاق بحجج عقلية استنبطوها من آيات القرآن الكريم ، وتأولوا معانيها حتى توافق مذهبهم .

ومن هذه الحجج :

الحجة الأولى :

ذكر الإمام الرازى أن من الحجج العقلية التى استدل بها هؤلاء أنه تعالى لما حكى عن إبراهيم عليه السلام فى سورة الصافات قبل قصة الذبيح قال سبحانه : ﴿ وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين ﴾ وأجمعوا على أن المراد منه مهاجرته إلى الشام .

ثم قال تعالى : ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ فوجب أن يكون هذا الغلام ليس إلا إسحاق .

ثم قال بعده : ﴿ فلما بلغ معه السعى ﴾ وذلك يقتضى أن يكون المراد من هذا الغلام الذى بلغ معه السعى هو ذلك الغلام الذى حصل فى الشام .
فثبت أن مقدمة هذه الآية تدل على أن الذبيح هو إسحاق (١) .

وقد أشار الإمام الطبرى إلى تلك الحجة بقوله :

« وأولى القولين بالصواب فى المفدى من ابنى إبراهيم خليل الرحمن على ظاهر التنزيل قول من قال هو إسحاق .

لأن الله قال : ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ فذكر أنه فدى الغلام الحليم الذى

(١) مفاتيح الغيب ج٢ ص ٢٦٤ راجع أيضاً تفسير الكشاف للزمخشري ج٣ ص ٣٥٠
النيسابورى : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ج٢٣ ص ٦٨ هامش تفسير الطبرى .

بشر به إبراهيم حين سألته أن يهب له ولداً صالحاً من الصالحين فقال ﴿رب هب لي من الصالحين﴾ .

فإذا كان المقدى بالذبح من ابنه هو المبشر به ، وكان الله تبارك اسمه قد بين في كتابه أن الذى بشر به هو إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ، فقال جل ثناؤه : ﴿وبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ وكان في كل موضع من القرآن ذكر تبشير إياه بولد فإنما هو معنى به إسحاق ، كان بينا أن تبشير إياه بقوله : ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ في هذا الموضع نحو سائر أخباره في غيره من آيات القرآن (١) .

واستدل القرطبي أيضاً بنفس الحجة التي أوردها الطبري ولكن بشيء من التصرف فذكر أن الله عز وجل قد أخبر عن إبراهيم حين فارق قومه فهاجر إلى الشام مع امرأته سارة وابن أخيه لوط فقال : ﴿إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ أنه دعا فقال ﴿رب هب لي من الصالحين﴾ وقال تعالى : ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ (٢) .

ولأن الله قال : ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ .

فذكر أن الفداء في الغلام الحليم الذى بشر به إبراهيم ، وإنما بشر بإسحاق لأنه قال : ﴿وبشرناه بإسحاق﴾ وقال هنا ﴿بغلام حليم﴾ وذلك قبل أن يتزوج هاجر وقبل أن يولد له إسماعيل ، وليس في القرآن أنه بشر بولد إلا إسحاق (٣) .

ومن الواضح أن الطبري ومن اتبعه كالقرطبي وغيره قد اعتقدوا أولاً بأن الذبيح إسحاق جرياً على ماورد في الأحاديث التي أوردناها وبيننا عدم

(١) تاريخ الطبري ج ١ ص ٢٧٠ - ٢٧١ ، راجع أيضاً تفسير الطبري ج ٢٣ ص ٥٤ - ٥٥ .

(٢) مريم : ٤٩ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ١٠١ .

صلاحيتها للاستشهاد ، واتباعاً لما ورد عند أهل الكتاب ، ثم أرادوا أن يدعموا كل ذلك بآيات القرآن الكريم ، فبدلوا محاولات فى هذا المجال حتى يتمكنوا من تطويع الآيات القرآنية للرأى الذى ذهبوا إليه .

فهم يرون أن الخليل عليه السلام قد بشر بالغلام بعد اعتزاله لقومه ، وأن هذا الغلام هو إسحاق وليس إسماعيل حسب ماورد فى سورة مريم .

وأن هذا الغلام المبشر به هو الذبيح لقوله تعالى عنه ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ .

وأن إسحاق فقط هو الذى بشر به دون إسماعيل .

وللرد عليهم وبيان بطلان ماذهبوا إليه أقول ما يلى :

فيما يتعلق بتبشير الله سبحانه لإبراهيم بإسحاق عقب الاعتزال كما يزعمون فإن هذا غير صحيح .

حيث إنهم اعتمدوا على ماورد فى سورة مريم ﴿ فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب ﴾ .

فلو كان هذا صحيحاً لكان إسحاق أكبر من إسماعيل وهذا ما لم يقل به أحد من اليهود والنصارى ولا من المسلمين اللهم إلا ما ذكره القرطبى فشذ فيه عن الجميع حين قال فى تفسيره لقصة الذبيح « قد ذكرنا أولاً مايدل على أن إسحاق أكبر من إسماعيل » (١) .

فبحثت عن استدلاله هذا فلم أجده ، وتعجبت من أين جاء بهذا الاستنتاج ، ولو كان الأمر كما يدعى لأصبح إسحاق هو البكر وأراح اليهود من محاولات التحريف والتبرير التى أحدثوها حتى ينفوا عن إسماعيل أنه بكر ويسقطوا عنه البكورية .

(١) الجامع لأحكام القرآن جده ١ ص ١١٣ .

والعجيب أننى وجدت القرطبي فى الجزء الثانى من تفسيره يذكر أن إسماعيل هو أكبر ولد إبراهيم وأن أباه قد نقله إلى مكة وكان له سنتان (١) .

بل الأعجب من ذلك أننى وجدته فى تفسير سورة مريم يقول بالنص فى قوله تعالى: ﴿ واذكر فى الكتاب إسماعيل ﴾ والجمهور أنه إسماعيل الذبيح أبو العرب بن إبراهيم .

وقد قيل : إن الذبيح إسحاق ، والأول أظهر على ما تقدم ويأتى فى «الصفات» إن شاء الله (٢) .

ولاندرى ما الذى جعله يغير رأيه ، ويتأول كل هذا التأويل ، فالإجماع قائم من أهل الكتاب والمسلمين على أن إسماعيل أكبر من إسحاق ، ويكفى الاستشهاد بقوله تعالى على لسان إبراهيم ﴿ الحمد لله الذى وهب على على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء ﴾ (٣) .

وبناء على ذلك فإن أول غلام بشر به إبراهيم بعد اعتزاله لقومه أو هجرته لربه هو إسماعيل وليس إسحاق ، وأن قوله تعالى ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ فى سورة الصفات ينطبق على إسماعيل ، كما سنبين ذلك بالتفصيل عند ذكر الحجج التى اعتمد عليها القائلون بأنه الذبيح .

ونكتفى هنا بالإشارة إلى أن « الفاء » فى قوله تعالى ﴿ فبشرناه ﴾ للتعقيب والبشارة هى الإخبار بخير وارد عن قرب أو على بعد ، فإن كان الله سبحانه بشر إبراهيم بأنه يولد له ولد ، أو يوجد له نسل عقب دعائه كما هو الظاهر - وهو صريح فى سفر التكوين (٤) - فقد أخبره بأنه سبحانه قد استجاب له وزنه

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ١٣٥ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ م .

(٢) المصدر السابق ج ١١ ص ١١٤ دار إحياء التراث العربى بيروت ١٩٦٥ / ١٩٦٦ م .

(٣) إبراهيم : ٣٩ ، ولو تتبعنا آيات القرآن الكريم لوجدنا أن إسماعيل كان يذكر دائما قبل إسحاق إذا اجتمع ذكرهما فى آية واحدة .

(٤) جاء فى الإصحاح الخامس عشر من سفر التكوين « فقال إبراهيم أيها السيد الرب ماذا تعطينى وأنا =

يهبه ولدأ بعد زمان ، فالتعقيب علي ظاهره .

وإن كان الله سبحانه بشره بغلام بعد ذلك حين حملت منه هاجر زوجته بعد خروجه بمدة طويلة ، فالتعقيب نسبي ، أى بشرناه حين قدرنا ذلك أو بشارة بغلام ، فصار التعقيب آيلاً إلى المبادرة كما يقال : تزوج فولد له .

وعلى الاحتمالين فالغلام الذى بشر به هو الولد الأول الذى ولد له وهو إسماعيل لامحالة .

وهذا الغلام الذى بشر به إبراهيم هو إسماعيل ابنه البكر غير الغلام الذى بشرته به الملائكة وهو إسحاق عليهم جميعاً السلام (١) .

أما قوله تعالى فى سورة « مريم » ﴿ فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب ﴾ فإن الإمام الألوسى يذكر أن هذه الهبة كانت بدلاً من الذين فارقهم من أبيه وقومه الكفرة ، ولم تكن عقيب المهاجرة ، فإن أول ما وهب له عليه السلام من الأولاد إسماعيل عليه السلام .

وأما ترتيب هبتهما على اعتزاله ههنا فيرجع إلى بيان كمال عظم النعم التى أعطاه الله تعالى إياه بمقابلة من اعتزلهم من الأهل والأقرباء حيث إن إسحاق ويعقوب هما شجرتا الأنبياء ولهما أولاد وأحفاد أولو شأن خطير وذوو عدد كثير بالإضافة إلى أنه سبحانه أراد أن يذكر إسماعيل عليه السلام بفضله على الانفراد ، فقد فصل ذكره عن أبيه وأخيه عليهم السلام لإبراز كمال الاعتناء بأمره بإيراده مستقلاً (٢) .

= ماض عقيماً ومالك بيتى وهو البعازر الدمشقى ، وقال إبراهيم أيضاً : إنك لم تعطينى نسلاً وهو ذا ابن بيتى وارث لى ، فإذا كلام الرب إليه ، وكما سبق أن قلت فإن اليهود لم يجرؤا على الزعم بأن إسحاق أكبر من إسماعيل وإنما يقرون بكونية إسماعيل ولكنهم زعموا سقوطها عنه ونزعها منه كما سبق إن بينت .

(١) راجع تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ج ٢٣ ص ١٤٩ .

(٢) روح المعانى ج ١٦ ص ١٠٢ ، ١٠٤ .

وبذلك فإنه لاحجة للطبرى والقرطبي فى عدم ذكر إسماعيل هنا حيث اعتقدا أن إسحاق هو الذى جاء بعد الاعتزال مباشرة ونسيا أن الخليل بعد الاعتزال طلب الولد وهذا يعنى أنه لم يكن قد ولد له ، فلما بشر به لم يتعجب لأنه هو الذى سأل .

أما فى إسحاق فإنه لم يطلبه بل على العكس تعجب كثيراً هو وامرأته حينما بشرتهما الملائكة ، وسوف نفصل القول فى هذا عند ذكر حجج الفريق الثانى .

أما قولهم بأن إسحاق وحده هو الذى بشر به دون إسماعيل فإنه يكفى أن تكون هذه الآية ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ كما يقول الألوسى - دليلاً على أن إسماعيل مبشر به أيضاً ، لأن قوله : ﴿ وبشرناه بإسحاق ﴾ بعد استيفاء هذه القصة فى سورة الصافات وتذييلها بما ذيل ، ظاهر الدلالة على أن هنالك بشارتين متغايرتين (١) .

ولذلك فإن الحافظ ابن كثير بعد أن ذكر أن ابن جرير إنما عول فى اختياره أن الذبيح إسحاق على قوله تعالى : ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ فجعل هذه البشارة هى البشارة بإسحاق فى قوله تعالى : ﴿ وبشروه بغلام عليم ﴾ .

بعد أن ذكر ذلك قال : « هذا ما اعتمد عليه فى تفسيره ، وليس إليه بمذهب ولا لازم ، بل هو بعيد جداً ، والذى استدل به محمد بن كعب القرظى على أنه إسماعيل أثبت وأصح وأقوى (٢) .

فما الذى استدل به ابن كعب القرظى ؟

لقد استدل بهذه الآية على أن هناك بشارتين متغايرتين وأن الذبيح إسماعيل .

(١) المصدر السابق جـ ٢٣ ص ١٣٥ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٨ .

جاء فى تفسير الطبرى نفسه عن ابن حميد بسنده عن ابن إسحاق قال سمعت محمد بن كعب القرظى وهو يقول : إن الذى أمر الله إبراهيم بذبحه من ابنه إسماعيل ، وإنا لنجد ذلك فى كتاب الله فى قصة الخبر عن إبراهيم وما أمر به من ذبح ابنه إسماعيل .

وذلك أن الله يقول حين فرغ من قصة المذبوح من ابنى إبراهيم قال ﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾ .

يقول : ﴿وبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ .

يقول بابن وابن ابن فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق وله فيه من الله الموعود ما وعد الله ، وما الذى أمر بذبحه إلا إسماعيل (١) .

الحجة الثانية :

كما استدلل القائلون بأن الذبيح بأول الآيات فى سورة الصافات استدلوا كما قال الرازى أيضاً بآخرها لأنه تعالى لما تم قصة الذبيح قال بعده ﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾ .

ومعناه فيما يقولون أنه بشر بكونه نبياً من الصالحين .

وذكر هذه البشارة عقيب حكاية تلك القصة يدل على أنه تعالى إنما بشره بهذه النبوة لأجل أنه تحمل هذه الشدائد فى قصة الذبيح ، فثبت بما ذكرنا أن أول الآية وآخرها يدل على أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام (٢) .

هذا هو تصوير الرازى لرأيهم واعتمادهم على هذه الحجة التى يذكرها القرطبى بقوله فى تفسيره لفوله تعالى ﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن ج٢٣ ص٥٣ - ٥٤ .

(٢) التفسير الكبير ج٢٦ ص ١٥٤

بشر بنبوته ، فالبشارة كانت مرتين : الأولى بولادته والثانية بنبوته جزاء على صبره ورضاه بأمر ربه ، واستسلامه له ، ولا تكون النبوة إلا فى حال الكبر و« نبيا » نصب على الحال ، والهاء فى « عليه » عائدة إلى إبراهيم وليس لإسماعيل فى الآية ذكر حتى ترجع الكناية إليه .

ومعنى قوله تعالى ﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق﴾ .

أى ثنينا عليهما النعمة ، وقيل : كثرنا ولدتهما ، أى باركنا على إبراهيم وعلى أولاده ، وعلى إسحاق حين أخرج أنبياء بنى إسرائيل من صلبه (١) .

فقد حمل هؤلاء قوله تعالى ﴿وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين﴾ على البشارة بنبوته ، وماتقدم على البشارة بأن يوجد قبل ، ولما كان التبشير هناك قبل الولادة ، والتسمية إنما تكون بعدها فى الأغلب لم يسم هناك وسماه هنا لأنه بعد الولادة ، واستأنس للاتحاد بوصفه بكونه من الصالحين لأن مطلوبه كان ذلك فكأنه قيل له : هذا الغلام الذى بشرت به أولاً هو ما طلبته بقولك ﴿رب هب لى من الصالحين﴾ (٢) .

ويجيب الإمام الألوسى بأن حمل قوله تعالى ﴿وبشرناه بإسحاق﴾ على البشارة بالنبوة خلاف الظاهر إذ كان الظاهر أن يقال : لو أريد ذلك بشرناه بنبوته ونحوه ، وتقدير أن يوجد نبيا لا يدفعه كما لا يخفى وكذا وصفه بالصالح الذى طلبه (٣) .

وسوف يتبين لنا عند عرض حجج القائلين بأن الذبيح إسماعيل مدى ضعف هذه الحجة التى اعتمد عليها القرطبى ، حيث نرى أن هذه الآية نفسها ﴿وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين﴾ تدل دلالة أكيدة على أن الذبيح إسماعيل ، حيث بشر إبراهيم بإسحاق بعد أن فرغ من قصة الذبيح إسماعيل .

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ١١٢-١١٣ .

(٢) روح المعانى ج ٢٣ ص ١٣٦ . (٣) المصدر السابق .

ويمكن أن نكتفى هنا برد ذكره القرطبي نفسه فقال :

قال المفضل : الصحيح الذى عليه القرآن أنه إسماعيل ، وذلك أنه قص قصة الذبيح ، فلما قال فى آخر القصة ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ ثم قال ﴿ سلام على إبراهيم ﴾ قال ﴿ وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ﴾ ﴿ وباركنا عليه ﴾ أى على إسماعيل ﴿ وعلى إسحاق ﴾ كنى عنه لأنه قد تقدم ذكره ثم قال : ﴿ ومن ذريتهما ﴾ فدل على أنها ذرية إسماعيل وإسحاق وليس تختلف الرواة فى أن إسماعيل كان أكبر من إسحاق بثلاث عشر سنة (١) .

وهذا كلام جيد ، واستدلال قوى .

ولكن القرطبي كما قلت قبل ذلك يبالغ فى الاستدلال ، حتى يضطر إلى أن يقول ما أشرنا إليه من قبل من زعمه بأن إسحاق أكبر من إسماعيل .

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ١١٣ .

المبحث الرابع

حجج الفريق الثانى : القائلون بأن الذبيح إسماعيل

(عليه السلام)

المبحث الرابع

حجج الفريق الثانى : القائلون بأن الذبيح إسماعيل (عليه السلام)

بعد أن عرضنا الحجج الفريق الأول ، وبيننا ضعفها ، وعدم الاعتداد بها ، سواء كانت حججاً عقلية أم عقلية ، ننتقل إلى حجج الفريق الثانى ، وإن كنا قد أشرنا إلى بعضها من قبل ، حيث إن النقد الذى عقبنا به على حجج الفريق الأول يعد فى واقع الأمر داخلاً ضمن حجج الفريق الثانى :

أولاً : الحجج العقلية :

اعتمد القائلون بأن الذبيح إسماعيل عليه السلام على عدة روايات : بعضها مرفوع إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، والبعض الآخر موقوف على كثير من الصحابة والتابعين نذكر منها مايلى :

١ - الرواية المرفوعة :

أورد الإمام الطبرى فى تفسيره وتاريخه رواية عن ابن عمار الرازى قال : حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبى كريمه قال : حدثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابى عن عبيد الله بن محمد العتبى من ولد عقبة بن أبى سفيان عن أبيه قال : حدثنى عبد الله بن سعيد عن الصنابجى قال :

كنا عند معاوية بن أبى سفيان فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق فقال : على الخير سقطتم ، كنا عند رسول الله ﷺ فجاءه رجل فقال : يا رسول الله عدّ على ما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين ، فضحك عليه السلام فقليل له : يا أمير المؤمنين وما الذبيحان ؟ فقال : إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله لئن

سهل عليه أمرها ليذبحن أحد ولده ، قال : فخرج السهم على عبد الله فمنعه
أخواله ، وقالوا افد ابنك بمائة من الإبل ، ففداه بمائة من الإبل وإسماعيل
الثاني (١) .

وقد رواها السيوطي بنفس الذي أورده الطبري في كتابه « الدر المنثور »
وأشار إلى أن الآمدي قد رواها في مغازيه ، والخلعي في فوائده ، وابن
مردويه (٢) .

وقد رواها الحاكم في كتابه « المستدرک » (٣) .

وأما الحافظ ابن كثير فقد أوردها في كتابيه : قصص الأنبياء وتفسير القرآن
العظيم ، وعلق عليها بقوله « هذا حديث غريب جداً ، وذكر أن الأموي قد
رواه في مغازيه (٤) » .

وأشار كل من الزمخشري والرازي والنيسابوري إلى رواية أخرى بنفس
المعنى مبينين أن القائلين بأن الذبيح إسماعيل قد استشهدوا بها ونصبها أن النبي
ﷺ قال : « أنا ابن الذبيحين » (٥) .

وعلق الحافظ ابن حجر على هذا الحديث في تخريجه لأحاث الكشاف
بقوله « أخرجه الحاكم والثعلبي من رواية الصنابجي عن معاوية رضى الله عنه
وفيه قصة » (٦) وسنشير إليها قريباً ، وهو بذلك يقصد الرواية الأولى .

وذكر السخاوي رواية ثالثة نصبها « ابن الذبيحين » وعلق عليها بقوله : « رواه
الحاكم في المناقب من مستدركه من حديث عبد الله ابن محمد العتبي عن

(١) تاريخ الطبري ج ١ ص ٢٦٣ - ٢٦٤ ، تفسير الطبري ج ٢٣ ص ٥٤ .

(٢) الدر المنثور ج ٢٣ ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٣) المستدرک ج ٢ ص ٥٥٤ .

(٤) قصص الأنبياء ج ١ ص ١٤٤ - ١٤٥ ، تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٨ .

(٥) الكشاف ج ٣ ص ٣٥٠ ، التفسير الكبير ج ٢٦ ص ١٥٣ ، تفسير النيسابوري ج ٢٣ ص ٦٧ .

(٦) الكشاف ج ٤ هامش ص ٥٦ .

الصنابجى قال : حضرنا مجلس معاوية إلخ ماورد فى الرواية الأولى .

وقال « وهكذا رواه ابن مردويه والثعلبى فى تفسيريهما ورواه الخلعى فى فوائده بزيادة والد العتبى بينه وبين الصنابجى ، وعند الزمخشري فى الكشف : « أنا ابن الذبيحين » (١) .

وقال العراقى فى هذا الحديث المروى فى الكشف : لم أقف عليه وعلق الشهاب الخفاجى بقوله : فى مستدرک الحاكم عن معاوية بن أبى سفيان « ونص عليه ، وذكره القسطلانى فى المواهب ، والقاضى عياض فى الشفا ، وهذا يكفى لثبوته حديثاً فإنه قوله وفعله وتقريره (٢) .

أما صاحب « كشف الخفاء » الشيخ العجلونى فقد علق على رواية « أنا ابن الذبيحين » بقوله : « كذا فى الكشف ، قال الزيلعى وابن حجر فى تخریج أحاديثه : لم نجده بهذا اللفظ ، وقال فى المقاصد : رواه الحاكم فى المناقب من مستدرکه ، وقال فى المواهب وشرحها للزرقانى وعند الحاكم فى المستدرک وابن جرير وابن مردويه والثعلبى فى تفاسيرهم عن معاوية بن أبى سفيان قال : كنا عند رسول الله ﷺ فأتاه أعرابى فقال : يا رسول الله خلفت البلاد يابسة ، والماء يابس ، وفى نسخة خلفت الكلاً يابس ، وخلفت المال عابسا ، هلك المال وضاع العيال ، فعد على مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين ، فتبسم رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه » (٣) .

وأشار العجلونى إلى ما نقله الحلبي فى سيرته عن السيوطى أن هذا الحديث

(١) المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ص ١٤ صححه وعلق حواشيه

عبد الله محمد الصديق الناشر : مكتبة الخانجي ومكتبة المثني بغداد ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م .

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى ج ٢ ص ٢٧٩ ، نسيم الرياض ج ١ ص ٤٩٠ - ٤٩١ .

(٣) الشيخ إسماعيل بن محمد العجلونى : كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ج ١ ص ٢٣٠ مكتبة التراث الإسلامى / حلب .

غريب وفي إسناده من لا يعرف (١) .

وانتهى إلى أن الحديث حسن ، بل صححه الحاكم والذهبي لتقويه بتعدد طرقه ، وفيه دليل على أن الذبيح إسماعيل (٢) .

وقد عرض لهذه الرواية الإمام القسطلاني في كتابه « المواهب اللدنية » وعلق عليها بقوله « ويعنى بالذبيحين عبد الله وإسماعيل بن إبراهيم ... فهو الذبيح الأول ، وإسماعيل الذبيح الثاني » (٣) .

وقصة نذر عبد المطلب ذبح أحد ولده مشهورة وردت في كتب السيرة والتاريخ .

يذكر ابن إسحاق فيما رواه عنه كل من الطبري وابن هشام وابن الأثير وابن كثير والبيهقي وغيرهم أن عبد المطلب كان قد نذر حين لقي من قريش مالمقى عند حفرة زمزم ، لئن ولد له عشرة نفر ، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه ، ليزبحن أحدهم لله عند الكعبة .

فلما تكامل بنوه عشرة ، وعرف أنهم سيمنعونه ، جمعهم ، ثم أخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء لله عز وجل بذلك ، فأطاعوه وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : ليأخذ كل رجل منكم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه ثم اثنوني ، ففعلوا ، ثم أتوه ، فدخل بهم على هبل في جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يهدى للكعبة ، وكان عند هبل قداح سبعة ، وهي الأعلام التي يتحاكمون إليها إذا أعضل عليهم أمر من عقل أو نسب أو أمر من الأمور ، جاءوه فاستقسموا بها فما أمرتهم به أو نهتهم عنه امتثلوه .

والمقصود أن عبد المطلب لما جاء يستقسم بالقداح عند هبل خرج القدح

(١) القول الصحيح في تعيين الذبيح ص ٣٥ من الجزء الثاني من كتاب الحاوي للفتاوى .

(٢) كشف الخفاء ص ٢٣٠ راجع السيرة الحلبية ج ١ ص ٥٨ - ٥٩ .

(٣) المواهب اللدنية ج ١ ص ١٧ .

على ابنه عبد الله وكان أصغر ولده وأحبهم إليه ، فأخذ عبد المطلب بيد ابنه عبد الله وأخذ الشفرة ، ثم أقبل به إلى إساف وناثلة ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أندية فقالوا : ماتريد يا عبد المطلب ؟ قال : أذبحه ، فقالت له قريش وبنوه إخوة عبد الله : والله لا تذبحه أبداً حتى نعذر فيه ، لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يجيء بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا ؟ .

ثم أشارت قريش على عبد المطلب أن يذهب إلى الحجاز فإن بها عرافة لها تابع ، فيسألها عن ذلك ، ثم أنت على رأس أمرك إن أمرتك بذبحه فاذبحه ، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه مخرج قبلته .

فانطلقوا حتى أتوا المدينة ، فوجدوا العرافة وهي سجاح ، بخبير ، فركبوا حتى جاءوها فسألوها وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه فقالت لهم : كم الدية فيكم ؟ قالوا عشرة من الإبل ، وكانت كذلك ، قالت : فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرة من الإبل ، ثم اضربوا عليها وعليه القداح ، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم ، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم ، فخرجوا حتى قدموا مكة ، فلما أجمعوا على ذلك الأمر قام عبد المطلب يدعو الله ثم قربوا عبد الله وعشراً من الإبل ، ثم ضربوا القدح على عبد الله ، فزادوا عشراً فلم يزلوا يزيدون عشراً عشراً ويخرج القدح على عبد الله حتى بلغت الإبل مائة ، ثم ضربوا القدح على الإبل فقالت عند ذلك قريش لعبد المطلب وهو قائم عند هبل يدعو الله قد انتهى ، رضى ربك يا عبد المطلب (١) .

(١) راجع تفاصيل هذه القصة في تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٤٠ - ٢٤٣ ، سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٥١ - ١٥٥ تحقيق وضبط وشرح مصطفى السقا طبعة مصطفى الحلبي الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م ، البداية والنهاية لابن كثير ج ٢ ص ٢٣٠ - ٢٣١ تحقيق د / أحمد أبو ملحم وآخرين نشر دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، السيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ١٧٤ - ١٧٦ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ٣ - ٤ نشر دار الكتاب العربي بيروت ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ، دلائل النبوة للبيهقي ج ١ ص ٩٨ - ١٠١ تحقيق د / عبد المعطي قلعجي دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

واستشكل بعض الناس أن عبد المطلب نذر نحر أحد بنيه إذا بلغوا عشرة ،
وقد كان تزويجه بهالة أم ابنه حمزة بعد وفائه بنذره ، فحمزة والعباس ولدا عبد
المطلب إنما ولدا بعد الوفاء بنذره ، وإنما كان أولاده عشرة بهما .

قال السهيلي : ولا إشكال في هذا فإن جماعة من العلماء قالوا : كان أعمام
النبي عليه السلام اثني عشر .

فإن صح هذا فلا إشكال في الخبر ، وإن صح قول من قال كانوا عشرة
لا يزيدون ، فالولد يقع على البنين وبنيتهم حقيقة لامجازا ، فكان عبد المطلب قد
اجتمع له من ولده وولد ولده عشرة رجال حين أوفى بنذره (١) .

ويقع أيضا في بعض السير أن عبد الله كان أصغر بني أبيه عبد المطلب وهو
غير معروف ، ولعل الرواية أصغر بني أمه ، وإلا فحمزة كان أصغر من عبد الله .
وروى عن العباس أنه قال : أذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا
ابن ثلاثة أعوام أو نحوها فجاء به حتى نظرت إليه وجعل النسوة يقلن لي قبل
أخاك فقبلته .

فكيف يصح أن يكون عبد الله هو الأصغر ؟ .

ولكن رواه البكائي ولروايته وجه وهو أن يكون أصغر ولد أبيه حين أراد
نحره ثم ولد له بعد ذلك حمزة والعباس (٢) .

(١) المواهب اللدنية ج ١ ص ١٨ - ١٩ .

(٢) راجع المصدر السابق والسيرة الحلبية ج ١ ص ٥٨ والمسماة : إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون
تأليف علي بن برهان الدين الحلبي مكتبة مصطفى الحلبي / الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .

٢ - الروايات الموقوفة :

لقد سبق أن أشرت إلى أن هناك روايات موقوفة على بعض الصحابة والتابعين تفيد أن الذبيح إسحاق ، وأن القائلين بهذا القول قد استشهدوا بها ، وأشرت هناك أيضا إلى أن هؤلاء الصحابة والتابعين قد روى عنهم أن الذبيح إسماعيل في روايات أخرى ، وقد وعدت القارئ أن أبين له ذلك .

فلنبداً أولاً بالإمام ابن عباس رضى الله عنهما ، الذي يعتمد على قوله بالدرجة الأولى من يرى أن الذبيح إسحاق .

ذكر الإمام الطبري - وهو من أشهر القائلين بأن الذبيح إسحاق - رواية عن الشعبي عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ أنه قال : هو إسماعيل (١) .

ورواية أخرى عن ابن حميد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : إن الذي أمر بذبحه إبراهيم هو إسماعيل .

ورواية ثالثة عن يعقوب عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : هو إسماعيل يعنى قوله تعالى : ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ .

وذكر ثلاث روايات أخرى عن الشعبي بأسانيد مختلفة أنه قال : قال ابن عباس : الذي فداه الله بذبح عظيم : هو إسماعيل .

ورواية سابعة عن مجاهد عن ابن عباس قوله : هو إسماعيل .

ثم ذكر الطبري رواية ثامنة عن ابن عباس يثبت فيها أن الذبيح إسماعيل ، ويكذب اليهود الذين يزعمون أنه إسحاق .

(١) ذكر الحاكم هذه الرواية في كتابه المستدرک وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه الجزء الثاني ص ٥٥٥ .

يقول : حدثني يونس بن عبد الأعلى ... عن عطاء بن أبي رباح عن عبد الله ابن عباس أنه قال : المفدى إسماعيل ، وزعمت اليهود أنه إسحاق ، وكذبت اليهود (١) .

وقال السيوطي في الدر المنثور « أخرج الفريابي وابن أبي شيبة ، وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه من طريق الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « الذبيح إسماعيل » (٢) .

وقال السيوطي أيضا « أخرج أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

لما أمر إبراهيم عليه السلام بالمناسك عرض له الشيطان عند المسعى ، فسأقه فسبقه إبراهيم عليه السلام ، ثم ذهب به جبريل عليه السلام إلى جمرة العقبة ، فعرض له الشيطان ، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى ، فرماه بسبع حصيات ، « ثم تله للجبين » وعلى إسماعيل عليه السلام قميص أبيض فقال : يا أبت ليس لي ثوب تكفني فيه غيره ، فاخلعه حتى تكفني فيه ، فعالجه ليخلعه ، فنودي من خلفه (أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ، فالتفت فإذا كبش أبيض ، أعين ، أقرن ، فذبحه) (٣) .

وجاء في مسند الإمام أحمد أن شريحا ويونس قالوا : حدثنا حماد عن أبي عاصم الغنوي عن أبي الطفيل قال : قلت لابن عباس : يزعم قومك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمل بالبيت ، وأن ذلك سنة ؟ فأجابه عن ذلك وعن الطواف بكلام طويل .. ثم قال : قلت : يزعم قومك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سعى بين الصفا والمروة وأن ذلك سنة ، قال : صدقوا : إن إبراهيم لما

(١) تاريخ الطبري ج ١ ص ٢٦٨ تفسير الطبري ج ٢٣ ص ٥٣ المستدرک للحاكم ج ٢ ص ٥٥٥ ،

راجع أيضا تفسير الثعالبي ج ٤ ص ٢٢ نسيم الرياض ج ١ ص ٤٩٠ .

(٢) الدر المنثور ج ٢٣ ص ١٠٥ .

(٣) المصدر السابق ، راجع أيضا القول الفصيح ص ٣٥ .

أمر بالمناسك عرض له الشيطان عند المسعى ، فسابقه ، فسبقه إبراهيم ، ثم ذهب به جبريل إلى جمرة العقبة ، فعرض له شيطان ، قال يونس : الشيطان ، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى ، فرماه بسبع حصيات ، قال : قد تله للجبين ، قال يونس : وثم تله للجبين ، وعلى إسماعيل قميص أبيض ، وقال : يا أبت ، إنه ليس لى ثوب تكفنى فيه غيره ، فاخلعه حتى تكفنى فيه فعالجه ليخلعه ، فنودى من خلفه (أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) فالتفت إبراهيم فإذا هو بكبش أبيض أقرن ، أعين ، قال ابن عباس : لقد رأيتنا نبيع هذا الضرب من الكباش » (١) .

وقد أورد هذا الحديث الحافظ ابن كثير فى تفسيره من أول قوله « لما أمر إبراهيم بالمناسك » ناقلاً عن الإمام أحمد (٢) .

ورواه الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد فى كتاب الحج باب رمى الجمار وعلق عليه بقوله « رواه أحمد والطبرانى فى الكبير ورجاله ثقات .

ورواه أيضا فى كتاب الأنبياء باب « فى ذكر إبراهيم الخليل وبنه صلى الله على نبينا وعليهم وسلم » وعلق عليه أيضا بقوله « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبى عاصم الغنوى وهو ثقة » وقد رواه فى الموضعين عن أبى الطفيل وأشار إلى أن هذا الحديث ورد من طريق آخر على أن الذبيح إسحاق وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط (٣) .

وهكذا فإن الروايات المأثورة عن الإمام ابن عباس فى أن الذبيح إسماعيل أثبت وأصح وأقوى من الروايات الأخرى والتي أشرنا إليها من قبل .

(١) المسند ج٤ حديث رقم ٢٧٠٧ شرحه وصنع فهرسه أحمد شاكر ، وعلق على هذا الحديث بأن إسناده صحيح وقال : أبو عاصم الغنوى ثقة وثقه ابن معين ، وترجمه البخارى فى الكنى رقم ٥٢٧ وأشار إلى هذا الحديث كعادته فى إشارات الدقيق ج٤ ص ٢٤٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص ١٥ .

(٣) مجمع الزوائد ج٣ ص ٢٥٩ ، ج٨ ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

ولذلك فإن الحافظ ابن كثير يذكر أن ابن عباس قد روى عنه في تسمية الذبيح روايتان والأظهر عنه إسماعيل (١) .

وتحت عنوان « ذكر الآثار الواردة بأنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام وهو الصحيح المقطوع به » أشار إلى أنه قد تقدمت الرواية عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه إسحاق عليه الصلاة والسلام ، ولكن روى عن سعيد بن جبير وعامر الشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد وعطاء وغير واحد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الذبيح هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام (٢) .

هذا فيما يتعلق بابن عباس رضى الله عنهما ، فكذلك الأمر فيما يتعلق بالإمام عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

فقد ذكر الطبرى رواية عن مجاهد عن ابن عمر أنه قال : الذبيح إسماعيل (٣) .

وجاء فى الدر المنثور « أخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر والحاكم وصححه عن ابن عمر رضى الله عنهما فى قوله : ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ قال : إسماعيل ذبح عنه إبراهيم الكبش (٤) .

وممن قال من الصحابة أيضا وكان من بنى إسرائيل الصحابى عبد الله بن سلام الذى كان من أحبار اليهود ثم هداه الله للإسلام فأسلم .

أخرج الحاكم من طريق عطاء بن يسار رضى الله عنه عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال : الذبيح إسماعيل (٥) .

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٥ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧ .

(٣) تاريخ الطبرى ج ١ ص ٢٦٧ ، تفسير الطبرى ج ٢٣ ص ٥٣ .

(٤) الدر المنثور ج ٢٣ ص ١٠٥ .

(٥) المستدرک للحاكم ج ٢ ص ٥٥٦ ، الدر المنثور ج ٢٣ ص ١٠٦ .

وأخرج عبد بن حميد من طريق الفرزدق الشاعر قال : رأيت أبا هريرة
رضي الله عنه يخطب على منبر رسول الله ﷺ يقول : إن الذي أمر بذبحه
إسماعيل (١) .

وبذلك فإن القول الصحيح المأثور عن الصحابة هو أن الذبيح إسماعيل ،
وإذا كان قد روى عن بعضهم أنه إسحاق في نفس الوقت الذي روى عنهم أنه
إسماعيل فإن الحافظ ابن كثير بعد أن عدد أسماء الصحابة الذين ورد عنهم أن
الذبيح إسحاق بما فيهم ابن عباس ، ذكر أن الصحيح عنه وعن أكثر هؤلاء أن
الذبيح إسماعيل (٢) .

وكذلك الإمام البقاعي في تفسيره بعد أن أشار إلى أسماء الصحابة القائلين
بأن الذبيح إسحاق ومنهم الصحابييان : عمر بن الخطاب ، والعباس بن عبد
المطلب رضي الله عنهما ، علق على ذلك بقوله :

« فعلم من هذا رجحان القول بأنه إسماعيل ، لأن ابن عمر وابن عباس
رضي الله عنهما تأخرا بعد من ذكر من أكابر الصحابة رضي الله عنهم
أجمعين .

فلولا أنه رجح عندهما ما خالفا أبويهما ، ونقل عكرمة عن ابن عباس
بموافقة أبيه لا يقدح في ذلك ، بل يؤيده لأن الأكثر كما ترى رووا عنه الثاني .
فلولا أنه صح عنده ما رجع عن الأول الذي هو موافق لرأى أبيه ، ولأجل
ثباته عليه اشتهر عنه » (٣) .

ومن الذين ذهبوا هذا المذهب أيضا شيخنا الدكتور محمد حسين الذهبي ،
حيث ذكر أن الروايات الموقوفة على الإمام ابن عباس رضي الله عنهما ، والتي

(١) الدر المنثور ج ٢٣ ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٢) قصص الأنبياء ج ١ ص ١٤٤ .

(٣) نظم الدرر ج ١٦ ص ٢٧٨ .

تفيد أن الذبيح هو إسحاق — على فرض أنها صحيحة الأسانيد — فإنها محمولة على أن ماتضمنته من أن الذبيح هو إسحاق ، كان رأى ابن عباس فى أول الأمر لأنه سمع ذلك من بعض الصحابة الذين كانوا يحدثون فى مثل هذا بما سمعوه من كعب وغيره من مسلمى اليهود .

ثم علم بعد ذلك أن ذلك قول اليهود فرجع عنه ، وصرح بنقيضه ، كما قال ابن جرير « حدثنى يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنى عمر بن قيس عن عطاء ابن أبى رباح ، عن عبد الله بن عباس أنه قال : المفدى إسماعيل ، وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود » (١) .

وينتهى الدكتور الذهبى إلى أن هذا الأثر صحيح عن ابن عباس وأن إسناده على شرط الصحيح ، وهو صريح فى تكذيب اليهود فيما زعموه ، ويقضى على كل أثر بخلافه وأنه بهذا الطريق تنتظم الآثار الواردة عن ابن عباس فى هذا الباب (٢) .

هذا فيما يتعلق بالصحابة رضوان الله عليهم .

أما فيما يتعلق بالتابعين وتابعيهم ، فقد أخرج عبد بن حميد عن سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير قالا : الذى أراد إبراهيم عليه السلام ذبحه هو إسماعيل عليه السلام (٣) .

وأخرج ابن جرير عن الشعبي ومجاهد والحسن ويوسف بن مهران ومحمد ابن كعب القرظى أن الذبيح إسماعيل (٤) .

وأورد الطبرى أيضا عن ابن حميد بسنده عن الحسن عن أبى الحسن البصرى أنه كان لا يشك فى أن الذى أمر بذبحه من ابنى إبراهيم إسماعيل (٥) .

(١) التفسير والمفسرون ج ١ ص ١٦٢ . (٢) المصدر السابق ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(٣) الدر المنثور ج ٢٣ ص ١٠٥ .

(٤) راجع تفسير الطبرى ج ٢٣ ص ٥٣ ، تاريخ الطبرى ص ٢٦٩ .

(٥) تاريخ الطبرى ج ١ ص ٢٧٠ ، تفسير الطبرى ج ٢٣ ص ٥٣ .

وأخرج عبد بن حميد عن عبد الحميد بن جبير بن شيبه قال : قلت لابن المسيب : « وفديناه بذبح عظيم » هو إسحاق ؟ قال : معاذ الله .. ! ولكنه إسماعيل عليه السلام ، فثوب بصبره إسحاق إشارة إلى قوله تعالى عقب قصة الذبيح : ﴿ وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ﴾ (١) .

وجاء في المستدرک للحاكم بسنده عن عبد الله الواقدي قال : قد اختلف علينا في إسماعيل وإسحاق أيهما أراد إبراهيم أن يذبح وأين أراد ذبحه بمنى أم بيت المقدس فكتبت كلما سمعت من ذلك من أخبار الحديث .

فحدثني ابن أبي سبرة عن أبي مالك من ولد مالك الدار وكان مولى لعثمان ابن عفان عن عطاء بن يسار قال :

سألت خوات بن جبير الأنصاري عن ذبيح الله أيهما كان فقال : إسماعيل (٢) .

هذا وقد اختلفت الرواية عن الإمام أحمد في رأيه عن الذبيح من هو من ولدى الخليل ، لكن الأرجح والصحيح عنه أنه قال إن الذبيح إسماعيل .

يذكر الإمام ابن تيمية أن أبا يعلى ذكر في ذلك روايتين عن أحمد ، ونصر أنه إسحاق اتباعاً لأبي بكر بن عبد العزيز ، وأبو بكر اتبع محمد بن جرير ، ولهذا يذكر أبو الفرج ابن الجوزي أن أصحاب أحمد ينصرون أنه إسحاق ، وإنما ينصره هذان ومن اتبعهما ويحكي ذلك عن مالك نفسه ، لكن خالفه طائفة من أصحابه .

وذكر الشريف أبو علي بن أبي يوسف : أن الصحيح في مذهب أحمد أنه إسماعيل ، وهذا هو الذي رواه عبد الله بن أحمد عن أبيه قال : مذهب أبي أنه إسماعيل (٣) .

(٢) المستدرک ج ٢ ص ٥٥٥ .

(١) الدر المنثور ج ٢٣ ص ١١٥ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٤ ص ٣٣١ ، راجع أيضاً زاد المسير لابن الجوزي ج ٧ ص ٧٣ .

وجاء فى تفسير ابن كثير أن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قال : سألت أبى عن الذبيح هل هو إسماعيل أو إسحاق ؟ فقال : إسماعيل ذكره فى كتاب الزهد (١) .

وذكر الخطيب الشربيني عن الإمام أحمد أنه قال : الصحيح أن الذبيح إسماعيل عليه السلام وعليه جمهور العلماء من الخلف والسلف (٢) .

ثانياً : الحجج العقلية القائمة على الاستنباط من القرآن والسنة والتاريخ :

اعتمد القائلون بأن الذبيح إسماعيل على حجج عقلية ، استنبطوها من آيات القرآن الكريم ، ومن بعض الأحاديث النبوية ، واستخرجوها أيضاً من وقائع التاريخ ودلائل الأحداث :

الحجة الأولى : كون البشارة بإسحاق مغايرة للبشارة بالذبيح :

استدل القائلون بأن الذبيح إسماعيل بما ورد فى قصة الذبيح المذكورة فى سورة « الصافات » .

ففى هذه القصة بشر الله سبحانه خليله إبراهيم بالذبيح فقال تعالى : ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ وذكر قصته أولاً ﴿ فلما بلغ معه السعى قال : يا بنى إني أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ﴾ قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ... ﴾ (٣) فلما استوفى ذلك قال :

﴿ وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ﴾ (٤) .

فبين تعالى أنهما بشارتان : بشارة الذبيح ، وبشارة ثانية بإسحاق .

(١) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٨ . (٢) السراج المنير ج٣ ص٣٨٦ .

(٣) الصافات : ١٠١ ، ١٠٢ . (٤) الصافات : ١١٢ .

فالله سبحانه لم يذكر قصة الذبيح في القرآن إلا في هذا الموضع ، أما في سائر المواضع فإنه يذكر البشارة بإسحاق خاصة ، كما في سورة هود : يقول تعالى ﴿ وامراته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ (١) .

وفي سورة الذاريات : يقول تعالى ﴿ فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم ﴾ (٢) .

وفي سورة الحجر يقول تعالى : ﴿ قالوا لا تنزلنا نبشرك بغلام عليم ﴾ (٣) .

وفي كل هذه المواضع لم يذكر سبحانه أن هذا المبشر به هو الذبيح ، ثم إنه تعالى لما ذكر البشارتين جميعاً : البشارة بالذبيح والبشارة بإسحاق بعده ، كان هذا من الأدلة على أن إسحاق ليس هو الذبيح ، وأن المذكور في قصة الذبيح هو إسماعيل فدل على أنه هو الذبيح .

ويؤيد ذلك أنه ذكر هبة إسحاق وهبة يعقوب لإبراهيم في قوله تعالى : ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب * كلا هدينا ونوحاً هدينا من قبل ﴾ (٤) .

وفي قوله تعالى : ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين ﴾ (٥) وفي قوله تعالى : ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ﴾ (٦) ولم يذكر الله سبحانه في هذه الآيات قصة الذبيح .

وبذلك فإن قصة الذبيح تحتوى على بشارتين : الأولى عن الذبيح والثانية عن إسحاق بعد الانتهاء من قصة الذبيح الذي هو إسماعيل (٧) .

ويرى الإمام ابن القيم أن البشارة الثانية كانت لإبراهيم من الله تعالى شكراً

(١) هود : ٧١ . (٢) الذاريات : ٢٨ . (٣) الحجر : ٥٣ .

(٤) الأنعام : ٨٤ . (٥) الأنبياء : ٧٢ . (٦) العنكبوت : ٢٧ .

(٧) راجع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٤ ص ٣٣٢ - ٣٣٣ .

على صبره على ما أمر به ، حيث شكر الله تعالى له استسلامه لأمره وبذل ولده له وجعل من إثابته على ذلك أن آتاه إسحاق ، فنجى إسماعيل من الذبح وزاد عليه إسحاق .

وهذا ظاهر جداً في أن المبشر به غير الأول ، بل هو كالنص فيه (١) .

وقد استدل كثير من المفسرين بهذا الاستدلال على أن الذبيح إسماعيل .

يرى الحافظ ابن كثير أن ذكر البشارة بغلام حلیم ، وأن هذا الغلام هو الذبيح ، ثم البشارة بعد ذلك بإسحاق ، أكبر شاهد وخير مرشد من كتاب الله تعالى إلى أن الذبيح إسماعيل (٢) .

ويذكر كل من أبي السعود والبيضاوي والألوسي وغيرهم أن الأظهر والأشهر أن المخاطب في قوله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿ قَالَ يَا بَنِي إِبْرَاهِيمَ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ هو إسماعيل عليه السلام ، لأنه هو الذي وهب له إثر الهجرة أو المهاجرة ، ولأن البشارة بإسحاق بعده معطوفة على البشارة بهذا الغلام والعطف يقتضي التغاير ، فيتعين كونه إسماعيل (٣) .

ويرى الشيخ الشنقيطي أن عطف قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرْنَا بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ على البشارة الأولى في قصة الذبيح ﴿ فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ دل على أن البشارة الأولى شيء غير المبشر به في الثانية لأنه لا يجوز حمل كتاب الله على أن معناه : فبشرناه بإسحاق ثم بعد انتهاء قصة ذبحه يقول أيضاً : وبشرناه بإسحاق ، فهو تكرار لافائدة فيه ينزه عنه كلام الله ، وهو واضح في أن الغلام المبشر به أولاً الذي فدى بالذبح العظيم ، هو إسماعيل ، وأن البشارة

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد ج١ ص ٧٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص ١٤ .

(٣) تفسير أبي السعود ج٤ ص ٢٠٠ ، تفسير البيضاوي ج٢ ص ٢٩٧ ، روح المعاني ج٢٣ ص ١٣٣

— ١٣٤ —

إسحاق نص الله عليها مستقلة بعد ذلك .

وذكر أن المقرر في الأصول أن النص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إذا احتل التأسيس والتأكيد معاً ، وجب حمله على التأسيس ولا يجوز حمله على التأكيد إلا لدليل يجب الرجوع إليه .

ومعلوم في اللغة العربية ، أن العطف يقتضى المغايرة ، فأية الصفات هذه دليل واضح للمنصف على أن الذبيح إسماعيل لإسحاق .
وانتهى إلى أنه لا ينبغي للمنصف الخلاف في ذلك بعد دلالة هذه الأدلة القرآنية على ذلك (١) .

محاولات الطبرى والقرطبي النيل من هذه الحجة والرد عليهم :

وقد حاول كل من الطبرى والقرطبي أن ينالا من هذه الحجة الباهرة يذكر الطبرى أن اعتلال من اعتل بأن الله أتبع قصة المفدى من ولد إبراهيم بقوله : ﴿ وبشرناه بإسحاق نبيا ﴾ .

ولو كان المفدى هو إسحاق لم يشر به بعد وقد ولد وبلغ معه السعى .

فإن البشارة بنبوذة إسحاق من الله فيما جاءت به الأخبار جاءت إبراهيم وإسحاق بعد أن فدى تكرمة من الله له على صبره لأمر ربه فيما امتحنه به من الذبيح (٢) .

ويفسر القرطبي ذلك بقوله : إن البشارة كانت بإسحاق مرتين : الأولى بولادته والثانية بنبوذته جزاء على صبره ورضاء بأمر ربه واستسلامه له (٣) .

(١) راجع الشيخ محمد الأمين الشنقيطى : أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن ج٦ ص ٦٩١ - ٦٩٣ طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض المملكة العربية السعودية ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

(٢) تفسير الطبرى ج ٢٣ ص ٥٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ١١٢ .

وقد انبرى الإمام ابن القيم للرد على هذه المحاولة بقوله :

« فإن قيل : فالبشارة الثانية وقعت على نبوته أى : لما صبر الأب على ما أمر به ، وأسلم الولد لأمر الله ، جازاه الله على ذلك :

قلنا : البشارة وقعت على المجموع ، على ذاته ووجوده ، وأن يكون نبياً ، ولهذا سبب « نبياً » على الحال المقدر ، أى : مقدراً نبوته ، فلا يمكن إخراج البشارة ، أن تقع على الأصل .

ثم تخص بالحال التابعة الجارية مجرى الفضلة .

هذا محال من الكلام ، بل إذا وقعت البشارة على نبوته ، فوقوعها على وجوده أولى وأحرى (١) .

ويذكر الألوسى أن قولهم بأن الأولى بشارة بالوجود ، والثانية بشارة بالنبوة قول ضعيف (٢) لأن نظم الآية لا يدل على أن البشارة بنبوته ، بل على أن البشارة بأمر مقيد بالنبوة ، فإما أن يقدر بوجود إسحاق بعد الذبح ولا دلالة فى اللفظ عليه ، وإما أن يقدر الوجود مطلقاً وهو المطلوب .

ثم يخاطب من يذهب مذهب الطبرى بقوله :

فإن قلت : يكفى فى الدلالة تقدم البشارة بالوجود أولاً ، قلت : ذاك عليك لا لك ، ومن يسلم أن المتقدم بشارة بإسحاق حتى يستتب لك المرام (٣) .

والحقيقة أن هذه الحجة التى استدل بها الفريق الثانى على أن الذبيح إسماعيل تعد من الحجج القوية والدلائل الظاهرة التى استنبطوها من آيات القرآن الكريم .

(١) زاد المعاد ج ١ ص ٧٣ .

(٢) نقل عن صاحب « الكشف » .

(٣) روح المعانى ج ٢٣ ص ١٣٤ .

حيث بشر الله سبحانه إبراهيم بإسحاق عقب انتهائه من حكاية قصة الذبيح الذى بشر به فى بدايتها ، فلو كان الذبيح إسحاق لم يكن الله سبحانه حكى عن البشارة به بقوله (وبشرناه بإسحاق) وكان قد قال : (وبشرناه به نبياً من الصالحين) بناء على أن البشارة الثانية هنا بشارة بالنبوة كما يزعمون .

ولكن كونه يذكر إسحاق بالاسم الظاهر دون أن يأتى بالضمير ، فإن ذلك يدل دلالة قاطعة على أن إسحاق هو غير المبشر به فى القصة السالفة « قصة الذبيح » .

يذكر الشيخ عبد الوهاب النجار أن الإتيان بالبشرى بإسحاق بعد ذكر القصة صريح فى أن إسحاق غير الغلام الذى ابتلى الله إبراهيم بذبحه ، وعود الضمير إلى الغلام الذبيح ، وذكر اسم إسحاق صريحاً يقتضى التغاير بين الذبيح وإسحاق (١) .

ويرى الدكتور على عبد الواحد وافى أن تسلسل القصة فى القرآن الكريم على هذا النسق يكاد يكون دليلاً قاطعاً على أن الغلام الحليم الذى كان موضعاً لهذا الابتلاء الإلهى هو غير إسحاق (٢) .

الحجة الثانية : اقتران البشارة بإسحاق بالبشارة بابنه يعقوب :

استدل القائلون بأن الذبيح إسماعيل أيضاً بقوله تعالى عن سارة ﴿ فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ (٣) .

حيث قالوا : لو كان الذبيح إسحاق لكان الأمر بذبحه إما أن يقع قبل ظهور يعقوب منه أو بعد ذلك .

(١) قصص الأنبياء ص ١٣٤ ، راجع أيضاً تعليقه على ما ذكر فى دائرة المعارف الإسلامية ج ٢ ص ٩٧ .

(٣) هود : ٧١ .

(٢) بحوث فى الإسلام والاجتماع ص ١٤١ .

فالأول باطل لأنه تعالى لما بشرها بإسحاق ، وبشرها معه بأنه يحصل منه يعقوب ، فقبل ظهور يعقوب منه لم يعجز الأمر بذبحه ، وإلا حصل الخلف في قوله تعالى : ﴿ ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ .

والثاني باطل لأن قوله تعالى : ﴿ فلما بلغ معه السعى قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ﴾ يدل على أن ذلك الابن لما قدر على السعى ووصل إلى حد القدرة على الفعل أمر الله تعالى إبراهيم بذبحه وذلك ينافي وقوع هذه القصة في زمان آخر ، فثبت أنه لا يجوز أن يكون الذبيح هو إسحاق (١) .

هذا هو التصوير الرائع من الفخر الرازي لهذه الحجة وذلك الاستدلال ، ويلاحظ أن هذا الاستدلال قد ذكرته حينما قمت بإبطال قول اليهود بأن إسحاق هو الذبيح ، وإستشهدت هناك بما هو وارد في أسفارهم من بشارة إبراهيم بإسحاق ، وبأن إسحاق سيكون منه نسل حيث سينجب يعقوب .

غاية ما في الأمر أننا هنا نستشهد بالقرآن الكريم ، ونحتج بما ورد فيه ، وما يستنبط من آياته ، على من يقول من المسلمين أن الذبيح إسحاق .

وقد استدل كل من الإمامين : ابن تيمية وتلميذه ابن القيم بهذه الحجة .

فابن تيمية يقول : ومما يدل على أن الذبيح ليس هو إسحاق أن الله تعالى قال : ﴿ فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ .

فكيف يأمر بعد ذلك بذبحه ؟

والبشارة ببيعقوب تقتضى أن إسحاق يعيش ويولد له يعقوب .

ولا خلاف بين الناس أن قصة الذبيح كانت قبل ولادة يعقوب ، بل يعقوب

(١) التفسير الكبير للرازي جـ ٢٦ ص ١٥٤ .

راجع أيضا الزمخشري في الكشف جـ ٣ ص ٣٥٠ والألوسي في روح المعاني جـ ٢٣ ص ١٣٤ .

إنما ولد بعد موت إبراهيم عليه السلام ، وقصة الذبيح كانت في حياة إبراهيم بلاريب (١) .

أما ابن القيم فقد صاغها بقوله : « وكيف يسوغ أن يقال إن الذبيح إسحاق والله تعالى قد بشر أم إسحاق به وبابنه يعقوب فقال تعالى عن الملائكة أنهم قالوا لإبراهيم لما أتوه بالبشرى ﴿ لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ﴾ وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ (٢) .

فمحال أن يبشرها بأنه يكون لها ولد ، ثم يأمر بذبحه .

ولاريب أن يعقوب عليه السلام داخل في البشارة ، فتناول البشارة لإسحاق ويعقوب في اللفظ واحد ، وهذا ظاهر من الكلام وسياقه (٣) .

ويذكر الحافظ ابن كثير أن القائلين بأن إسماعيل هو الذبيح استدلوا بهذه الآية ﴿ فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ حيث يمتنع أن يكون هو إسحاق ، لأنه وقعت البشارة به ، وأنه سيولد له يعقوب ، فكيف يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير ولم يولد له بعد يعقوب الموعود بوجوده .

ووعده الله حق لا خلف فيه ، فيمتنع أن يؤمر بذبح هذا والحالة هذه ، فتعين أن يكون هو إسماعيل .

ويعقب على هذا الاستدلال بقوله :

« وهذا من أحسن الاستدلال وأصححه وأبينه ولله الحمد » (٤) .

ويبدو أن هذا الاستدلال قد دار بخلد محمد بن كعب القرظي لأول مرة :

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية ج ٤ ص ٣٣٥ ، منهاج السنة النبوية ج ٥ ص ٣٥٣ .
(٢) هود : ٧٠ ، ٧١ .

(٣) راجع زاد المعاد ج ١ ص ٧٢ إغاثة اللفهان ج ٢ ص ٣٤٩ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٤ ، قصص الأنبياء ج ١ ص ٤٥٢ .

يقول ابن كثير : « وما أحسن ما استدل به ابن كعب القرظي على أنه إسماعيل وليس بإسحاق من قوله ﴿ فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ .

قال : فكيف تقع البشارة بإسحاق ، وأنه سيولد له يعقوب ، ثم يؤمر بذبح إسحاق وهو صغير قبل أن يولد له ؟ (١) .

وقد أورد الطبري - وهو كما سبق من القائلين بأن الذبيح إسحاق - في تفسيره وتاريخه عن ابن حميد ... عن ابن إسحاق قال : سمعت محمد بن كعب القرظي وهو يقول : إن الذي أمر الله إبراهيم بذبحه من ابنه : إسماعيل ، وإننا لنجد ذلك في كتاب الله في قصة الخبر عن إبراهيم وما أمر به من ذبح ابنه إسماعيل ، وذلك أن الله يقول حين فرغ من قصة المذبح من ابنه إبراهيم قال : ﴿ وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ﴾ ويقول : ﴿ فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ يقول : بابن وابن ابن فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق وله فيه من الله الموعود ما وعده الله ، وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل (٢) .

وذكر الطبري أيضاً عن ابن حميد عن ابن إسحاق ... عن محمد بن كعب القرظي أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة ، إذ كان معه بالشام فقال له عمر : إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه وإنني لأراه كما هو ، ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهودياً فأسلم فحسن إسلامه ، وكان يرى أنه من علماء يهود فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك فقال محمد بن كعب وأنا عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر : أي ابن إبراهيم أمر بذبحه فقال :

(١) قصص الأنبياء ج ١ ص ١٤٣ .

(٢) تفسير الطبري ج ٢٣ ص ٥٤ تاريخ الطبري ج ١ ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .

راجع أيضاً الدر المنثور للسيوطي حيث ذكر أن هذه الرواية أخرجه عبد بن حميد وابن جرير والحاكم ج ٢٣ ص ١٠٦ .

راجع أيضاً المستدرک للحاكم ج ٢ ص ٥٥٥ ووافقه الأصبهني في التلخيص نفس الصفحة .

إسماعيل والله يا أمير المؤمنين وإن يهود لتعلم بذلك ، ولكنهم يحسدونكم
معشر العرب على أن يكون أباكم الذى كان من أمر الله فيه ، والفضل الذى
ذكره الله منه لصبره لما أمر به ، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق لأن
إسحاق أبوهم (١) .

اعتراض ودفعه :

هذا وقد اعترض السهيلي على هذا الاستدلال - الذى استدل به محمد بن
كعب القرظي ، ونقله عنه كثير من العلماء كما بينا - بما حاصله أن قوله ﴿
فبشرناها بإسحاق﴾ جملة تامة .

وقوله ﴿ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ جملة أخرى ليست فى حيز
البشارة .

قال : لأنه لا يجوز من حيث العربية أن يكون مخفوضاً إلا أن يعاد معه
حرف الجر ، فلا يجوز أن يقال : مررت بزيد ومن بعده عمرو حتى يقال :
ومن بعده بعمر .

وقال : فقوله : ﴿ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ منصوب بفعل مضمر
تقديره «ووهبنا لإسحاق يعقوب» (٢) .

وقد أورد هذا الاعتراض من السهيلي الحافظ ابن كثير ، ولكنه لم يرد عليه
بأكثر من قوله «وفى هذا الذى قاله نظر» (٣) .

(١) تفسير الطبرى ج ٢٣ ص ٥٤ تاريخ الطبرى ج ١ ص ٢٧٠ ، تفسير الثعالبي ج ٤ ص ٢٢ .

راجع أيضا الزمخشري فى الكشاف ج ٣ ص ٣٥٠ ، الألوسى : روح المعانى ج ٢٣ ص ١٣٥ ،
الدر المنثور ج ٢٣ ص ١٠٧ ، راجع أيضا تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٨ .

(٢) قصص الأنبياء ج ١ ص ١٤٤ راجع أيضا شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ج ٢ ص ١١ - ١٢ .

(٣) قصص الأنبياء ج ١ ص ١٤٤ .

ولكن الإمام ابن القيم أورد هذا الاعتراض بهذه الصيغة :

« فإن قيل : لو كان الأمر كما ذكرتموه لكان يعقوب مجروراً عطفاً على إسحاق ، فكانت القراءة « ومن وراء إسحاق يعقوب » أى : ويعقوب من وراء إسحاق » .

ويرد عليه بقوله : « لا يمنع الرفع أن يكون يعقوب مبشراً به ، لأن البشارة قول مخصوص ، وهى أول خبر سار صادق .

وقوله تعالى : ﴿ ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ جملة متضمنة لهذه القيود ، فتكون بشارة ، بل حقيقة البشارة هى الجملة الخبرية ، ولما كانت البشارة قولاً ، كان موضع هذه الجملة نصباً على الحكاية بالقول .

كأن المعنى : وقلنا لها : من وراء إسحاق يعقوب .

والقائل إذا قال : بشرت فلانا بقدوم أخيه ، وثقله فى أثره لم يعقل منه إلا بشارته بالأمرين جميعاً .

هذا مما لا يستريب ذو فهم فيه البتة .

ثم يضعف الجر أمر آخر : وهو ضعف قولك : مررت بزيد ومن بعده عمرو . ولأن العاطف يقوم مقام حرف الجر ، فلا يفصل بينه وبين المجرور ، كما لا يفصل بين حرف الجار والمجرور (١) .

اعتراض آخر ودفعه :

وقد حاول كل من الطبرى والقرطبى أيضاً أن يعترضاً على هذا الاستدلال وينالاً من قوته .

(١) زاد المعاد ج ١ ص ٧٢ - ٧٣ .

فذكر الطبري أن اعتلال من اعتل بأن الله لم يكن يأمر إبراهيم بذبح إسحاق وقد أتته البشارة من الله قبل ولادته وولادة يعقوب منه من بعده ، علته غير موجبة صحة ما قال ، وذلك أن الله إنما أمر إبراهيم بذبح إسحاق بعد إدراك إسحاق السعي .

وجائز أن يكون يعقوب ولد له قبل أن يؤمر أبوه بذبحه (١) .

وأما القرطبي فإنه يذكر أنه يحتمل أن يكون المعنى : وبشرناه بنبوته بعد أن كان من أمره ما كان .

ولعله أمر بذبح إسحاق بعد أن ولد لإسحاق يعقوب .

ثم يبالغ القرطبي في القول فيذكر أنه لم يرد في القرآن أن يعقوب يولد من إسحاق (٢) .

ومن الواضح أنهما كما سبق أن قلت يحاولان بثتي السبل أن يطوعا آيات القرآن الكريم ، حتى توافقا مذهباً إليه من اعتقادهما أن الذبيح إسحاق ، ويتجاهلان كل هذه الحجج القوية التي ترجح بل تقطع أن الذبيح إسماعيل حتى اضطرا إلى أن يفترضا افتراضات لا أساس لها مثل كون ولادة يعقوب من إسحاق قبل الذبح .

ولو كان الأمر كذلك لأدى إلى تقليل قيمة الفداء والتضحية حيث يكون ابن الابن عوضاً عن أبيه ، ثم إن اليهود أنفسهم ما قالوا بذلك ، فلماذا الاضطرار إلى هذا الافتراض العجيب ؟ !! .

يذكر الألوسي أنه متى بشر بالولد وولد الولد دفعة كيف يتصور الأمر بذبح الولد مراحقاً قبل ولادة ولده ، ويرى أن منع كونه إذ ذاك مراحقاً لجواز أن يكون

(١) تاريخ الطبري ج ١ ص ٢٧١ ، تفسير الطبري ج ٢٣ ص ٥٥ .

(٢) تفسير القرطبي ج ١٥ ص ١٠١ .

بالغا كما ذهب إليه اليهود قد ولد له يعقوب وغيره مكابرة لا يلتفت إليها (١) .

وبين ابن كثير أن ماعول عليه ابن جرير في اختياره أن الذبيح إسحاق واعتمد عليه في تفسيره ، ليس إليه بمذهب ولا لازم ، بل هو بعيد جداً وانتهى إلى أن ما استدل به محمد بن كعب القرظي - وأشرت إليه آنفاً - أثبت وأصح وأقوى (٢) .

ثم إن الإمام ابن تيمية قد ذكر أنه لاختلاف بين الناس أن قصة الذبيح كانت قبل ولادة يعقوب ، ويؤكد على أن يعقوب إنما ولد بعد موت إبراهيم عليهما السلام ، وأن قصة الذبيح كانت في حياة إبراهيم بلاريب (٣) .

وعلى فرض أننا تركنا كلام الإمام ابن تيمية رغم صحته ، وأخذنا بما ورد في سفر التكوين كنوع من الاحتجاج عليهم ، حيث إنهم قد رأوا أن الذبيح إسحاق ، ومن حججهم أن عليه أهل الكتابين كما سبق أن ذكر القرطبي وأشرت إليه في حينه .

فلو رجعنا إلى سفر التكوين لوجدنا أن إبراهيم مات وكان عمره مائة وخمساً وسبعين سنة (٤) وأنجب إسحاق وعمره مائة سنة (٥) وتزوج إسحاق وعمره أربعون عاماً (٦) وأنجب إسحاق يعقوب وهو في الستين من عمره (٧) .

معنى ذلك أن إسحاق أنجب يعقوب بعد أن تزوج بعشرين عاماً حيث كانت زوجته عاقراً حتى فتح الله رحمها كما ورد في السفر (٨) .

(١) روح المعاني ج ٢٣ ص ١٣٤ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٨ ، يذكر أبو حيان أن هذا الاستدلال من أقوى ما استدل به على أن الذبيح إسماعيل فلو كان الذبيح إسحاق لكان ذلك الإخبار غير مطابق للواقع وهو محال في إخبار الله تعالى . البحر المحيط ج ٧ ص ٣٧١ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ج ٤ ص ٣٣٥ .

(٤) تكوين ٢٥ : ٧ . (٥) تكوين ٢١ : ٥ . (٦) تكوين ٢٥ : ٢٠ .

(٧) تكوين ٢٥ : ٢٦ . (٨) تكوين ٢٥ : ٢١ .

وبيت القصيد أن إسحاق لم ينبغي يعقوب إلا بعد أن بلغ الستين من عمره وسواء مات إبراهيم قبل أن ينبغي إسحاق يعقوب كما يذكر الإمام ابن تيمية ، وهو ما أميل إليه وأرجحه ، وسواء أنجب يعقوب في حياة جده كما ذكر السفر وكان عمره مائة وستين عاماً كما هو مستنبط من السفر أيضاً ، وإن كان السفر لم يرد فيه مطلقاً أن إبراهيم قد عاصر إنجاب يعقوب ، أو علم بإنجابه فعلاً ، لكنني استنبطت أن عمره كان مائة وستين عاماً من التواريخ المذكورة في السفر ، المهم أن يعقوب ولد وعمر إسحاق ستون عاماً ، وليس كما ذكر القرطبي في زعمه المذكور .

الحجة الثالثة : البشارة بالذبيح كانت إجابة لدعاء الخليل والبشارة بإسحاق كانت له ولزوجته تعجباً منها :

استدل القائلون بأن الذبيح إسماعيل أيضاً بما حكى الله تعالى عن الخليل إبراهيم عليه السلام حينما قال : ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَاهِدِينَ ﴾ ^(١) ثم طلب من الله تعالى ولداً يستأنس به في غربته فقال : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ^(٢) .

وهذا السؤال إنما يحسن قبل أن يحصل له الولد ، لأنه لو حصل له ولد واحد لما طلب الولد الواحد ، لأن طلب الحاصل محال ، وقوله : ﴿ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ لا يفيد إلا طلب الولد الواحد ، فثبت أن السؤال لا يحسن إلا عند كل الأولاد ، فثبت أن هذا السؤال وقع حال طلب الولد الأول .

وأجمع الناس على أن إسماعيل متقدم في الوجود على إسحاق ، فثبت أن المطلوب بهذا الدعاء هو إسماعيل .

(١) الصافات : ٩٩ .

(٢) الصافات : ١٠٠ .

ثم إن الله تعالى ذكر عقيقه قصة الذبح فوجب أن يكون الذبيح هو إسماعيل^(١) .

وقريب مما ذكره الإمام الرازي تحدث عنه الإمام السبكي ، وإن كان قد زاد عليه وفصل ، ولذلك فإنه يذكر أنه لم يسبق إليه .

أورد الإمام السيوطي في كتابه « الإكليل » عن الإمام السبكي^(٢) وذكر أنه نقل عنه من خطه :

تكلم الناس في أن الذبيح إسماعيل أو إسحاق .

رجح جماعة أنه إسماعيل ، واحتجوا له بأدلة منها : وصفه بالحلم ، وذكر البشارة بإسحاق بعده ، والبشارة بيعقوب من وراء إسحاق ، وغير ذلك .

وبين أن هذه الاستدلالات ظنية لا قطعية في نظره .

أما هو فقد تأمل القرآن كما يقول فوجد فيه ما يقتضي القطع أو يقرب منه ، ويذكر أنه لم ير من سبقه إلى استنباطه :

وهذا الاستنباط يتمثل في أن البشارة بمولود جاءت في القرآن الكريم

مرتين :

(١) راجع التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢٦ ص ١٥٤ .

(٢) ذكر العلامة الشيخ القاسمي في تفسيره « محاسن التأويل » رأى السبكي على أنه رأى للسيوطي ولم يفتنه إلى قول السيوطي أنه نقل ذلك من خط السبكي فقال القاسمي : « وقال السيوطي في « الإكليل » ج ١٤ ص ١٢٥ .

وكذلك فعل الأستاذ الدكتور / محمد بيومي مهران حيث نقل هذا الرأي في كتابه « دراسات تاريخية من القرآن الكريم ص ١٧٤ - ١٧٥ على أنه رأى السيوطي وذكر أن المرجع في ذلك رسالة السيوطي « القول الفصيح في تعيين الذبيح » مع نقله من القاسمي .

وجدير بالذكر أن السيوطي لا يرجح كون الذبيح إسماعيل ، بل إنه في رسالته « القول الفصيح في تعيين الذبيح » عرض لرأى الفريقين ثم انتهى إلى التوقف في هذه المسألة بعد أن أشار إلى أنه كان قد مال إلى القول بأن الذبيح إسحاق في التفسير .

راجع القول الفصيح ص ٣٩ ضمن كتاب الحاوي للفتاوى ج ٢ .

المرّة الأولى فى قوله تعالى: ﴿إِنّى ذاهب إلى ربّى سيّهدين﴾ .
فهذه الآية قاطعة فى أن هذا المبشر به هو الذبيح .

ويقصد السبكى بأن قصة الذبيح قد وردت عقب قوله تعالى: ﴿فبشرناه
بغلام حلیم﴾ فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إسنى أرى فى المنام أنى أذبحك
فانظر ماذا ترى إلخ الآيات .

ولما المرّة الثانية فقد وردت فى قوله تعالى: ﴿وامراته قائمة فضحكت
فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ (١) .

حيث صرح فيها بأن المبشر به إسحاق ، وأن البشارة به لم تكن من سؤال
إبراهيم عليه السلام ، بل قالت امرأته إنها عجوز وأنه شيخ .

ويقصد بذلك ماورد فى قوله تعالى : ﴿قالت ياويلتى أألد وأنا عجوز
وهذا بعلّى شيخا ، إن هذا لشيء عجيب﴾ (٢) .

ثم يضيف الإمام السبكى أن هذه البشارة بإسحاق كانت فى الشام ، حينما
جاءت الملائكة إلى إبراهيم بسبب قوم لوط وهو فى أواخر أمره .

وأما البشارة الأولى فقد كانت حينما انتقل من العراق إلى الشام ، حيث
كان سنه لا يستغرب فيه الولد ، ولذلك سأله .

وينتهى الإمام السبكى إلى القول بأننا قد علمنا بذلك أنهما بشارتان حيث
وردتا فى وقتين مختلفين بغلامين مختلفين :

إحداهما بغير سؤال وهو إسحاق وقد صرح باسمه .

والثانية قبل ذلك بسؤال وهو غيره ، فقطعنا بأنه إسماعيل وهو الذبيح (٣) .

(١) هود : ٧١ . (٢) هود : ٧٢ .

(٣) الإكليل ص ١٨٣ .

وذكر البقاعى فى تفسيره « نظم الدرر » فى معرض استدلاله على أن الذبيح إسماعيل أن هذا =

ولاريب أن ما استدل به الإمام السبكي وما استنبطه من آيات القرآن الكريم هو من أقوى الحجج ، وأسطع البراهين على أن الذبيح إسماعيل بما يتضمنه من احتجاج مقنع ، وتحقيق دقيق .

ولاشك أيضا أن ما ذكره الإمام الرازي قريب مما توصل إليه السبكي ، واستخرجه من آيات القرآن .

بل إنني حين راجعت فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، وإغاثة اللهفان لتلميذه الإمام ابن القيم ، وجدتهما قد ذكرا هذا الاستدلال ، وإن كان بصيغة مختلفة بعض الشيء ، وسوف يدرك القارئ ذلك بكل وضوح حين يطلع على كلامهما وخاصة كلام الإمام ابن القيم .

يذكر الإمام ابن تيمية أن مما يستدل به على أن الذبيح إسماعيل هو أن البشارة بإسحاق كانت معجزة ، لأن العجوز عقيم ، ولهذا قال الخليل عليه السلام : ﴿ أبشروني على أن مسني الكبر فبم تبشرون ﴾ ^(١) .

وقالت امرأته ﴿ أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب ﴾ ^(٢) .

وأضاف بأن البشارة بإسحاق كانت في حالة الكبر ، وكانت البشارة مشتركة بين إبراهيم وامرأته ، وأما البشارة بالذبيح فكانت لإبراهيم عليه السلام وامتنحن بذبحه دون الأم المبشرة به .

وهذا مما يوافق ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الصحيح وغيره : من أن إسماعيل لما ولدته هاجر غارت سارة ، فذهب إبراهيم بإسماعيل

= الدعاء عند الهجرة ﴿ رب هب لي من الصالحين ﴾ حيث كان شابا يرجو الولد وهو بكره الذي ولد له بهذه البشري ، وأما إسحاق عليه السلام فأنته البشري فجاء وهو لا يرجو الولد لكبره ويأس امرأته وكذلك راجع في أمره انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور جـ ١٦ صـ ٢٦٢ .
(١) الحجر : ٥٤ .
(٢) هو : ٧٢ .

وأمه إلى مكة (١) .

وهناك أمر بالذبح .

وهذا مما يؤيد أن هذا هو الذبيح دون ذلك (٢) .

ومن الواضح أن هذا الاستدلال قريب جداً مما استدل به الإمام السبكي .

أما كلام الإمام ابن القيم فهو أكثر قرباً ، وأشد اتصالاً بكلام السبكي حيث يذكر أن إبراهيم - صلوات الله وسلامه عليه - سأل ربّه الولد ، فأجاب الله دعاءه ، وبشره ، فلما بلغ معه السعى أمره بذبحه .

قال تعالى ﴿ وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين ﴾ رب هب لي من الصالحين ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ (٣) .

فهذا دليل على أن هذا الولد إنما بشر به بعد دعائه وسؤاله ربّه أن يهب له ولداً ، وهذا المبشر به هو المأمور بذبحه قطعاً بنص القرآن .

وأما إسحاق فإنما بشر به من غير دعوة منه ، بل على كبر السن ، وكون مثله لا يولد له ، وإنما كانت البشارة به لامرأته سارة ، ولهذا تعجبت من حصول الولد منها ومنه ، قال تعالى : ﴿ ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فلما رءا أيديهم لاتصل إليه نكروهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا إن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ﴾ (٤) .

(١) سوف نشير إلى حديث البخاري عن ابن عباس في ذهاب إبراهيم بإسماعيل وأمه إلى مكة ضمن الحجة الخامسة والأخيرة للفريق الثاني .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٤ ص ٣٣٥ .

(٣) الصافات : ٩٩ - ١٠١ . (٤) هود : ٦٩ - ٧٣ .

وينتهى الإمام ابن القيم إلى القول بأن من يتأمل سياق هذه البشارة ، وتلك ، يجدهما بشارتين متفاوتتين مخرج إحداهما غير مخرج الأخرى .

والبشارة الأولى كانت له ، والثانية كانت لها والبشارة الأولى هى التى أمر بذبح من بشر به فيها دون الثانية (١) .

هذا وقد أشار الطاهر ابن عاشور إلى مثل هذا الكلام فذكر أن البشارة بإسحاق كانت بمحضر سارة أمه ، وقد جعلت هى المبشرة فى قوله تعالى : ﴿ فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ قالت ياويلتى ءألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا إن هذا لشيء عجيب ﴿ .

فتلك بشارة كرامة .

أما البشارة الأولى فكانت بشارة استجابة لدعاء الخليل عليه السلام ، فلما ولد له إسماعيل تحقق أمه فى أن يكون له وارث من صلبه ، فالبشارة بإسماعيل لما كانت عقب دعاء إبراهيم أن يهب الله له من الصالحين عطفه هنا بفاء التعقيب وبشارته بإسحاق ذكرت فى هذه السورة معطوفة بالواو عطف القصة على القصة (٢) .

الحجة الرابعة : وصف الذبيح بأنه غلام حلیم ووصف إسحاق بأنه غلام عليم :

استدل القائلون بأن الذبيح إسماعيل بما ورد فى سورة « الصافات » حيث وصف الله سبحانه الذبيح بأنه غلام حلیم ، وحينما ذكر البشارة بإسحاق وصف المبشر به بأنه غلام عليم فى غير هذا الموضع فقال تعالى :

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ج ٢ ص ٣٤٩ - ٣٥٠ .

(٢) تفسير التحرير والتنوير ج ٢٣ ص ١٤٩ .

﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون ﴾ فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين * فقربه إليهم قال ألا تأكلون * فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم ﴿ (١) .
والتخصيص لا بد له من حكمة .

وهذا مما يقوى اقتران الوصفين ، والحلم هنا مناسب للصبر الذى هو خلق الذبيح .

وكذلك فإن إسماعيل قد وصف بالصبر فى قوله تعالى : ﴿ وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين ﴾ (٢) .

وهذا أيضاً وجه ثالث ، فإنه قال فى الذبيح :

﴿ يا أبت أفتل ماتؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ﴾ (٣) .

وقد وصف الله سبحانه إسماعيل بأنه من الصابرين .

ووصف الله إسماعيل أيضاً بصدق الوعد فى قوله تعالى : ﴿ إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ﴾ (٤) لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به .

وإذا كان الله سبحانه قد وصف إسماعيل بالصبر وصدق الوعد ، ولم يصف سبحانه إسحاق بشيء منهما فيكون إسماعيل هو الأنسب دونه بأن يكون هو القائل لأبيه الخليل ﴿ يا أبت أفتل ماتؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ﴾ (٥) أى المصدق قوله بفعله .

(١) الذاريات : ٢٤ - ٢٨ . (٢) الأنبياء : ٨٥ .

(٣) الصافات : ١٠٢ . (٤) مريم : ٥٤ .

(٥) راجع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٤ ص ٣٣٣ - ٣٣٤ زاد المعاد لابن القيم ج ١ ص ٧٤

تفسير الفخر الرازى ج ٢٦ ص ١٥٣ - ١٥٤ ، الزمخشري : الكشف ج ٣ ص ٣٥٠ نظم

الدرر للبقاعى ج ١٦ ص ٢٦١ ، روح المعاني ج ٢٣ ص ١٣٤ .

الحجة الخامسة : ورود الأحاديث الكثيرة فى تعليق قرن الكبش فى الكعبة
وارتباط مناسك الحج والعمرة بحادث الذبح والفداء :

ومما استدل به الفريق الثانى أيضا ورود الأخبار الكثيرة فى تعليق قرن الكبش
الذى فدى به الذبيح بالكعبة إلى أن احترق البيت واحترق القرنان فى أيام ابن
الزبير والحجاج ، فمعنى ذلك أن مكان الذبح كان بمكة ، ولو كان الذبيح
إسحاق لكان الذبح قد تم بالشام .

وإسماعيل هو الذى كان بمكة موضع الذبح ، فجعلت أفعاله عند الأمر
بذبحه ، واقتدائه بذبح عظيم ، مناسك للحج فى منى ، كما جعلت أفعال أمه فى
مكة المشرفة أول مرة عندما أشرف على الموت من العطش مناسك للحج
والعمرة ^(١) .

ومن هذه الأخبار ماورد فى الدر المنثور للسيوطى :

أخرج سعيد بن منصور وأحمد والبيهقى فى سننه عن امرأة من بنى سليم
قالت : أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن طلحة ، فسألت عثمان لما دعاه
النبي ﷺ قال : « قال إني كنت رأيت قرنى الكبش حين دخلت الكعبة فنسيت
أن أمرك أن تخمرهما ، فخرهما فإنه لا ينبغي أن يكون فى البيت شئ يشغل
المصلين » ^(٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان حدثنا منصور عن خاله مسافح عن صفية
بنت شيبه قالت : أخبرتنى امرأة من بنى سليم ولدت عليه أهل دارنا قالت :

(١) راجع التفسير الكبير للرازى ج ٢٦ ص ١٥٤ الكشف للزمخشري ج ٣ ص ٣٥٠ .

تفسير النيسابورى ج ٢٣ ص ٦٨ معالم التنزيل للبخارى ج ٤ ص ٣٣ .

نظم الدرر للبقاعى ج ١٦ ص ٢٦١ - ٢٦٢ ، ٢٧٦ روح المعاني للألوسى ج ٢٣ ص ١٣٤ ،
السراج المنير للشربيني ج ٣ ص ٣٨٦ .

(٢) الدر المنثور للسيوطى ج ٢٣ ص ١١٤ .

أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن طلحة ، وقالت مرة : أنها سألت عثمان : لم دعاك رسول الله ﷺ ؟ قال : قال لى رسول الله إني كنت رأيت قرنى الكبش حين دخلت البيت فنسيت أن أمرك أن تخمرهما فخرهما ، فإنه لا ينبغي أن يكون فى البيت شىء يشغل المصلى .

قال سفيان : لم يزل قرنا الكبش معلقين فى البيت حتى احترق البيت فاحترقا .

وكذا روى عن ابن عباس أن رأس الكبش لم يزل معلقا عند ميزاب الكعبة قد ييس (١) .

وهذا وحده - كما يقول ابن كثير فى كتابه « قصص الأنبياء » دليل على أن الذبيح إسماعيل ، لأنه كان هو المقيم بمكة ، وإسحاق لانعلم أنه قدمها فى حال صغره .

وهذا هو الظاهر من القرآن ، بل كأنه نص على أن الذبيح هو إسماعيل (٢) . وبعد أن أورد هذه الرواية فى تفسيره عقب عليها بقوله :

« وهذا دليل مستقل على أنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام فإن قرىشا توارثوا قرنى الكبش الذى فدى به إبراهيم خلفا عن سلف ، وجيلاً بعد جيل ، إلى أن بعث الله رسول الله ﷺ (٣) .

والظاهر أن هذا التوارث من قرىش لقرنى الكبش خلفا عن سلف ، حتى احترقا أيام حصار الحجاج ابن الزبير لم يكن منهم إلا للفرار ، ولا يتم لهم ذلك إذا كان الكبش فدى به إسحاق دون أبيهم إسماعيل (٤) .

(١) المسند ج ٦٤ ص ٦٨ ، راجع قصص الأنبياء لابن كثير ج ١ ص ١٤٢ - ١٤٣ تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٧ .

(٢) قصص الأنبياء ج ١ ص ١٤٣ . (٣) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٧ .

(٤) روح المعانى للألوسى ج ٢٣ ص ١٣٤ .

وحينما سئل الشعبي عن الذبيح قال : هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام ،
وقد رأيت قرني الكبش في الكعبة (١) .

وذكر الأصمعي أنه سأل أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال له : يا أصمعي
أين عذب عنك عقلك ! ومتى كان إسحاق بمكة ؟ وإنما كان إسماعيل بمكة
وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة (٢) .

والحقيقة فإن هذا الاستدلال يعد أقوى ما استدلل به القائلون بأن الذبيح
إسماعيل حيث اعتمد على النقل والعقل ، ووردت به أحاديث مرفوعة إلى النبي
ﷺ ، يستنبط منها ، ويحتج بها على أن الذبيح كان بمكة ، وأن الذبيح هو
إسماعيل ، لأنه هو وحده كان بمكة ، وعاش بها ، ودفن فيها ، دون أخيه
إسحاق ، حيث لم يؤثر لا في الكتاب ولا في السنة ولا في التاريخ ولا في الآثار
أن إسحاق قد جاء إلى مكة ، أو أنه كان على صلة بها ، بالإضافة إلى ارتباط
مناسك الحج والعمرة بإسماعيل وأمه هاجر عليهما السلام .

ومن العجيب أن الإمامين : الطبري والقرطبي – سامحهما الله وغفر لهما
– قد بالغوا في الاستدلال على أن الذبيح إسحاق ، فاضطرهما ذلك إلى أن يقولوا
كلاماً غريباً وغير مقبول .

فهذا هو الطبري يقول : « وأما اعتلال من اعتل بأن قرن الكبش كان معلقاً
في الكعبة فغير مستحيل أن يكون حمل من الشام إلى مكة » .

ويذكر أنه قد روى عن جماعة من أهل العلم أن إبراهيم إنما أمر بذبح ابنه
إسحاق بالشام وبها أراد ذبحه (٣) .

(١) تفسير الطبري ج ٢٣ ص ٥٣ تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٨ معالم التنزيل للبغوي ج ٤ ص ٣٣ .

(٢) تفسير القرطبي ج ١٥ ص ١٠٠ تفسير الرازي ج ٢٦ ص ١٥٣ معالم التنزيل ج ٤ ص ٣٣ .

تفسير البحر المحيط ج ٧ ص ٣٧١ الكشف ج ٣ ص ٣٥٠ ، تاريخ الخميس ج ١ ص ٩٥ ،

نسيم الرياض ج ١ ص ٤٩٠ .

(٣) تفسير الطبري ج ٢٣ ص ٥٥ .

أما القرطبي فإنه يقول :

واختلف فى الموضع الذى أراد ذبحه فيه .

فقليل : بمكة فى المقام ، وقيل : فى المنحر بمنى عند الجمار التى رمى بها إبليس لعنه الله قاله ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب وسعيد بن المسيب .

وحكى عن سعيد بن جبير : أنه ذبحه على الصخرة التى بأصل ثبير بمنى .

وقال ابن جريج : ذبحه بالشام وهو من بيت المقدس على ميلين .

ثم يرجع القرطبي وقوعه بمكة ويقول : والأول أكثر ، فإنه ورد فى الأخبار تعليق قرن الكبش فى الكعبة ، فدل على أنه ذبحه بمكة ، وينقل قول ابن عباس : فوالذى نفسى بيده : لقد كان أول الإسلام ، وإن رأس الكبش معلق بقرنيه من ميزاب الكعبة وقد ييس (١) .

ومع كل ذلك فهو يصير على أن الذبيح إسحاق ، ويجيب على هذا الاستدلال القوى الذى نحن بصدد الحديث عنه بأن إبراهيم عليه السلام - فيما رواه سعيد بن جبير - أرى ذبح إسحاق فى المنام فسار به مسيرة شهر فى غداة واحدة ، حتى أتى به المنحر من منى ، فلما صرف الله عنه الذبح ، وأمره أن يذبح الكبش فذبحه ، وسار به مسيرة شهر فى راحة واحدة طويت له الأودية والجبال (٢) .

ويقول فى موضع آخر : « أجاب من قال بأن الذبح وقع بالشام لعل الرأس حمل من الشام إلى مكة » (٣) .

ولا أدرى لماذا هذا الإصرار العجيب من الطبرى والقرطبي ، حتى

(١) راجع تفسير القرطبي ج ١٥ ص ١٠٦ .

(٢) المصدر السابق ص ١٠٠ .

(٣) المصدر السابق ص ١٠١ .

يضطرهما إلى أن يقولوا هذه الأقوال ، التي لا وزن لها من الناحية التاريخية ، فلم يثبت فعلاً أن إسحاق ذهب إلى مكة مطلقاً ، حيث لم يرد ذلك فى أى مصدر . وكل ما قيل إنما هو نوع من الافتراضات ، التي لم يقم عليها أى دليل ، وإذا كانوا يعتمدون على رواية سعيد بن جبير التي يذكر فيها البراق ، فإن سعيداً هذا رضى الله عنه قد روى عنه أنه يرى أن الذبيح إسماعيل وينقل ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما كما سبق أن أوردناه .

ثم ما هى الضرورة القصوى والحاجة الملحة التي تلجئنا إلى اختراع قصة البراق الذي نقل إبراهيم إلى مكة حاملاً معه إسحاق ؟ ! ! .

وإذا كان القائلون بأن الذبيح إسحاق يقرون بأن إسحاق كان مقيماً بمكة حيث ثبت ذلك بالقرآن والسنة والتاريخ فلا مناص لهم من التصديق ، فلماذا اضطر إبراهيم إلى إحضار إسحاق إلى مكة ، وإسماعيل كان موجوداً بها .

ثم إن القائلين بأن الذبيح قد تم فى الشام يزعمون أن الرأس قد حملت من الشام إلى مكة ! ! ! ولا بد أنها أيضاً حملت بالبراق ! ! .

وأعتقد أن هذه الحجة من القوة التي جعلتهم لا يستطيعون دفعها وعجزوا عن إنكارها حيث ارتبطت مناسك الحج والعمرة بإبراهيم وإسماعيل وهاجر ، وليس هنالك أدنى صلة أو أقرب إشارة بين إسحاق وهاجر ، وبين مسجد الخيف وسارة كما ورد سابقاً فى إحدى الروايات المكذوبة ، فلم يجدوا مخرجاً لهم إلا هذه الاحتمالات التي تعلقوا بأذيالها .

وكل ما هنالك أن الطبرى ومن ذهب مذهبه قد قاموا بتقليد أهل الكتاب والنقل عنهم ، وحاولوا بعد ذلك تلمس الأدلة بثتى السبل ، وغرهم فى ذلك أيضاً تلك الروايات والآثار التي عرضنا لها وفيها من الضعيف والمنكر والموضوع المنقول أيضاً عن أهل الكتاب ، حيث تبين لنا أنها من المرويات الإسرائيلية المنكرة التي لا يجوز إلا - جاج بها ، ولا يمكن الاعتماد عليها .

ابن تيمية وابن القيم يردان على هذه المزاعم :

هذا وقد انبرى كل من الإمامين : ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فى الرد على مزاعم الطبرى والقرطبى مستدلين بهذه الحجة :

يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن مما يستدل به على أن الذبيح إسماعيل أن قصة الذبيح كانت بمكة ، والنبي ﷺ لما فتح مكة كان قرنا الكبش فى الكعبة ، فقال النبي ﷺ للسادن :

« إني آمرك أن تخمر قرني الكبش فإنه لا ينبغي أن يكون فى القبلة ما يلهى المصلى » (١) .

ولهذا جعلت منى محلاً للنسك من عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهما اللذان بنيا البيت بنص القرآن ولم ينقل أحد أن إسحاق ذهب إلى مكة ، لا من أهل الكتاب ولا غيرهم .

لكن بعض المؤمنين من أهل الكتاب يزعمون أن قصة الذبيح كانت بالشام فهذا افتراء .

فإن هذا لو كان ببعض جبال الشام لعرف ذلك الجبل ، وربما جعل منسكاً كما جعل المسجد الذى بناه إبراهيم ومعه إسماعيل وما حوله من المشاعر (٢) .

أما ابن القيم فإنه يذكر أن قصة الذبيح كانت بمكة قطعاً ، ولهذا جعل الله تعالى ذبح الهدايا والقرايين يوم النحر بها ، تذكيراً للأمة بما كان من قصة أبيهم إبراهيم مع ولده إسماعيل .

كما جعل السعى بين الصفا والمروة ورمى الجمار تذكيراً لشأن إسماعيل وأمه ، وإقامة لذكر الله .

(١) راجع نص الحديث المذكور آنفاً .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ج ٤ ص ٣٣٦ ، راجع أيضاً منهاج السنة ج ٥ ص ٣٥٤ .

ومعلوم أن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة دون إسحاق وأمه ، وأن إبراهيم عليه السلام لم يقدم بإسحاق إلى مكة البتة ، ولم يفرق بينه وبين أمه في شبابه .

فكيف يأمره الله تعالى أن يذهب بابن امرأته ، فيذبحه بموضع ضررتها في بلدها ويدع ابن ضررتها ؟ ١١١ .

(فلهه درك يا ابن القيم) .

ولهذا اتصل مكان الذبح وزمانه بالبيت الحرام الذى اشترك فى بنائه إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) .

وكان النحر بمكة من تمام حج البيت الذى كان على يد إبراهيم وابنه إسماعيل زمانا ومكانا .

ولو كان الذبح بالشام كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم ، لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة (١) .

وبالرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية يتأكد لنا تماماً أن مكة المكرمة والمشاعر المقدسة مرتبطة بإسماعيل وحده دون أخيه إسحاق عليهما السلام ، وأن إسحاق لا علاقة له بمكة زيارة أو منسكا .

فلو رجعنا إلى آيات القرآن الكريم التى ورد فيها ذكر إسحاق عليه السلام ، لانجد فيها أدنى علاقة بينه وبين البيت الحرام ، ولانحصل على أدنى إشارة إلى ارتباط إسحاق بمكة ، أو بأى شعيرة من شعائر الحج فى منى أو فى غيرها .

فقد ورد ذكر إسحاق عليه السلام فى القرآن الكريم سبع عشرة مرة ارتبط ذكره فيها بإبراهيم عليه السلام (٢) .

(١) زاد المعاد ج ١ ص ٧٣ - ٧٤ إغائة اللهفان ج ٢ ص ٣٤٩ - ٣٥٠ .

(٢) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة « سحق » نشر دار الحديث بالقاهرة .

منها ست مرات ذكر مع إسماعيل وكان دائماً يذكر بعده ^(١) مما يؤكد أنه ولد بعده ، وأن إسماعيل هو البكر ، وهو ما أجمع عليه أهل الكتاب والمسلمون ولم يشذ عنهم إلا القرطبي في قول له .

وفي المرات الإحدى عشر الباقية ذكر إسحاق مع إبراهيم دون إسماعيل ^(٢) وفي كل الآيات لا نجد أثراً لأدنى صلة بين إسحاق وبين مكة والمشاعر المقدسة .

أما إسماعيل عليه السلام فقد ورد ذكره في القرآن ثنتي عشرة مرة .

ذكر وحده دون أبيه وأخيه في أربع مرات ^(٣) .

وذكر مع أبيه إبراهيم في المرات الثمانية الباقية :

منها ست مرات ذكر معها إسحاق ، في خمسة منها ورد ذكر إسماعيل بعد أبيه إبراهيم وقبل أخيه إسحاق ، وفي السادسة كان الحمد لله على لسان إبراهيم :

يقول تعالى : ﴿ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ﴾ ^(٤) .

﴿ وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴾ ^(٥) .

﴿ أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴾ ^(٦) .

(١) هذه الآيات هي : (قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً) (البقرة : ١٣٣) وما أنزل إلى إبراهيم وإسحاق (البقرة : ١٣٦) وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق (آل عمران : ٨٤) وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق (النساء : ١٦٣) الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق (إبراهيم : ٣٩) .

(٢) الأنعام : ٨٤ / هود : ٧١ / هود : ٧١ / يوسف : ٦ ، ٣٨ / مريم : ٤٩ ، الأنبياء : ٧٢ / العنكبوت : ٢٧ / الصافات : ١١٢ / ١١٣ / ص : ٤٥ .

(٣) الأنعام : ٨٦ / مريم : ٥٤ / الأنبياء : ٨٥ / ص : ٤٨ .

(٤) البقرة : ١٣٣ . (٥) البقرة : ١٣٦ . (٦) البقرة : ١٤٠ .

﴿ وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴾^(١) .

﴿ وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴾^(٢) .

ويقول تعالى على لسان إبراهيم : ﴿ الحمد لله الذى وهب لى على الكبر
إسماعيل وإسحاق إن ربى لسميع الدعاء ﴾^(٣) .

والترتان الباقيتان ورد ذكر إسماعيل فيهما مرتبطين بمشاركتيه لأبيه فى تطهير
البيت الحرام ورفع قواعده يقول تعالى :

﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين
والركع السجود ﴾^(٤) .

﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت
السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا
مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾^(٥) .

أما فى سورة « إبراهيم » فقد وردت الإشارة إلى إسماعيل وأمه هاجر دون
ذكر اسميهما فقال تعالى : ﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع
عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم
من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾^(٦) .

ولو رجعنا إلى السنة النبوية نجد أن البخارى قد روى فى صحيحه عن أيوب
وكثير عن سعيد بن جبير ، قال ابن عباس : « أول ما اتخذت النساء المنطق من
قبل أم إسماعيل ، اتخذت منطقاً لتغفى أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم
وبابنها إسماعيل ، وهى ترضعه حتى وضعها عند البيت ، عند دوحة فوق زمزم
فى أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعهما هناك ،

(٣) إبراهيم : ٣٩ .

(٢) النساء : ١٦٣ .

(١) آل عمران : ٨٤ .

(٦) إبراهيم : ٣٧ .

(٥) البقرة : ١٢٧ .

(٤) البقرة : ١٢٥ .

ووضع عندهما جراباً فيه تمر ، وسقاء فيه ماء ، ثم قفى إبراهيم منطلقاً ، فتبعته أم إسماعيل ، فقالت : يا إبراهيم ، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شئ ، فقالت له ذلك مراراً ، وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت له : آله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذن لا يضيعنا ، ثم رجعت ، فانطلق إبراهيم عليه السلام ، حتى إذا كان عند الثنية - حيث لا يرونه - استقبل بوجه البيت ، ثم دعا بهؤلاء الدعوات ، ورفع يديه ، فقال : ﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتى بواد غير ذي زرع ﴾ - حتى بلغ - ﴿ يشكرون ﴾ (إبراهيم : ٣٧) وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل ، وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفذ ما فى السقاء عطشت ، وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى - أو قال : يتلبط - فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحداً ؟ فلم تر أحداً ، فهبطت من الصفا ، حتى إذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ، ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادى ، ثم أتت المروة ، فقامت عليها ، فنظرت ، هل ترى أحداً ؟ فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات - قال ابن عباس : قال النبى ﷺ : فلذلك سعى الناس بينهما - فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً ، فقالت : صه - تريد نفسها - ثم تسمعت فسمعت أيضاً ، فقالت : قد أسمعت إن كان عند غوث ، فإذا هى بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه - أو قال : بجناحه - حتى ظهر الماء ، تحوضه وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء فى سقائها ، وهو يفور بعدما تغرف - وفى رواية : بقدر ما تغرف - قال ابن عباس : قال النبى ﷺ : يرحم الله أم إسماعيل ، لو تركت زمزم - أو قال : لو لم تغرف من الماء - لكانت زمزم عيناً معيناً ، قال : ففسرت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لاتخافوا الضيعة ، فإن ههنا بيتاً لله ، بينه هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع [أهله] ، وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالراية تأتبه السيول ، فتأخذ عن يمينه ، وعن شماله ، فكانت كذلك ، حتى مرت بهم رفقة من جرهم

- أو أهل بيت من جرهم - مقبلين من طريق كداء ، فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا
 طائراً عائفاً ، فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء ، لعهدنا بهذا الوادى وما فيه
 ماء ، فأرسلوا جرياً أو جريين ، فإذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبروهم ، فأقبلوا - وأم
 إسماعيل عند الماء - فقالوا : أتأذنين لنا أن نسرل عندك ؟ قالت : نعم ، ولكن
 لاحق لكم فى الماء ، قالوا : نعم ، قال ابن عباس : قال النبى ﷺ : فألقى ذلك أم
 إسماعيل وهى تحب الأنس ، فنزلوا فأرسلوا إلى أهليهم ، فنزلوا معهم ، حتى إذا
 كان بها أهل أبيات منهم ، وشب الغلام - وعلم العربية منهم ، وأنفسهم
 وأعجبهم حين شب - فلما أدرك زوجته امرأة منهم ، وماتت أم إسماعيل ،
 فجاء إبراهيم ، بعدما تزوج إسماعيل ، يطالع تركته ، فلم يجد إسماعيل ، فسأل
 امرأته عنه ؟ فقالت : خرج يبتغى لنا - وفى رواية : ذهب يصيد - ثم سألها عن
 عيشهم وهيئتهم ؟ فقالت : نحن بشرٌ ، نحن فى ضيق وشدة ، وشكت إليه ،
 قال : فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام ، وقولى له يغير عتبة بابه ، فلما جاء
 إسماعيل كأنه أنس شيئاً ، فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم ، جاءنا شيخ
 كذا وكذا ، فسألنا عنك ، فأخبرته ، فسألنى : كيف عيشنا ؟ فأخبرته : أنا فى
 جهد وشدة ، قال : فهل أوصاك بشىء ؟ قالت : نعم ، أمرنى أن أقرأ عليك
 السلام ، ويقول لك : غير عتبة بابك ، قال : ذاك أبى ، وقد أمرنى أن أفارقك ،
 الحقى بأهلك ، فطلقها ، وتزوج منهم أخرى ، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله
 أن يلبث ، ثم أتاهم بعد ، فلم يجده ، فدخل على امرأته ، فسأل عنه ؟ قالت :
 خرج يبتغى لنا ، قال : كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت : نحن
 بخير وسعة ، وأنت على الله عز وجل ، فقال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم ،
 قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء ، قال : اللهم بارك لهم فى اللحم والماء ، قال
 النبى ﷺ : ولم يكن لهم يومئذ حب ، ولو كان لهم دعا لهم فيه ، قال : فهما
 لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه - وفى رواية فجاء فقال : أين
 إسماعيل ؟ فقالت امرأته : ذهب يصيد ، فقالت امرأته : ألا تنزل فتطعم

وتشرب ؟ قال : فما طعامكم وما شرابكم ؟ قالت : طعامنا اللحم ، وشرابنا الماء ، قال : اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم ، قال : فقال أبو القاسم عليه السلام : بركة دعوة إبراهيم - رجع إلى ما في الإسناد الأول - قال : فلما جاء زواجك فافترئي عليه السلام ، ومريه يثبت عتبة بابه ، فلما جاء إسماعيل قال : هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم ، أتانا شيخ حسن الهيئة - وأنت عليه - فسألني عنك ؟ فأخبرته ، فسألني ، كيف عيشتنا ؟ فأخبرته أنا بخير ، قال : فأوضحك بشيء ؟ قالت : نعم ، يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تثبت لعتبة بابه ، قال : ذاك أبي ، وأنت العتبة ، أمرني أن أمسكك ، ثم لبث عنهم ماء شواء الله ، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبرأ نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم ، فلما رآه قام إليه ، فوضعا كما يصنع الوالد بالولد ، والولد بالوالد ، ثم قال : يا إسماعيل ، إن الله أمرني بأمر ، قال : فاصنع ما أمرك ربك ، قال : وتعينني ؟ قال : وأعينك ، قال : فإن الله أمرني أن أبني بيتاً هاهنا - وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها - فعند ذلك رفع القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة ، وإبراهيم يبنى ، حتى إذا ارتفع البناء جاء إبراهيم بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني ، وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان : ﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ [البقرة : ١٢٧] قال : أفجعلاً بيتان ، حتى ينفورا حول البيت ، وهما يقولان : ﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ .

وفى رواية : عن إبراهيم بن نافع عن كثير بن كثير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما كان من أمر إبراهيم ومن أهله ما كان - خرج بإسماعيل وأم إسماعيل ، ومعه شاة فيها ماء ، فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشاة ، فيدر لبنها على صبيها ، حتى قدم مكة ، فوضعها تحت دوحة ، ثم رجع إبراهيم إلى أهله ، فاتبعته أم إسماعيل حتى لما بلغوا كداء ، نادته من ورائه يا إبراهيم ، إلى من تتركنا ؟ قال : إلى الله ، قالت : رضيت بالله ، قال : فرجعت ، فجعلت تشرب من الشاة ، ويدر لبنها على صبيها ، حتى لما فنى الماء ، قالت : لو ذهبت

فنظرت ، لعلني أحس أحداً ، قال : فذهبت ، فصعدت الصفا ، فنظرت ونظرت هل تحس أحداً ؟ فلم تحس [أحداً] ، فلما بلغت الوادي سعت ، وأتت المروة ، وفعلت ذلك أشواطاً ثم قالت : لو ذهبت فنظرت ما يفعل الصبي ؟ فذهبت ، فنظرت ، فإذا هو على حاله كأنه ينشغ للموت ، فلم تقرها نفسها ، فقالت : لو ذهبت ، فنظرت ، لعلني أحس أحداً ؟ فذهبت ، فصعدت الصفا ، فنظرت ونظرت ، فلم تحس أحداً ، حتى أتمت سبعاً ، ثم قالت : لو ذهبت فنظرت ما فعل ؟ فإذا هي بصوت فقالت : أغث إن كان عندك خير ، فإذا جبريل ، قال : فقال بعقبه هكذا - وغمز بعقبه على الأرض - فانبثق الماء ، فدهشت أم إسماعيل ، فجعلت تحفن - وفي أخرى : تحفر - ولو تركته كان الماء ظاهراً ، وكان عيناً معيناً ... وذكر الحديث بطوله نحوه ، أو قريباً منه ، والأول أتم - إلى قوله : فوافني إسماعيل من وراء زمزم يصلح نبلاً له ، فقال : يا إسماعيل ، إن ربك أمرني أن أبني له بيتاً ، قال : أطع ربك ، قال : إنه قد أمرني أن تعينني عليه ، قال : إذن أفعل - أو كما قال - فقاما ، فجعل إبراهيم يبني ، وإسماعيل يناوله الحجارة ويقولان : ﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ حتى ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة ، فقام على حجر المقام ، فجعل يناوله الحجارة ويقولان ﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ (١) .

يذكر الإمام ابن القيم أن الله سبحانه أراد أن يبعد عن سارة هاجر وابنها إسماعيل ، ويسكنها في أرض مكة لتبرد عن سارة حرارة الغيرة ، لأنها غارت من هاجر وابنها أشد الغيرة لأنها كانت جارية ، ولما ولدت إسماعيل وأحبه أبوه اشتدت غيرتها .

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء راجع فتح الباري لابن حجر ج ٦ حديث رقم ٣٣٦٤ ص ٣٩٦ - ٣٩٨ جامع الأصول لابن الأثير ج ١٠ ص ٢٩٦ - ٣٠٢ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ص ٣ - ٥ من الجزء الثاني ، أخبار مكة للأزرقي ج ٢ ص ٣٩ - ٤١ أخبار مكة للفاكهي ج ٢ ص ٥ - ٩ .

وهذا من رحمته تعالى ورأفته .

فكيف يأمره سبحانه بعد هذا أن يذبح ابنها ، ويدع ابن الجارية بحاله ؟ .

هذا مع رحمة الله لها وإبعاد الضرر عنها وجبره لها .

فكيف يأمر بعد هذا بذبح ابنها دون ابن الجارية ؟ .

ويجب بأن حكمته البالغة اقتضت أن يأمر بذبح ولد السرية ، حتى يرق قلب السيدة عليها وعلى ولدها ، وتبذل قسوة الغيرة رحمة ، ويظهر لها بركة هذه الجارية وولدها ، وأن الله لا يضيع بيتاً هذه وابنها منهم^(١) .

والذى يتأمل قصة إسماعيل عليه السلام مع أمه هاجر رضى الله عنها ، ونزوحهما إلى مكة بعد أن اشتدت غيرة سارة رضى الله عنها ، يجد أن هذه الغيرة كانت السبب الظاهر .

أما السبب الحقيقى فقد أجاب عنه الخليل إبراهيم عليه السلام حينما سأله السيدة هاجر رضى الله عنها : آله أمرك بهذا ؟ .

قال : نعم ، قالت : إذن لا يضيعنا .

وصدقت هاجر فى توقعها وتسليمها لأمر الله ، وإذعانها بقبوله ، مثلما أذعن ابنها إسماعيل واستسلم لأمر الله حينما عرض عليه أبوه أن يذبحه ، فقد كافأهما الله سبحانه وأجزل لهما العطاء .

يقول الإمام القسطلانى^(٢) :

فانظر أيها الخليل ما فى هذه القصة من السر الجليل ، وهو أن الله تعالى يرى

(١) زاد المعاد ج ١ ص ٧٥ .

(٢) راجع المواهب اللدنية للقسطلانى مع شرحه للعلامة الزرقانى ج ١ ص ١٠٠ دار المعرفة للطباعة والنشر .

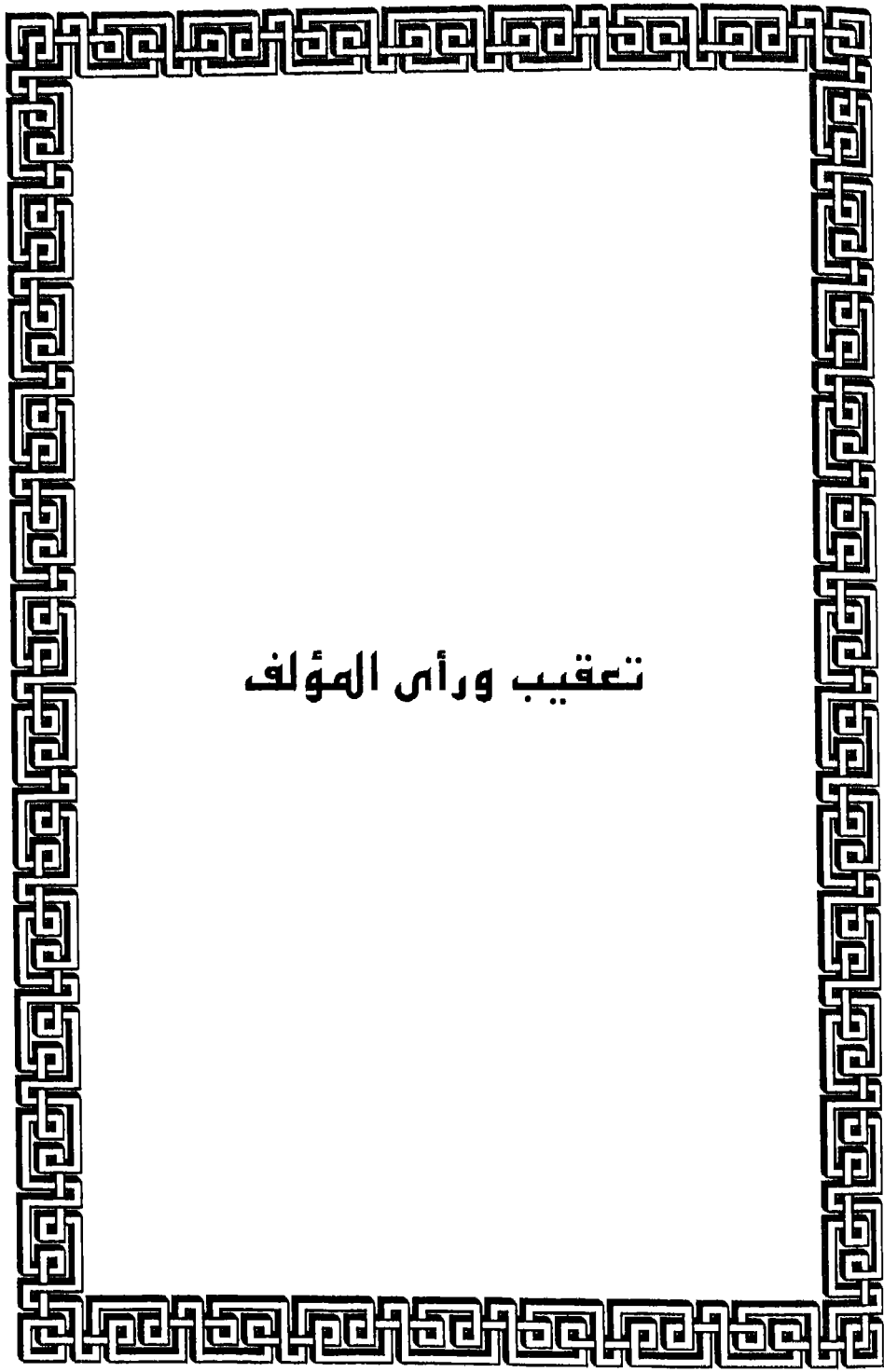
راجع أيضا ابن القيم : زاد المعاد ج ١ ص ٧٥ .

عباده الجبر بعد الكسر ، والطف بعد الشدة ، فإنه كان عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد ، والوحدة ، والغربة ، والتسليم لذبح الولد أنها آلت إلى ما آلت إليه من جعل آثارهما ومواطئ أقدامهما مناسك لعباده المؤمنين ومتعبدات لهم إلى يوم الدين .

وهذه سنة الله تعالى فيمن يريد رفعته من خلقه بعد استضعافه ، وذله ، وانكساره ، وصبره ، وتلقيه القضاء بالرضا فضلاً منه .

قال الله تعالى : ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ﴾ ^(١) .

(١) القصص : د .



تعقيب ورأى المؤلف

تعقيب ورأى المؤلف

لعل القارئ يكون قد أدرك جيداً ، ولاحظ بسهولة من خلال عرض أدلة وحجج الفريقين ، ومن خلال بعض التعليقات والنقود التى أوردتها تعقيباً عليها لعله أدرك ولاحظ أن أدلة وحجج الفريق الأول القائلين بأن الذبيح إسحاق أدلة واهية ، وحجج ضعيفة ، حيث تبين لنا من خلال نقدها مدى تهافتها وسقوطها وكونها لاتصلح للاستدلال ، ولا يحسن الاستشهاد بها أو الاعتماد عليها .

ولعله لاحظ أيضاً مدى قوة أدلة الفريق الثانى القائلين بأن الذبيح إسماعيل وسلامة حججهم فقد أوردتها عقب أدلة وحجج الفريق الأول ، وجاءت بمثابة هدم لأدلة الفريق الأول ورد عليهم .

ولعل القارئ قد أدرك أيضاً من خلال هذه التعقيبات وتلك التعليقات التى أوردتها أننى أميل إلى رأى الفريق الثانى وأرجح ما ذهبوا إليه من أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام .

ولقد حاولت جهدى أن أخفى هذا الترجيح ، وأستر ذلك الميل حتى يكتمل المنهج العلمى فى البحث ، ولكن غلبة هذه الأدلة ، وقوة تلك الحجج ، أبرزتا بكل وضوح لابس فيه ، وأثبتتا بكل يقين لاريب فيه ، ما حاولت أن أخفيه أو على الأقل بذلت جهداً فى محاولة تأجيله .

وفى هذا التعقيب الأخير الذى لامجال فيه للمواراة أو للمدارة ، لن أقتصر فيه على مجرد الميل أو الترجيح ، وإنماؤكد بعد عرض أدلة الفريقين ونقدها فى هذا الفصل من خلال ذكر قصة الذبيح عند المسلمين ، وقبله فى الفصل الأول من خلال عرض ونقد ما لدى اليهود والنصارى فى إطار ذكر قصة الذبيح عند أهل الكتاب ، يؤكد بعد كل هذا أننى أقطع وأوقن بأن الذبيح هو إسماعيل عليه

السلام وذلك لما يلي :

أولاً : بطلان ما ذهب إليه أهل الكتاب من اليهود والنصارى من أن الذبيح إسحاق ، وذلك من خلال النقد الذى أوردته فى الفصل الأول ، والذى تبين فيه أن اليهود قد بدلوا وغيروا فى التوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام ، وأن هذا التغيير وذلك التبديل ظاهران جداً فى إضافة كلمة « إسحاق » وحشرها حشراً بعد قولهم فى التوراة حكاية عن الرب سبحانه مخاطباً إبراهيم الخليل عليه السلام « خذ ابنك وحيدك الذى تحبه » حيث أثبت من خلال الرجوع إلى نصوصهم المقدسة أن هذه الصفات لا تنطبق إلا على إسماعيل عليه السلام بالإضافة إلى أن نص النسخة العبرية ترجمتها كلمة « بكر » بدلاً من كلمة « وحيدك » فإسماعيل وحده هو البكر ، وهو وحده الذى يصلح أن يكون وحيد إبراهيم ، بالإضافة إلى أن حب أبيه له كان أكثر من حبه لأخيه إسحاق باعتباره « بكره » وعادة ما يكون الولد البكر أحب إلى أبيه أكثر من بقية إخوته .

ثانياً : فشل محاولات اليهود وإخفاقهم فى نزع البكورية من إسماعيل عليه السلام ، وإسقاطها عنه ، وسلب اختصاصاتها منه وإثباتها لإسحاق عليه السلام حتى يؤكدوا استحقاقه لميراث أبيه الروحى واختصاصه به دون أخيه إسماعيل .

حيث تبين لنا أن نصوصهم المقدسة قاطعة فى أن إسماعيل هو البكر ، وأن حقه فى البكورية لا يسقط عنه بأى حال من الأحوال ، وأن محاولاتهم فى هذا الشأن قد باءت بالفشل والسقوط .

وتبين لنا استمرار هذا الاختصاص وذلك الاستئثار فى ذرية إسحاق حيث اعتبروا أن نبوة يعقوب واختياره كان نتيجة مؤامرة منه وكيد لأخيه عيسو ، وقد تبين لنا بطلان ما ذهبوا إليه ، حيث نسبوا إلى سيدنا يعقوب عليه السلام ما لا يليق به كنبى ورسول .

ثالثاً : تبين لنا الغرض الذى يهدف إليه اليهود وتابعهم فيه النصرارى من جعل إسحاق هو الذبيح دون إسماعيل وهو النيل من إسماعيل والإقلال من شأنه والتصغير من أمره هو وذريته من العرب ، ونزع هذا الفضل الذى لحق به هو وذيته وخاصة سيدنا محمد ﷺ باعتباره هو الذبيح المأمور بذبحه من الله سبحانه ولم يكن منه إلا التسليم الكامل والإذعان لأمر الله والطاعة التامة لأمر أبيه .

فأرادوا أن ينال إسحاق وذريته هذا الفضل الذى أقر به بعض علمائهم واعترفوا أنهم فعلوا ذلك حسداً من عند أنفسهم للعرب والمسلمين .

بالإضافة إلى أن النصرارى بوجه خاص حاولوا أن يربطوا بين حادث الذبيح وبين عقيدة الصليب والفداء المزعومة عندهم حيث جعلوا إسحاق هو الذبيح الأول والمسيح هو الذبيح الثانى ، فلو كان الذبيح إسماعيل لما تمكنوا من الربط بينه وبين المسيح لأن المسيح من ذرية إسحاق وليس من ذرية إسماعيل عليهم جميعاً وعلى نبينا أفضل الصلوات وأزكى التسليمات .

رابعاً : تبين لنا أيضاً أن المسلمين ما كان لهم أن يختلفوا حول تعيين الذبيح من ولدى الخليل عليهم السلام ، وإنما الذى ساعد على هذا الاختلاف أن قصة الذبيح قد وردت فى القرآن الكريم دون أن يكون فيها نص صريح على تحديد اسم الذبيح بالإضافة إلى أنه لم يوجد فى السنة النبوية حديث صحيح معتمد يحسم القضية من أولها ، ويلتزم الجميع به .

فأدى كل ذلك إلى اختلاف علماء المسلمين حيث ذهب بعضهم إلى أن الذبيح إسحاق ، وذهب جمهورهم إلى أن الذبيح إسماعيل ، وتوقف البعض فلم يذهب إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

وتبين لنا أن كلا من الفريقين : الفريق الأول الذى يرى أصحابه أن الذبيح

إسحاق ، والفريق الثانى الذى يرى أصحابه أن الذبيح إسماعيل قد اعتمدوا على أدلة وحجج وقسمتها إلى قسمين : حجج عقلية ، وحجج عقلية .

وقد عرضت لأدلة الفريقين بالتفصيل وعلمت عليها بالنقد والتعليق .

خامساً : لقد سبق أن أشرت إلى ضعف الأدلة التى استشهاد بها أصحاب الفريق الأول واعتمدوا عليها فى إثبات أن الذبيح إسمحاق ، فقد استدلو بها بعد أن اعتقدوا هذا الاعتقاد ، وراحوا يتلمسون بشتى الطرق وبمختلف الوسائل ما يؤيد هذا الاعتقاد وقد وجدوا ضالتهم فى هذه الروايات المرفوعة والموقوفة والتى تبين بعد نقد علماء الحديث لها - كما سبق - أنها ما بين الضعيف الذى لا يحتج به ، والموضوع الذى لا يؤبه له ، والموقوف الذى ظنوه مرفوعاً ، وليس فيها حديث صحيح مرفوع يعتمد عليه أو يستشهد به .

بالإضافة إلى أنهم قد قلدوا فى هذا رأى أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وأشاروا هم أنفسهم إلى ذلك ، واعتبروا قول أهل الكتاب حجة فى ذلك ، رغم ثبوت بطلان ما ذهبوا إليه كما سبق أن بينا بالأدلة والبراهين من خلال نقد النصوص التى استشهادوا بها من أسفارهم المقدسة ، ورغم الكشف عن نواياهم الخبيثة وأهدافهم الرخيصة فى العدول عن الحق للنيل من العرب فى شخص إسماعيل عليه السلام حيث نزعوا منه الأفضلية وأسقطوا عنه البكورية وادعوا أن الذبيح هو إسمحاق ، لينالوا هم الفضل الذى هو من حق إسماعيل وذريته من العرب والمسلمين .

وكان ينبغى على هؤلاء - أصحاب الفريق الأول - أن يتأكدوا أولاً من صحة الآثار والأحاديث التى استشهادوا بها قبل أن يقلدوا أهل الكتاب ، وكان ينبغى أيضاً عليهم أن لا يحسنوا الظن بمن نقلوا عنهم هذه الإسرائيليات وأن لا يغتروا بها .

سادساً : وإذا كان قد ثبت من خلال البحث والدراسة أن مصدر هذه الروايات هو كعب الأحبار كما أشار إلى ذلك الحافظ ابن كثير وغيره فإنني لن أجروا على الطعن في كعب هذا والنيل من عدالته بعد أن وثقه علماء الجرح والتعديل .

وإذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن خلدون قد بينا أن كعب الأحبار مصدر مهم ورئيسي من مصادر الإسرائيليات ، حيث كان من أكثرهم حديثاً عن أهل الكتاب ، وكثير الرجوع إلى تورااة اليهود ، ونقل قول سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه « ما رأينا في هؤلاء الذين يحدثونا عن أهل الكتاب أصدق من كعب وإن كنا لنبلو عليه الكذب أحياناً » (١) .

فإن كلاً من الشيخ رشيد رضا والدكتور أحمد أمين قد قاما بالطعن في كعب الأحبار والنيل من عدالته والتحذير من روايته ، وتابعهما آخرون ، وقام بالرد عليهم الشيخ الزرقاني والدكتور محمد حسين الذهبي والدكتور أبو شهبه وغيرهم ، مؤكدين على عدالة كعب وتوثيقه بناء على توثيق وتعديل علماء الجرح والتعديل له ، وأخذ الصحابة والتابعين عنه ، وبينوا أن ابن تيمية وابن خلدون لا يقصدان الطعن في شخص كعب وإنما يحذران من روايته فقط (٢) .

وبناء على ذلك فإنه يكفي ذلك الإجماع من الطاعنين في كعب والموثقين له على التحذير من روايته ، وبيان أنه قد نقل روايات منكراً ومكذوبة .

يقول الإمام ابن تيمية : « ومعلوم أن عامة ما عند كعب أن ينقل ما وجدته في كتبهم - يقصد أهل الكتاب - ولو نقل ناقل ما وجدته في الكتب عن نبينا ﷺ لكان فيه كذب كثير فكيف بما في كتب أهل الكتاب مع طول المدة وتبديل

(١) راجع مقدمة في أصول التفسير ومجموع الفتاوى ج ١٥ ص ١٥١ ومقدمة ابن خلدون .
(٢) راجع التفسير والمفسرون ج ١ ص ١٨١ - ١٩٧ ومناهل العرفان للزرقاني ج ١ ص ٤٩١ - ٤٩٦ .

الدين وتفرق أهله وكثرة أهل الباطل فيه (١) .

ويذكر الإمام الذهبي أن كعب الأخبار كان يهودياً ثم أسلم بعد وفاة النبي ﷺ ، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر رضي الله عنه ، فجالس أصحاب محمد ﷺ فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية ، ويحفظ عجائب (٢) .

ويذكر الدكتور الذهبي أن كعباً كان يروي ما يرويه علي أنه صحيح لم يبدل ولم يحرف ، فهو لم يتعمد كذباً ولا ينسب إلى كذب ، وإن كان ما يرويه كذباً في حد ذاته ، خفي عليه كما خفي على غيره ، ويرى أنه إذا كانت الإسرائيليات المروية عن كعب وغيره قد أثرت في عقيدة المسلمين وعلمهم أثراً غير صالح فليس ذنب هذا راجعاً إلى كعب وأضرابه ، لأنهم روه على أنه مما في كتبهم ، ولم يشرحوا به القرآن - اللهم إلا ما يتفق من هذا مع القرآن ويشهد له - ثم نجاء من بعدهم فحاولوا أن يشرحوا القرآن بهذه الإسرائيليات فربطوا بينها وبينه على ما بينهما من بعد شاسع ، بل وزادوا على ذلك ما اخترعوه من الأساطير وما نسجوه من القصص الخرافية ، نسبوها لهؤلاء الأعلام - يقصد كعباً ووهب بن منبه وقبلهما عبد الله بن سلام - ترويحاً لها وتمويهاً على العامة (٣) .

لكن الدكتور محمد أبا شهبة رغم أنه تابع العلماء وقرر أن كعباً ما كان وضاعاً يتعمد الكذب ، وأن الإسرائيليات التي رواها ، وإن كان وقع فيها كذب وأباطيل ، فذلك يرجع إلى من نقل عنهم من أسلافه الذين حرفوا وبدلوا ، وإلى بعض كتب اليهود التي حشيت بالأكاذيب ، والخرافات وإما إلى خطئه في التأويل .

(١) راجع مجموع الفتاوى مجلد ١٥ ص ١٥١ - ١٥٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء مجلد ٣ ص ٣٨٩ .

(٣) الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ١٣٤ التفسير والمفسرون ج ١ ص ١٩٠ .

فرغم أنه قال ذلك إلا أنه يعود فيذكر أنه كان أولى به وأجمل وهو عالم مسلم ، أن يتحرى الحق والصدق ، ويميز في مروياته بين الغث والسمين ، وما يجوز نقله ، وما لا يجوز وتمنى لو أنه فعل ذلك لأراحنا من كل هذا الركام المتهافت ، الذى سمم العقول والأفكار وجر على المسلمين البلاء (١) .

ورحم الله الحافظ ابن كثير حينما عقب على إحدى الروايات التى أوردها القصاص فى قصة سيدنا سليمان مع ملكة سبأ فقال : « والأقرب فى مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب مما وجد فى صحفهم كروايات كعب ووهب سامحهما الله تعالى فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بنى إسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب مما كان وما لم يكن ومما حرف وبدل ونسخ ، وقد أغنانا الله سبحانه عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ ولله الحمد والمنة » (٢) .

سابعاً : وإذا كان هذا هو حال أدلتهم النقلية فإن أدلتهم العقلية ليست بأحسن حالاً منها ، فقد تبين من خلال هذا البحث أنها أدلة متمحلة ومتكلفة ، حيث أتى بها هؤلاء للاستدلال على صحة مذهبهم والاستشهاد بها على سلامة آرائهم ، فتكلفوا فيها أشد ما يكون التكلف ، وتمحلوا فى الاستدلال بها غاية ما يكون التحمل ، ولعلنا نذكر على سبيل المثال الإمام القرطبي - وهو من هو - حينما بالغ فى هذا التكلف ، وأمعن فى ذلك التحمل ، حتى إنه زعم أن إسحاق أكبر من إسماعيل وهو الأمر الذى لم يجرؤ اليهود على القول به ولم يتمكنوا من إنكاره ، ولو فعلوا ذلك لما كانوا فى حاجة إلى بذل محاولات فاشلة فى إسقاط البكورية عن إسماعيل .

هذا بالإضافة إلى أننى قمت بنقد هذه الأدلة العقلية بتعقيبات من أدلة الفريق

(١) راجع كتابه الإسرائيليات والموضوعات ص ١٤٧ - ١٤٨ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٣٦٦ .

الثانى كانت بمثابة إبطال لها ، كذلك أوردت هذه الأدلة العقلية فى معرض الاعتراضات على أدلة الفريق الثانى وتم دفعها والرد عليها .

وبذلك ظهر ضعف هذه الأدلة ، وبان عوارها ، وأنها لاتصلح للاستدلال بها ، ولا يمكن الاعتماد عليها .

ثامناً : إذا كان هذا هو حال أدلة الفريق الأول فإن أدلة الفريق الثانى – الذين قالوا إن الذبيح إسماعيل عليه السلام – على العكس من ذلك حيث إنها تتميز بالقوة وتنسم بالتماسك ، سواء كانت الأدلة النقلية المتمثلة فى الحديث المرفوع والذى ارتضاه كثير من العلماء ، والمتمثلة أيضاً فى الأحاديث الموقوفة على الصحابة والتابعين والتي تبين أنها أقوى وأصح فى الإسناد إليهم وخاصة الروايات الموقوفة على ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم ، حيث تبين أنها تمثل رأيهما الأخير فى الذبيح كما سبق أن فصلت ذلك فى ثنايا البحث .

وسواء كانت الأدلة العقلية القائمة على حسن الاستنباط من آيات القرآن الكريم ، ونصوص السنة النبوية ، والمتفقة مع وقائع التاريخ ودلائل الأحداث .

فقد أوردت هذه الأدلة العقلية مفصلة مشتملة على الردود القوية على بعض الاعتراضات التى اعترض بها أصحاب الفريق الأول ولست فى حاجة إلى إعادة عرض هذه الأدلة هنا ، فقوتها ظاهرة للقارئ يدركها من أول وهلة .

ولكنى أستسمحه فى الإشارة إلى الحجة الخامسة والأخيرة والتى تتعلق بورود الأخبار الكثيرة فى تعليق قرنى الكبش الذى فدى به الذبيح بالكعبة ، وارتباط أحداث الذبح والفداء بمناسك الحج والعمرة ، وارتباط كل ذلك بمكة ومنى وعرفات وسائر المشاعر المقدسة .

وكون إسماعيل وأمه هاجر عليهما السلام هما اللذان كانا بمكة وارتباط السعى بين الصفا والمروة بهاجر ، وكون إسماعيل هو الذى رفع مع أبيه الخليل

القواعد من البيت الحرام ، كل هذا يثبت بجلالة لا مجال للبس فيه ، ويؤكد بيقين لا مجال للشك والارتياح فيه أن الذبيح كان إسماعيل وليس إسحاق ، فليس هناك أدنى صلة تاريخية بين إسحاق وأمه سارة عليهما السلام وبين مكة المكرمة أو منى أو غيرها من الشعائر المقدسة .

أما محاولات الطبرى والقرطبى فى إثبات أن الذبيح كان بالشام ، أو أن إسحاق قد حمل بالبراق من الشام إلى مكة أو منى فإنها محاولات فاشلة ، وكان ينبغى عليهما هما ومن تابعهما أن تكون هذه الحجة مدعاة لهم للعدول عن رأيهم ، واللجوء إلى المذهب الصحيح .

وإذا كان هذا هو حال الحجة الخامسة والأخيرة من حجج الفريق الثانى العقلية فإن بقية الحجج بنفس الدرجة من القوة فى الاستدلال والصحة فى الاستنباط إن لم يكن بعضها أقوى منها ، وخاصة ما استدل به محمد بن كعب القرظى أمام الخليفة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وكذلك ما استدل به السبكى وابن تيمية وابن القيم وخاصة فى ردود ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وابن كثير على القائلين بأن الذبيح إسحاق ، حيث جاءت ردودهم مستفيضة ، وأجوبتهم سديدة ، قضت على شبهات هؤلاء قضاء مبرماً ، ودفعت اعتراضاتهم دفعاً مباشراً .

وخلاصة القول أن أدلة الفريق الثانى أقوى وأصح وأثبت من أدلة الفريق الأول .

تاسعاً : القول بأن الذبيح إسماعيل هو الرأى الذى يتفق مع ظاهر القرآن الكريم ، ويعتمد على قوة الاستنباط وسلامة الاستنتاج وحسن الاستدلال من مجموع الآيات القرآنية التى وردت فيها قصة الذبيح .

وبلغ من قوة هذا الرأى ، ومدى استخلاصه من آيات القرآن الكريم أن بعض العلماء المسلمين ذكروه كأنه قد نص عليه نصاً .

يذكر الحافظ ابن كثير أن القول بأن الذبيح إسحاق ليس فيه حديث صحيح عن المعصوم حتى نترك لأجله ظاهر الكتاب العزيز ، ويؤكد أن هذا القول لا يفهم من القرآن ، بل المفهوم بل المنطوق بل النص عند التأمل على أنه لإسماعيل .

ويذكر في موضع آخر أن هذا هو الظاهر من القرآن ، بل كأنه نص على أن الذبيح هو إسماعيل .

وفي موضع ثالث يقول : « وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه لإسماعيل » (١) .

وقد سئل أبو سعيد الضير : أيهما الذبيح من ولدي الخليل إبراهيم عليهم السلام فأشدد (٢) :

إن الذبيح هُديت لإسماعيل	نص الكتاب بذاك والتنزيل
شرف به خص الإله نبينا	وأتى به التفسير والتأويل
إن كنت أمته فلا تنكر له	شرفاً به قد خصه التفضيل

كذلك فإن هذا الرأي هو الذي يتفق مع السنة النبوية وعليه أكثر الصحابة والتابعين ويتفق أيضاً مع وقائع السيرة وأحداث التاريخ ويستفاد من نصوص التوراة التي بأيدي أهل الكتاب ، وقال به جمهور العلماء المسلمين من المتقدمين والمتأخرين ، القدامى منهم والمحدثين .

وهؤلاء العلماء حينما قالوا به ، لم يفعلوا ذلك على جهة الترجيح وإنما على سبيل القطع ، وأنه هو الرأي الصحيح والقول الصواب المقطوع به ، وما عداه فهو رأي خاطئ وقول غير صحيح .

(١) راجع قصص الأنبياء ج ١ ص ١٤٣ ، وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٤ .

(٢) راجع تفسير القرطبي ج ١٥ ص ١٠٠ ، وتفسير الألوسي ج ٢٣ ص ١٣٣ .

يقول الإمام أحمد بن حنبل : الصحيح أن الذبيح إسماعيل عليه السلام ،
وعليه جمهور العلماء من الخلف والسلف (١) .

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الذي يجب القطع به أنه إسماعيل ، وأنه
هو الذي عليه الكتاب والسنة والدلائل المشهورة .

ويذكر في موضع آخر أن الذبيح هو إسماعيل على أصح القولين للعلماء
وقول أكثرهم كما دل عليه الكتاب والسنة (٢) .

فالقرآن الكريم بمجموع آياته الواردة في هذه القصة وتسلسلها ودالاتها
كل ذلك ينهض حجة كافية واستدلالاً قوياً للقول بأن الذبيح هو إسماعيل ويؤيد
ذلك الأحاديث النبوية وبعض أخبار أهل الكتاب ، فهذا القدر من الأدلة يكفي
للقول على سبيل القطع بأن الذبيح هو إسماعيل أو كما يقول عنه الحافظ ابن
كثير هو القول الصحيح المقطوع به (٣) .

ويذكر الإمام ابن القيم أن القول بأن الذبيح إسحاق باطل بأكثر من عشرين
وجهاً ، وأن إسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة
والتابعين من بعدهم (٤) .

وقد نقل المؤرخ المكي « الفاكهي » أن الذبيح هو إسماعيل من طريق
مجاهد عن ابن عباس ، ومن طريق عكرمة عن ابن عباس ونقله كذلك عن
مجاهد نفسه وعن سعيد بن المسيب وعن سعيد بن جبير وعن عبد الله بن سلام
ولفظه : « كنا نقرأ في كتب اليهود أنه إسماعيل ، ونقله أيضاً عن محمد بن

(١) السراج المنير للخطيب الشربيني ج ٣ ص ٣٨٦ .

(٢) راجع مجموع الفتاوى ج ٤ ص ٣٣٠ - ٣٣١ والرد على المنطقيين ص ٥١٧ .

(٣) راجع تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٧ ومقدمة الدكتور عبد الكريم زيدان لكتاب « القول
الصحيح في تعيين الذبيح » ص ٨ .

(٤) زاد المعاد ج ١ ص ٧١ .

كعب القرظي وعن الحسن ^(١) .

وقد سبق في ثنايا البحث أن بينت بالتفصيل كيف أن هذا الرأي هو الذي عليه أكثر الصحابة والتابعين ، وأنه هو الرأي القوي والقول الصحيح عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم جميعا .

ولذلك فإن الشهاب الخفاجي يذكر في كتابه « نسيم الرياض » أن القول المشهور في الذبيح أنه إسماعيل عليه السلام وأنه هو مذهب الجمهور ، وهو قول أكثر الصحابة كابن عباس وابن عمر ومعاوية رضي الله عنهم ، وأنه هو القول الظاهر والرأي الصحيح ^(٢) .

وكذلك الملاء علي القاري ذكر في شرح الشفا للقاضي عياض أيضا يذكر أن هذا القول هو الصواب عند علماء الصحابة والتابعين وأنه هو الرأي المشهور والصحيح عند علماء المسلمين ^(٣) .

وحينما تحدث « فنسك » في دائرة المعارف الإسلامية عن « إسماعيل عليه السلام » ذكر أن الذبيح هو إسحاق ثم قال : « غير أن كثيراً من علماء الدين يؤكّدون أن الذبيح كان إسماعيل وليس بإسحاق » وأشار إلى أنهم يدعمون رأيهم هذا بالأدلة والبراهين ^(٤) .

وقد عقب عليه الشيخ أحمد محمد شاكر فذكر أن القول الراجح عن أئمة الإسلام وعلمائه أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام ^(٥) .

ويذهب الدكتور الشيخ محمد أبو شهبه إلى أن الحق في هذه المسألة أن

(١) أخبار مكة ج ٥ ص ١٢٧ .

(٢) نسيم الرياض ج ١ ص ٤٩٠ .

(٣) شرح الشفا ج ١ ص ٤٩٠ .

(٤) راجع المجلد الثاني من دائرة المعارف الإسلامية ص ١٧٠ - ١٧٢ .

(٥) راجع المصدر السابق ص ١٧١ - ١٧٢ .

الذبيح هو إسماعيل عليه السلام ، وهو الذى يدل عليه ظواهر الآيات القرآنية ، والآثار عن الصحابة والتابعين ، ومنها ما له حكم الرفع بتقرير النبي ﷺ له ، فلا عجب أن ذهب إليه جمهرة الصحابة والتابعين ومن بعدهم وأئمة العلم والحديث ، منهم الصحابة النجباء والسادة العلماء (١) .

وبناء على ذلك فإننى حينما أقطع بأن الذبيح هو إسماعيل فإن هذا القطع يأتى بعد هذه الدراسة وذلك البحث فى الموضوع من جميع جوانبه ، مع قناعتي الكاملة بأن هذا رأى هو الذى عليه نصوص القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية ، وقال به جمهور الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء المسلمين ، القدامى منهم والمحدثين .

عاشراً : القول بأن الذبيح إسماعيل هو رأى المشهور عند العرب فى الجاهلية قبل البعثة النبوية حيث نقلوه بالتواتر جيلاً بعد جيل وسجله أمية بن أبى الصلت فى شعر له .

يذكر العلامة المؤرخ المكي « الفاكهي » أن الناس قالوا فى الذبيح ما قالوا فقال العرب : هو إسماعيل ، وقالت طائفة من المسلمين وأهل الكتاب جميعاً : إنه إسحاق .

ويؤكد الفاكهي أن أقوال العرب فى ذلك أثبت وأصح (٢) .

ونقل الفاكهي ثلاثة أبيات من شعر أمية بن أبى الصلت وزاد الطبري قبل ستة أبيات فصار مجموعها تسعة يقول فيها الشاعر العربى :

ولإبراهيم الموفى بالنذر (٣) احتساباً وحامل الأجزاء

(١) راجع كتابه « الإسرائيليات والموضوعات » ص ٣٥٩ .

(٢) راجع كتابه « أخبار مكة فى قديم الدهر وحديثه » ج ٥ ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٣) يذكر الإمام الطبري أن قول أمية هذا يحقق الرواية التي رواها عن السدي من أن الخليل كان قد نذر ذبيح ابنه فأمره الله بالوفاء به ، وقد سبق أن أشرت إلى هذا الرأي (راجع تاريخ الطبري ج ١ ص ٢٧٧ - ٢٧٨) .

بكره لم يكن ليصبر عنه	أو يراه فى معشر أقبال
أى بُنى إنسى نذرتك لله	شحيطا فاصبر فدى لك خالى
واشدّد الصفد لا أريد عن السكى	ن خيد الأسير ذى الأغلال
وله مدية تخايل فى اللحم	حُدام حَنِية كالهلل
بينما يخلع السرابيل عنه	فكه ربه بكبش جلال
فخذَنَ ذا فأرسل ابنك إنسى	للذى قد فعلتما غيرُ قال
والد يتقى وآخر مولسو	د فطارا منه بسمع فعال
ربما تجزع النفوس من الأمر	له فرجه كحلّ العقل

ثم قال الفاكهى : قال ابن إسحاق فى حديثه : فحقق قول أمية بن أبى الصلت فى شعره أن الذى أمر بذبحه إبراهيم من ولده بكره .

وبكره إسماعيل ، وهو أكبر من إسحاق فى علم الناس كلهم : العرب من بنى إسماعيل ، وأهل الكتاب (١) .

وبناء على كل ذلك ، فإن رأى الذى أدين الله سبحانه وتعالى عليه أن الذى أمر بذبحه الخليل هو ابنه البكر إسماعيل وليس إسحاق كما زعم اليهود ومن تابعهم ، وأقول هذا فى قناعة تامة بعد هذه الدراسة المفصلة التى أزعمت أنها شملت جميع جوانب الموضوع ، وأملت بكل أطرافه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، كما صلى وسلم وبارك على سيدنا إبراهيم وولديه سيدنا إسماعيل وسيدنا إسحاق وعلى جميع الأنبياء والمرسلين .

(١) راجع أخبار مكة فى قديم الدهر وحديثه ج ٥ ص ١٢٧ ، راجع أيضا شفاء الغرام للفاسي ج ٢

فهرس
بأهم المصادر والمراجع

فهرس بأهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم

السنة النبوية

ابن الأثير (العلامة عز الدين أبو الحسن)

- ١ - الكامل فى التاريخ : طبعة دار الكتاب العربى بيروت ١٣٨٧ هـ /
١٩٦٧ م ، وطبعة دار صادر بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

ابن الأثير (الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك)

- ٢ - جامع الأصول فى أحاديث الرسول : حقق نصوصه وخرج أحاديثه
وعلق عليه عبد القادر الأرناؤوط ، نشر وتوزيع مكتبة الحلوانى ، ومطبعة الملاح
ومكتبة دار البيان ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ .

الدكتور أحمد شلبى

- ٣ - اليهودية : رقم (١) من سلسلة مقارنة الأديان الطبعة الخامسة ، نشر
مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٧٨ م .

مهندس أحمد عبد الوهاب

- ٤ - فلسطين بين الحقائق والأباطيل ، نشر مكتبة وهبة بالقاهرة الطبعة
الأولى ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

الأزرقى (العلامة أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى) .

- ٥ - أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار : تحقيق رشدى الصالح ملحسن :
الطبعة الخامسة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م مطابع دار الثقافة مكة المكرمة .

الألبانى (الشيخ محمد ناصر الألبانى)

٦ - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة نشر
المكتب الإسلامى بيروت .

الألوسى (العلامة أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى
البغدادى)

٧ - روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : إدارة الطباعة
المنيرية ، نشر دار إحياء التراث العربى بيروت ، وطبعة دار الفكر للطباعة والنشر
والتوزيع .

بحر (د / محمد بحر عبد المجيد)

٨ - اليهودية : ملتزم الطبع والنشر مكتبة سعيد رأفت بالقاهرة .

برنابا

٩ - إنجيل برنابا ترجمة الدكتور خليل سعادة ، قدم له الشيخ رشيد رضا
نشر مطبعة ومكتبة صبيح بالأزهر .

البغوى (الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء الشافعى)

١٠ - تفسير البغوى المسمى معالم التنزيل : إعداد وتحقيق خالد عبد
الرحمن العك ، مروان سوار : الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م دار المعرفة
بيروت .

البقاعى (الإمام برهان الدين البقاعى)

١١ - نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور : الطبعة الأولى بمطبعة مجلس
دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

البيضاوى (العلامة ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر البيضاوى)

١٢ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل : الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

البيهقي (الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي)
١٣ - دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة : تحقيق د / عبد
المعطى قلعجي دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

التنير (محمد طاهر التنير)
١٤ - العقائد الوثنية في الديانة النصرانية تحقيق د / محمد عبد الله
الشرقاوي ، نشر دار الصحوة بالقاهرة .

ابن تيمية (شيخ الإسلام الإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن
تيمية)

١٥ - الرد على المنطقيين : تولى إعادة طبعه ونشره : إدارة ترجمان السنة
لاهور : باكستان الطبعة الثانية ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .

١٦ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية الجزء الرابع جمع
وترتيب عبد الرحمن محمد بن القاسم وابنه محمد بإشراف الرئاسة العامة
لشئون الحرمين الشريفين .

١٧ - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، تحقيق الدكتور
محمد رشاد سالم ، طبع ونشر جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

الثعالبي (العلامة أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي)
١٨ - تفسير الثعالبي الموسوم بجواهر الحسان في تفسير القرآن منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت .

الجزيري (العلامة الشيخ عبد الرحمن الجزيري)
١٩ - أدلة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن
المبشرين المسيحيين الطبعة الأولى ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م مطبعة الإرشاد بمصر .

الجميل (العلامة سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجميل)
٢٠ - الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، طبع ونشر
عيسى البابي الحلبي بمصر .

ابن الجوزي (الإمام أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن)
١٠ - زاد المسير في علم التفسير ، نشر المكتب الإسلامي للطباعة والنشر
الطبعة الأولى ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

الحاكم (الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري)
٢٢ - المستدرک علی الصحیحین فی الحديث ، نشر مكتبة الرياض
ومطابع النصر الحديثة .

ابن حجر (الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني)
٢٣ - فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري : رقم كتبه وأبوابه
وأحاديثه واستقصى أطرافه محمد فؤاد عبد الباقي وأشرف على طبعه محب
الدين الخطيب ، نشر المطبعة السلفية ومكبتها .
٢٤ - الكافي الشافعي في تخريج أحاديث الكشاف : طبع على هامش
تفسير الكشاف ، نشر دار الكتاب العربي بيروت ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م .

ابن حزم (العلامة الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن حزم)
٢٥ - الفصل في الملل والأهواء والنحل نسخة من خمسة أجزاء في مجلد
واحد ، نشر مكتبة الخانجي بمصر .

الحلبي (العلامة علي بن برهان الدين الحلبي)
٢٦ - إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون الشهير بالسيرة الحلبية ، شركة
مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .

ابن حنبل (الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل)
٢٧ - المسند : حققه وشرحه وصنع فهرسه : الشيخ أحمد شاكر ، نشر
دار المعارف بمصر .

أبو حيان (العلامة محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي)
٢٨ - التفسير الكبير المسمى بتفسير البحر المحيط ، نشر دار الفكر للطباعة
والنشر والتوزيع بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

ابن خلدون (العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون)
٢٩ - تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام
العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، نشر المكتبة
التجارية الكبرى بالمغرب .

دروزة (محمد عزة دروزة)
٣٠ - تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم : طبعة جديدة من منشورات المكتبة
العصرية للطباعة والنشر - صيدا بيروت ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .
٣١ - تاريخ الجنس العربى فى مختلف الأطوار والأدوار والأقطار المطبعة
العصرية للطباعة والنشر صيدا لبنان ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .
الديار بكري (الإمام الشيخ حسين بن محمد بن الحسن)
٣٢ - تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس : مؤسسة مسقيان للنشر
والتوزيع بيروت .

الأب ديلي
٣٣ - تاريخ شعب العهد القديم : ترجمة الأب جرجس ماردينى ، المطبعة
الكاثوليكية بيروت ١٩٦١ م .

الذهبي (الإمام الحافظ الحجة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد)
٣٤ - تلخيص المستدرک فى ذيل المستدرک على الصحيحين فى الحديث .

٣٥ - سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

الذهبي (د / محمد حسين الذهبي)

٣٦ - الإسرائيليات في التفسير والحديث من سلسلة مجمع البحوث الإسلامية ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

٣٧ - التفسير والمفسرون : نشر دار الكتب الحديثة الطبعة الثانية ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .

الرازي (الإمام العلامة فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين)

٣٨ - التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب دار إحياء التراث العربي بيروت : الطبعة الثالثة .

الزرقاني (الإمام العلامة محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي)

٣٩ - شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية ، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر : بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .

الزرقاني (الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني)

٤٠ - مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي .

الزغبى (د / فتحى محمد الزغبى)

٤١ - تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ، نشر دار البشير بطنطا الطبعة الأولى ١٩٩٤ م .

٤٢ - غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام (اليهودية ، المسيحية ، المجوسية) نشر مطبعة غباشى بطنطا ١٩٨٨ م .

٤٣ - القرايين البشرية والذبايح التلمودية عند الوثنيين واليهود ، مطبعة
غباشى بطنطا الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

الزمخشري (العلامة أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي)
٤٤ - الكشف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار
المعرفة بيروت .

السخاوي (الإمام الحافظ الناقد المؤرخ شمس الدين محمد عبد الرحمن)
٤٥ - المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة :
صححه وعلق حواشيه عبد الله محمد الصديق قدمه وترجم للمؤلف عبد
الوهاب عبد اللطيف الناشر : مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد
١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .

أبو السعود (قاضي القضاة الإمام محمد بن محمد العمادي)
٤٦ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : الطبعة الأولى ١٣٤٧
هـ / ١٩٢٨ م .

السقاف (اباكار السقاف)
٤٧ - إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة نشر عالم الكتب القاهرة : الطبعة
الأولى ١٩٦٧ م .

سيد قطب
٤٨ - في ظلال القرآن : الطبعة الشرعية الثالثة عشر دار الشروق : بيروت
القاهرة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

السيوطي (الإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي)
٤٩ - الإكليل في استنباط التنزيل : مطابع دار الكتاب العربي بالقاهرة طبع
بنفقة السيد سعد درابزوني الحسيني .

٥٠ - الدر المنثور فى التفسير بالمأثور : نشر دار الفكر بيروت الطبعة الأولى
١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

٥١ - القول الفصيح فى تعيينى الذبيح : ضمن الجزء الثانى من كتاب
الحاوى للفتاوى فى الفقه وعلوم القرآن والحديث والأصول والعقائد : السلام
العالمية للطبع والنشر : القاهرة .

٥٢ - مناهل الصفا فى تخريج أحاديث الشفا للقاضى عياض ، تحقيق
الشيخ سمير القاضى ، مؤسسة الكتب الثقافية ، دار الجنان بيروت الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

شاكر (الشيخ أحمد محمد شاكر)

٥٣ - تعليق على دائرة المعارف الإسلامية .

الشريبنى (الإمام الشيخ الخطيب الشريبنى)

٥٤ - تفسير القرآن الكريم المسمى بالسراج المنير ، دار المعرفة للطباعة
والنشر بيروت الطبعة الثانية .

الشنقيطى (الشيخ محمد الأمين الشنقيطى)

٥٥ - أضواء البيان وإيضاح القرآن بالقرآن طبع وتوزيع الرئاسة العامة
لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

شهاب الدين (مولانا أحمد شهاب الدين الخفاجى المصرى)

٥٦ - حاشية الشهاب المسماة عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير
البيضاوى ، دار صادر بيروت .

٥٧ - نسيم الرياض فى شرح شفاء القاضى عياض ، دار الكتاب العربى
بيروت .

أبو شهبة (د / محمد بن محمد أبو شهبة)

٥٨ - الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير : مجمع البحوث

- الإسلامية بالأزهر الشريف ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- ٥٩ - السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة (دراسة محررة جمعت بين أصالة القديم وجدة الحديث) دار القلم دمشق بيروت ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م .
- الشوكانى (الإمام محمد بن على الشوكانى)
- ٦٠ - فتح القدير بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

د / صبرى جرجس

- ٦١ - التراث اليهودى الصهيونى والفكر الفرويدى : نشر عالم الكتب القاهرة : الطبعة الأولى ١٩٧٠ م مطبعة مخيمر .

الطبرى (الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى)

- ٦٢ - تاريخ الطبرى (تاريخ الرسل والملوك) رقم ٣٠ من سلسلة ذخائر العرب تحقيق د / محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م وطبعة ١٩٧٩ م دار المعارف بمصر .
- ٦٣ - جامع البيان فى تفسير القرآن : دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

ظاظا (د / حسن ظاظا)

- ٦٤ - الفكر الدينى اليهودى : أطواره ومذاهبه ، دار القلم بدمشق ودارة العلوم والثقافة بيروت : الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

ابن عاشور (سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور)

- ٦٥ - تفسير التحرير والتنوير : طبعة مصورة عن الطبعة الأصلية للدار التونسية للنشر .

العجلونى (المفسر المحدث الشيخ إسماعيل بن محمد)

- ٦٦ - كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة

الناس : أشرف على طبعه وتصحيحه والتعليق عليه أحمد القلاس ، نشر وتوزيع
مكتبة التراث الإسلامى حلب .

ابن العربي (العلامة أبو بكر محمد بن عبد الله)
٦٧ - أحكام القرآن تحقيق محمد علي البجاوى : نشر دار الجيل بيروت
١٩٨٧ م .

العقاد (الأستاذ عباس محمود العقاد)
٦٨ - إبراهيم أبو الأنبياء : منشورات المكتبة العصرية : صيدا بيروت .
القاضى عياض (العلامة أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي)
٦٩ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى : تحقيق علي محمد البجاوى ، نشر
دار الكتاب العربى ١٩٧٧ م .

الفاسى (الإمام العلامة الحافظ أبو الطيب تقى الدين محمد بن أحمد بن
علي)
٧٠ - شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام : حقق أصوله وعلق حواشيه لجنة من
كبار العلماء والأدباء : دار الكتب العلمية بيروت .

الفاكهى (الإمام أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهى المكى)
٧١ - أخبار مكة فى قديم الدهر وحديثه دراسة وتحقيق عبد الملك بن
ذهيش : الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة
مكة المكرمة .

فنسنك (مستشرق)
٧٢ - مادة « إسماعيل » فى دائرة المعارف الإسلامية : المجلد الثانى .
القارى (الملا على بن سلطان محمد القارى)
٧٣ - شرح الشفا : حاشية على نسيم الرياض للشهاب الخفاجى .

القاسمي (العلامة محمد جمال الدين القاسمي)

٧٤ - محاسن التأويل : وقف على طبعه وتصحيحه وترقيمه وخرج آياته وأحاديثه وعلق عليه : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

القرطبي (الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري)

٧٥ - الجامع لأحكام القرآن : طبعة مصورة عن دار الكتب العربية بإشراف المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر بالاشتراك مع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م وطبعة دار إحياء التراث العربي بيروت ١٩٦٥ / ١٩٦٦ م وطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ م .

القسطلاني (خاتمة المحققين أحمد بن محمد بن أبي بكر الخطيب

القسطلاني)

٧٦ - المواهب اللدنية بالمنح المحمدية : دار الكتب العلمية بيروت .

ابن القيم (الإمام المحدث المفسر شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي

بكر)

٧٧ - إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان : تحقيق محمد سيد كيلاني ، النور

الإسلامية للطبع والنشر والتوزيع .

٧٨ - زاد المعاد في هدى خير العباد : حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق

عليه : شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ، نشر مؤسسة الرسالة بيروت

ومكتبة المنار الإسلامية بالكويت ، توزيع دار الريان للتراث : الطبعة الخامسة

عشر ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

ابن كثير (الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير)

٧٩ - البداية والنهاية تحقيق د / أحمد أبو ملحم وآخرين ، نشر دار

- الكتب العلمية بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- ٨٠ - تفسير القرآن العظيم : نشر مكتبة دار التراث بالقاهرة .
- ٨١ - السيرة النبوية : تحقيق مصطفى عبد الواحد : دار إحياء التراث العربى بيروت .
- ٨٢ - قصص الأنبياء : تحقيق محمد أحمد عبد العزيز دار الكتب العلمية بيروت : الطبعة الرابعة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- الكلبي (الإمام الحافظ أبو القاسم محمد بن حمد بن جزى الكلبي)
- ٨٣ - التسهيل لعلوم التنزيل : تحقيق د / محمد عبد المنعم اليونسى ، إبراهيم عطوة عوض دار الكتب الحديثة .
- ماير (د . ف . ب ماير)
- ٨٤ - حياة إبراهيم ترجمة القمص مرقس داود : نشر مكتبة المحبة بالقاهرة ١٩٨٠ م .
- ٨٥ - حياة يعقوب : نفس المترجم والناشر ١٩٨٠ م .
- الماوردي (الإمام أبو الحسن على بن محمد الماوردي)
- ٨٦ - النكت والعيون : حققه خضر محمد خضر : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي
- ٨٧ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، نشر دار الحديث بالقاهرة .
- المراغى (الأستاذ أحمد مصطفى المراغى)
- ٨٨ - تفسير المراغى : نشر مصطفى الحلبي بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ ١٩٥٣ م .
- المنأوى (العلامة زين الدين عبد الرؤوف المناوى)
- ٨٩ - الفتح السماوى بتخريج أحاديث تفسير القاضى البيضاوى : دراسة

وتحقيق وتعليق أحمد مجتبى بن نذير السلفى ، نشر دار العاصمة بالرياض .

مهران (د / محمد بيومى مهران)

٩٠ - دراسات تاريخية من القرآن الكريم : فى بلاد العرب نشر جامعة

الإمام محمد بن سعود بالرياض ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

ناصر (عصام الدين حفى ناصر)

٩١ - محنة التوراة على أيدي اليهود : مطبعة الرسالة ، الطبعة الأولى

١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

النجار (الشيخ عبد الوهاب النجار)

٩٢ - تعليق على دائرة المعارف الإسلامية : المجلد الثانى نقلها إلى اللغة

العربية محمد ثابت الفندى وآخرون .

٩٣ - قصص الأنبياء : مطبعة النصر بمصر الطبعة الثانية ١٣٥٥ هـ /

١٩٣٦ م .

النيسابورى (الإمام نظام الدين ابن الحسن بن محمد بن الحسين)

٩٤ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، طبع على حاشية جامع البيان

للطبرى .

ابن هشام (الإمام أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافى)

٩٥ - السيرة النبوية : حققها وضبطها وشرحها ووضع فهرسها : مصطفى

السقا وآخرون ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة مصطفى الحلبي الطبعة الثانية

١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م .

هوايت (ألن هوايت)

٩٦ - الصراع العظيم فى سيرة الآباء والأنبياء : ترجمة فرج الله إسحاق

نشر دار الشرق الأوسط للطبع والنشر بيروت ١٩٨١ م .

الهيثمي (الحافظ نور الدين على بن أبي بكر الهيثمي)
٩٧ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : نشر دار الكتاب العربي بيروت الطبعة
الثالثة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

وافي (د / على عبد الواحد وافي)
٩٨ - الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، نشر دار نهضة مصر
للطباعة والنشر القاهرة .

٩٩ - بحوث في الإسلام والاجتماع : دار نهضة مصر للطباعة والنشر
بالقاهرة الطبعة الأولى .

١٠٠ - الكتاب المقدس (عند اليهود والنصارى) : أسفار العهدين القديم
والجديد طبعة البروتستانت التي أصدرتها دار الكتاب المقدس في العالم العربي
بدون تاريخ .

١٠١ - التوراة السامرية (النص الكامل للتوراة السامرية باللغة العربية)
ترجمة الكاهن السامري (أبو الحسن إسحاق الصوري) نشرها وعرف بها
د / أحمد حجازي السقا ، نشر دار الأنصار القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ
١٩٧٨ م .

١٠٢ - قاموس الكتاب المقدس : تأليف نخبة من الأساتذة ذوي
الاختصاص ومن اللاهوتيين هيئة التحرير : د / بطرس عبد الملك و د / جون
الكساندر طمسن والأستاذ / إبراهيم مطر من منشورات مكتبة المشعل في
بيروت بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط : الطبعة السادسة
١٩٨١ م .

١٠٣ - السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم : مبنى على آراء عدد
من اللاهوتيين : صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى بيروت ١٩٧٣ م .
١٠٤ - المدخل إلى الكتاب المقدس تأليف حبيب سعيد - نشر دار التأليف
والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة بالاشتراك مع مجمع الكنائس في الشرق
الأدنى .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

٧	 المقدمة
١٧	الفصل الأول : قصة الذبيح عند أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ..
١٩	المبحث الأول : عرض القصة كما وردت فى أسفارهم
	نصوص سفر التكوين عند اليهود والنصارى وشروح مفسرى العهد
٢٢	 القديم
٣٠	 نصوص العهد الجديد عند النصارى وشروحها
٣٣	المبحث الثانى : نقد ما ورد فى قصة الذبيح عند أهل الكتاب
	الملاحظة الأولى : وصف الابن الوحيد البكر لا ينطبق على إسحاق
٣٥	 وينطبق على إسماعيل وحده
٣٩	 نقد علماء الإسلام لما ورد فى توراة اليهود
٤٠	 ابن تيمية
٤٠	 ابن القيم
٤٠	 ابن كثير
٤١	 الألوسى
٤٢	 تعقيب المؤلف
٤٣	الملاحظة الثانية : « الذى تحبه » انطباق هذا الوصف على إسماعيل
	أكثر من إسحاق من خلال نصوص سفر التكوين
٤٦	 زيارة الخليل لابنه إسماعيل فى مكة كما ورد فى حديث البخارى
٤٧	 التلمود وعلاقة الخليل بابنه إسماعيل
٤٨	 استدلال العلماء بمحبة الخليل لإسماعيل على أنه الذبيح

٥٠	نقد ماعلله اليهود من إسقاط البكورية عن إسماعيل بسبب أن أمه
٥٥	كانت جارية وبيان مكانة السيدة هاجر في العهد القديم
	نقد محاولات اليهود تميز إسحاق عن إسماعيل واختصاصه بميراث أبيه
٥٨	اعتقاد اليهود أن الذبيح إسحاق وليس إسماعيل تابع من حسدهم
٦١	للغرب ومحاولة نزع الفضل منهم
٦٤	نزع البكورية واغتصاب البركة ليعقوب عليه السلام
٦٥	القصة كما وردت في سفر التكوين
٧٥	تعليق العلماء عليها ونقدها
	الفصل الثاني : قصة الذبيح عند المسلمين
٧٧	المبحث الأول : اختلاف المسلمين في تعيين من هو الذبيح ومنشأ هذا
٧٩	الاختلاف
٧٩	اختلاف المسلمين إلى ثلاثة فرقاء ومنشأ هذا الاختلاف
٧٩	الفريق الأول : القائلون بأن الذبيح إسحاق
٨٠	الفريق الثاني : القائلون بأن الذبيح إسماعيل
٨٣	الفريق الثالث : الذين قالوا بالتوقف
٨٣	أبرز علماء الفريق الأول
٨٣	أبرز علماء الفريق الثاني
٨٤	أبرز علماء الفريق الثالث
٨٧	المبحث الثاني : قصة الذبيح كما وردت في القرآن الكريم
٨٨	قصة الخليل في سورة الصافات
٨٩	المراد بقوله ﴿إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾
٩١	استجابة الله سبحانه لدعائه : ﴿رب هب لي من الصالحين﴾

٩١		المراد بقوله : ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾
٩٢		المراد بقوله : ﴿ فلما بلغ معه السعى ﴾
٩٣		تفسير قوله : ﴿ إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ﴾
٩٥		وجوه الحكمة في ورود هذا التكليف مناماً لا يقظة
		تفسير قوله : ﴿ قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من
٩٨		الصابرين ﴾
٩٨		المراد بقوله ﴿ فلما أسلما وتله للجبين ﴾
		الحكمة من هذا التكليف ومعنى قوله ﴿ إن هذا لهو البلاء المبين
٩٩		وفديناه بذبح عظيم ﴾
١٠٥		المبحث الثالث : حجج الفريق الأول : القائلون بأن الذبيح إسحاق ...
١٠٧		أولاً : الحجج النقلية :
١٠٧		١ - الروايات المرفوعة ونقد العلماء لها :
١٠٧		الرواية الأولى
١٠٩		الرواية الثانية
١١٠		الرواية الثالثة
١١٢		الرواية الرابعة
١١٣		الرواية الخامسة
١١٥		تعقيب
١١٨		٢ - الروايات الموقوفة على الصحابة والتابعين ونقد المحدثين لها
١٢٣		تعقيب :
١٢٤		مصدر هذه الروايات
١٢٥		دور كعب الأحبار

١٢٦	اعتماد هذا الفريق على روايات موضوعة
١٢٨	تعقيب
١٢٨	اعتماد هذا الفريق على الإسرائيليات
١٣٠	ثانيا : الحجج العقلية :
١٣٠	الحجة الأولى ونقدها
١٣٦	الحجة الثانية ونقدها
١٣٩	المبحث الرابع : حجج الفريق الثاني (القائلون بأن الذبيح إسماعيل) .
١٤١	أولاً : الحجج النقلية :
١٤١	١ - الرواية المرفوعة (يا ابن الذبيحين)
١٤٤	قصة نذر عبد المطلب
١٤٧	٢ - الروايات الموقوفة على الصحابة والتابعين
	أصح الروايات عن الإمام ابن عباس رضى الله عنه وأقواها قوله :
١٤٧	« الذبيح إسماعيل »
١٥٠	الروايات عن بعض الصحابة
١٥١	تعقيب
١٥٢	الروايات عن التابعين
١٥٣	الروايات الصحيحة عن الإمام أحمد
١٥٤	ثانيا : الحجج العقلية القائمة على الاستنباط من القرآن والسنة والتاريخ
١٥٤	الحجة الأولى : كون البشارة بإسحاق مغايرة للبشارة بالذبيح
١٥٧	محاولات الطبرى والقرطبى النيل من هذه الحجة والرد عليهما
١٥٩	الحجة الثانية : اقتران البشارة بإسحاق بالبشارة بابنه يعقوب
١٦٣	اعتراض ودفعه

١٦٤	اعتراض آخر ودفعه
	الحجة الثالثة : البشارة بالذبيح كانت إجابة لدعاء الخليل والبشارة
١٦٧	بإسحاق لم تكن من سؤاله بل تعجب منها هو وامرأته
	الحجة الرابعة : وصف الذبيح بأنه غلام حليم ووصف إسحاق بأنه
١٧٢	غلام عليم
	الحجة الخامسة : ورود الأحاديث الكثيرة في تعليق قرن الكبش في
١٧٤	الكعبة وارتباط مناسك الحج بحادث الذبح والفداء
	نصوص الأحاديث الواردة في تعليق قرن الكبش في الكعبة وتعليق
١٧٤	العلماء عليها
١٧٦	هذه الحجة تعد أقوى ما استدل به القائلون بأن الذبيح إسماعيل
	زعم الطبري والقرطبي أن الذبيح كان بالشام ثم سار به الخليل إلى
١٧٦	مكة
١٧٩	ردود ابن تيمية وابن القيم على مزاعم الطبري والقرطبي
١٨٠	لاعلاقة بين إسحاق ومكة المكرمة
١٨٢	ارتباط إسماعيل بمكة وبناء البيت الحرام :
١٨٢	من القرآن الكريم
١٨٢	من السنة النبوية
١٨٦	تعليق الإمامين ابن القيم والقسطلاني
١٨٩	تعقيب ورأى المؤلف
٢٠٥	فهرس بأهم المصادر والمراجع
٢٢١	فهرس الموضوعات

صدر للمؤلف

- تأثر اليهودية بالأديان الوثنية
- غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام
- القرابين البشرية والذبائح التلمودية
- قصة الذبيح

دار البشير للثقافة والعلوم

طنطا : ٢٣ ش الشهيد عادل الزواوي - أمام كلية التربية النوعية
٢٢٢٤٠٤٣ - فاكس ٢٣١٨٠٠

